

# اللُّهْجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي

دكتور إبراهيم أنيس

إستاذ بكلية دار العلوم - القاهرة  
وعضو مجمع اللغة العربية سابقاً

الناشر

**مكتبه الانجلو المصرية**

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

# اللُّهْجَاتُ الْعَرَبِيَّةُ فِي

دكتور إبراهيم أنيس

إستاذ بكلية دار العلوم - القاهرة  
وعضو مجمع اللغة العربية سابقاً

الطبعة الثامنة

١٩٩٢

ملازمة الطبع والتوزيع  
مكتبة الأنجلو المصرية  
١٦٥ شارع محمد فتحي - القاهرة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الرابعة

بدا لي وأنا بصدد هذه الطبعة لكتابي « في اللهجات العربية » أن أختتم تلك الجولة الطويلة في دراسة اللهجات القديمة لأجدادنا العرب الأجداد ، بفصل عنوانه [ هل اللغة العربية لغة بدوية ؟ ] ، أورد فيه نص البحث الذي ألقيته في مؤتمر جمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ ، ليكون الفصل السابع ، أي في خاتمة تطوافي بمسائل اللهجات في كل الظواهر من حيث الأصوات ، ومن حيث بنية الكلمات ودلالاتها .

ورأيت كذلك أن خير ما يمكن أن يضاف إلى مثل هذا الكتاب في هيئة ملاحق هو تلك النصوص التي اقتبسناها من أكبر معجم عربي « لسان العرب لابن منظور » بعد القيام بمسح كل ما اشتمل عليه من روايات تتصل باللهجات النسوبة لقبائل معينة أو أمكنة محددة في شبه الجزيرة العربية .

والله نسأل أن ينفع بهذا الجهد العلمي أبناء العربية من الطلاب والدارسين .

وما توفيقي إلا بالله ؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الثالثة

مضى أكثر من اثنتي عشرة سنة على ظهور الطبعة الثانية لهذا الكتاب وعدة سنوات على نفاذ هذه الطبعة ، وخلال هذه المدة أشعر أن دراسة اللهجات العربية قد نمت في بلادنا وازدهرت ، وأصبحت الكليات الجامعية تعنى بها كل العناية ، بل خصصت لها أقسام مستقلة في بعض الكليات ، ونوقشت بعض الرسائل الجامعية التي عرضت لهذه الدراسة ، وكان آخر هذه الرسائل وأوقاها في البحث تلك الرسالة التي نال عليها الدكتور أحمد الجندى درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٥ ، وعنوانها « اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة » ، وكان لي حظ الاشتراك في مناقشتها .

ويبدو لي أننا لم نعد الآن بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب في بطون الكتب القديمة التي عرضت في ثناياها للهجات العرب بقدر ما نحن في أمس الحاجة إلى دراسة اللهجات العربية الحديثة ، فتلك هي التي نفتقدها أو لا نزال نتطلع إليها ، ولم تقطع فيها لسوء الحظ شوطاً بعيداً برغم ما لدينا الآن من إمكانيات التسجيل الصوتي ، وأجهزة التجارب النطقية . ففي بعض كلياتنا الجامعية معاملاً للتجارب الصوتية لم تستغل الاستغلال الكافي في دراسة اللهجات الحديثة بالبلاد العربية . وأرجو ألا يمر زمن طويل قبل أن نجد لدينا دراسات مستفيضة ، ومحوطاً عميقة في هذه اللهجات الحديثة كي نستكمل معرفتنا للهجات أجدادنا من العرب القدماء ، وبالله التوفيق .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الطبعة الثانية

ظهر هذا الكتاب للمرة الأولى منذ ست سنوات فجاء بمثابة دعوة إلى البحث في اللهجات العربية قديمها وحديثها ، بعد أن طال إهمالها وانصرف الباحثون عنها ، وكان بدءاً موقفاً لتلك الرحلة الطويلة الشاقة التي لا بد منها في مثل هذه الدراسة .

وقد حفزني على مواصلة الدراسة والبحث في اللهجات ما لقيه هذا المجهود المتواضع من حماس وتشجيع في الهيئات العلمية ، وما لمست من إقبال طلبتي في كلية دار العلوم على هذه الدراسة القديمة في مادتها الحديثة في تصويرها وتفسيرها ، مما جعلني أستعين بالنابهن منهم على جمع الكثير من شواردها ورواياتها ، فاستطعنا معاً أن نجمع كل الروايات المنسوبة التي وردت في معجم لسان العرب لابن منظور وفي كتاب المحمص لابن سيده ، ثم بوبناها ونظمتها على ضوء ما درسناه من نظريات صوتية حديثة ، فبدت في آخر الأمر عملاً علمياً ضخماً ، تقوم الآن بتهديبه وتوضيح الغامض منه ، وتحقيق المبتور من أجزائه ، راجين ألا يمر زمن طويل قبل أن تتضح لنا معالم هذه اللهجات في صورة دقيقة مؤكدة .

ورغم ما بدلناه حتى الآن من جهود مضيئة لا تزال بعيدة عن الهدف الذي نتطلع إليه ، ولا تزال بعض نواحي هذه اللهجات العربية القديمة يكتنفها الظلام والغموض ، ولا سبيل لكشف هذا الظلام إلا بعد أن تم معرفتنا ودراستنا اللهجات الحديثة في الأقطار العربية المختلفة .

ومما يبعث على شحذ المهتم ومتابعة الدراسة في اللهجات ما أتجه إليه مجمع اللغة العربية من تشجيع هذه الدراسة والعمل على النهوض بها ، فقد خصص إحدى لجانه لدراسة اللهجات ، وضم إليها من أعضائه عدداً من العلماء الأجلاء الأفاضل الذين شرفوني بالانضمام إليهم كخبير لهذه اللجنة .

ولم تقتصر العناية بدراسة اللهجات في السنوات الأخيرة على المحدثين من علمائنا أبناء العربية ، بل شملت أيضاً بعض المستشرقين من علماء أوروبا . ويكفي هنا أن نشير إلى ذلك المؤلف القيم الذي ظهر في العام الماضي لأحد المدرسين في جامعة أكسفورد ، وهو الدكتور «رايين» C. Rabin تحت عنوان :

#### ( Ancient West - Arabian )

وفيه يحاول المؤلف النابه البرهنة على أن غرب الجزيرة العربية قد انتظمت في العصور الجاهلية لمة مستتفة في خصائصها وظهورها وتطوراتها .

ومهما يكن من الأمر فقد أطلعنا الدكتور «رايين» على مصادر وروايات لم تقف عليها قبل ظهور كتابه ، وكان في عرضها دقيقاً أميناً ، مما يستحق له الإعجاب والتقدير .

ومن إذ ننشر الطبعة الثانية لكتاب اللهجات العربية بعد أن نفذت الطبعة الأولى ، نشعر بالاطمئنان على مستقبل هذه الدراسة ، ونرقب في غبطة وسرور نموها ونهضتها في السنوات الأخيرة التي زادت فيها معرفتنا بكثير من خصائص اللهجات وتنقلات القبائل وغير ذلك من أمور تكشفت لنا بعد غموض ، واتضحت لنا بعد إبهام . وكان من الطبيعي أن يظهر لهذه الدراسات التي قمنا بها خلال السنوات الست الأخيرة أثر كبير في الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، وأن يكون لها صدى قوى في بعض مسأله ، مما جعلنا نريد من الشرح والبيان في بعض المواحي . وعبراً أو محوراً في بعض الآراء التي جاءت في الطبعة الأولى

وقد راعينا في كل هذا الاقتصاد الذي تحتمه رغبة الناشرين من ظهور  
الكتاب في حجم معين ، كما يعلية علينا الحرص على تجنب المسائل التي لم يتم  
نضجها ، أو التي لم تفرغ من محتواها .

نفع الله بهذا الكتاب الطلاب والدارسين من أبناء العربية ، إنه سميع  
مجيب الدعاء .

ابراهيم انيس





## مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على  
أشرف المرسلين وبعد :

قد ترددت رمتاً غير قصير قبل أن أقدم على نشر هذا الكتاب الذي  
يعرض للهجات العربية القديمة ، لأن البحث في مثل هذا قد يكون من عمل  
الهيئات العلمية ، ولا يقوم به فرد وحده . وذلك لتشعب الموضوع ، ووعورة  
الطريق إليه ، وما يحتاج من بحوث مستفيضة قد تنفذ أعمار الأفراد دون أن  
تكمل ، أو يكشف عن كل غوامضها وأسرارها .

ولكنني حين رأيت انصراف أهل العلم في مضر عن هذه الناحية من البحث  
اللغوي ، واكتفائهم بترديد بعض الروايات الشائعة في ثنايا كتب التاريخ والأدب  
دون فهم لها ، أو نظر فيها ، أو عناية بعرضها عرضاً علمياً صحيحاً مؤسساً على  
أحدث النظريات التي قررها المحدثون في دراسة اللهجات فديمتها وحدثتها ، أقول  
حين رأيت هذا أقدمت على نشر كتاب به أستحث المهتم على العناية بمثل هذه  
الدراسة ، راجياً ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثاً جليلة تكشف لنا عن  
كل أسرار اللهجات العربية .

وتعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية . فلقد  
بنت هذه الدراسة بالجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ،  
حتى أصبحت الآن عنصراً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة ، وأسست لها  
في بعض الجامعات الراقية ، فروع خاصة بدراسة ، نغني شرحها ، وتحليل

خصائصها وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على الزمن .

وقد اعتمدت في هذا الكتاب على المشهور من روايات الأقدمين التي جاءتنا مبتورة حجتاً ، وممدوحة حيناً آخر ، لم تراع الدقة في نقلها ، بل لم تنسب في غالب الأحيان إلى قبائلها أو بيئاتها . ولست أعرف بين علماء العربية على كثرتهم ، وكثرة ما كتبوه في كل فرع من فروع اللغة ، من عني باللهجيات فأفرد لما مؤلفاً مستقلاً يجمع شتاتها ، ويشرح غامضها ، وإعماها روايات متناثرة نجدها في بطون كتب الأدب واللغة والتاريخ .

وقد ظلت الحال هكذا حتى دوت صيحة للمرحوم حنفي ناصف بك ، في رسالته الصغيرة التي سماها : « مميزات لغات العرب » ، والتي ألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد بمدينة فيينا في أوائل سنة ١٣٠٤ هجرية ، فكانت الصيحة الأولى ، ولكنها لم تحفز المهم ، ولم تسمع المتصاميين عن كل بحث جديد في اللغة . فهاهو ذا قد مضى على نشرها نحو ستين عاماً ، دون أن نسمع لعالم آخر صوتاً ، أو نرى له إنتاجاً في هذا الشأن الجليل .

وقد كانت هذه الرسالة الصغيرة عمادنا في كثير مما روينا هنا ، بمدعرضه عرضاً علمياً مؤسساً على ما تقرره النظريات الحديثة في دراسة اللهجات . ولعل صيحتي لا تذهب أيضاً هباء ، ولعل جامعاتنا وماهدنا العلمية تعنى فيما بعد بهذه الدراسة الجليلة الشأن .

وستظل آراؤنا في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد ، وأحكامنا عليها أقرب إلى الترجيح منها إلى اليقين . ما لم تؤسس على أسس علمية صحيحة ، وما لم تتبع الطريق المستقيم في دراستها ، إذ لا بد لدراسة اللهجات العربية القديمة من الاعتماد على أسس ثلاثة :

أولها : وأهمها دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية . وإيس هذا بالأمر الهين ، بل ليس هذا من عمل فرد واحد ،

ولما هو من عمل الهيئات والجماعات ، لأنه يتطلب السفر إلى تلك البيئات ، والإقامة فيها زمناً كافياً لتعرف خصائصها ، وما امتازت به . فهناك لهجات مصرية ، وأخرى عراقية ، وثالثة شامية ، ورابعة مغربية ، وأخيراً لهجات بلاد الجزيرة العربية في عصرنا الحالي . وفي كل بيئة من هذه البيئات لهجات حديثة يتكلم بها الناس ، وهي تشترك في بعض الصفات ، ولكنها تختلف في أمور هامة تميز لهجة كل بيئة عن الأخرى ، حتى في قراءتهم القرآن الكريم قد نلاحظ بعض الفروق الصوتية التي تميز المصري من الشامي ، والشامي من العراقي وهكذا . وربما كان السر في تباين هذه اللهجات الحديثة أنها : أولاً انحدرت من لهجات عربية قديمة متباينة . فلم تكن القبائل التي نزلت إلى هذه البيئات ذات لهجة واحدة ، بل لقد وفدت إليها في عهود الغزو الإسلامي وبعده ، ومعها لهجاتها المختلفة ، وأقامت بها وكل منها يحتفظ بخصائصه ومميزاته في لهجات التخاطب التي تأثر بها أهل البلاد المفتوحة ، وبدأوا يتحدثون حذوها في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم . هذا رغم أن تلك القبائل قد احتفظت جميعها باللغة النموذجية ، لغة الأدب والدين التي نزل بها القرآن الكريم ، فكانوا بها يكتبون ويقرأون ، وينظمون الشعر وينظفون . فإذا خلوا إلى أنفسهم ، أو عن لهم من أمور حياتهم ما ليس بذي بال ، عبروا عنه بلهجتهم الخاصة ، دون حرج أو تردد . فكلامهم في حياتهم العادية كان يخالف إلى حد كبير لغة الكتابة والأدب التي كانوا يلجأون إليها في المجال الجدي من القول .

وتلك اللهجات المتباينة التي وفدت من شبه الجزيرة قد غزت بيئات معمورة يتكلم أهلها لغات غير عربية ، منها القبطي والروماني والفارسي والآرامي والبربري وغير ذلك من لغات كانت شائعة في البيئات التي تناولتها الفتوحات الإسلامية . وهنا كان لابد من صراع بين اللهجات الغازية واللهجات المغزوة أدى في معظم الحالات إلى ازواء اللهجات المغزوة ، أو القضاء عليها قضاء تاماً .

ولكنها لم تنزو أو لم يقض عليها إلا بعد أن تركت بعض الآثار في اللهجات الغازية من الناحية الصوتية على الأقل . فتركت التبطية قبل انزواها بعض الآثار الصوتية في ألسنة المصريين حين تكلموا اللهجات العربية . وإذا علمنا أن القبطية ظلت يتكلم بها في بعض النواحي المصرية حتى القرن السابع عشر<sup>(١)</sup> استطعنا أن ندرك إلى أي مدى يمكن أن تكون لهجاتنا الحديثة قد تأثرت ببعض الآثار القبطية من الناحية الصوتية .

وقد حدث ما يشبه هذا في البيئة العراقية والشامية والمغربية وهكذا . وإذا أضيف إلى كل هذا أن اللهجات العربية الحديثة قد تطورت في بيئاتها المختلفة تطورات مستقلة ، لما أحاط بها من ظروف اجتماعية مختلفة في كل بيئة من تلك البيئات ، ولما طرأ عليها بعد الفتح العربي من ظروف سياسية اختلفت أيضا في تلك البيئات ، فهناك آثار فارسية ، وأخرى تركية ، وثالثة أوروبية<sup>(٢)</sup> (فرنسية وإيطالية بل وإنجليزية أيضا) ، إذا تذكرنا كل هذا عرفنا لماذا اختلفت اللهجات العربية الحديثة في بيئاتها ، ورأينا هذا الاختلاف أمرا طبيعيا .

ومع هذا فقد احتفظت هذه اللهجات الحديثة ببعض الآثار القديمة التي يمكن أحيانا إرجاعها بسهولة إلى لهجات عربية قديمة ، وأحيانا يصعب هذا إلا بعد بحث دقيق ، ودراسة عميقة .

فن الممكن مثلا أن يعزى النطق الخاص بالقاف في نواحي بنى سويف والفيوم وبعض مديرية الجيزة وأهل أبيار ورشيد وضواحيها والحلجة الكبرى والبرلس وبليس ، للهجة في قرش .  
ومن الممكن أيضا أن ننسب إبدال الهمزة عينا بين سكان البوادي المصرية إلى لهجة تميم .

(١) Mailon صفحة ١

(٢) ظهر أثر هذه اللغات الأوروبية في المدن الساحلية بصفة خاصة ولاسيما بما يتعلق باستعارة الكلمات الأجنبية واستعمالها في لهجات الناطق .

ومن الممكن أن ننسب ما نسمعه الآن من بعض أهل الشام والعراق حين يقفون على التاء المربوطة « بالتاء » ، إلى اللهجات اليمنية القديمة أو بعبارة أدق لهجة حير .

ومن الممكن أن نغزو كسر حرف المضارعة ذلك الأمر الشائع في معظم اللهجات المصرية ، إلى قبائل مثل بهراء من قضاة .

ومن الممكن أن ننسب الصيغة العامية « مديون » إلى لهجة تميم التي روى عنها مثل هذا .

ومن الممكن أن نغزو ميلنا إلى التسهيل في الهمزة ، إلى القبائل الحجازية .  
ومن الممكن أن ننسب ما هو معروف عن نواحي الحلة الكبرى وما حولها وجزيرة بنى نصر وأبيار وكثير من مديرتي البحيرة وبنى سويف من ميلهم إلى قطع أواخر الكلمات حين الوقوف ، إلى لهجة طيبه التي عرفت بهذا .

ومن الممكن أن ننسب الإمالة المشهورة في كثير من نواحي الريف المصرى إلى قبائل مثل تميم وأسد .

فنحن نرى من هذا أن كثيراً من الصفات التي نلاحظها الآن في لهجاتنا الحديثة يمكن بعد الدراسة والتمحيص إرجاعها إلى لهجات عربية قديمة .

ولكامل الكشف عن أسرار اللهجات الحديثة ، لا بد من دراستها دراسة علمية صحيحة ، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً ، لنعرف أولاتها كيف به كل لهجة من خصائص . هذا ودراستنا لها يجب أن تبدأ وصفية ، نشرحها ونسجلها ونحلل أصواتها وكلماتها ، دون التعرض في البدء إلى أى نوع من التمارينات ، أو الحكم على أية صلة بلهجة قديمة . فإذا فرغنا من الدراسة الوصفية التحليلية لكل لهجة من اللهجات الحديثة نكون قد خدمنا أغراضاً جليلة : منها تسجيل لهجاتنا التي تكون مرحلة تاريخية من حياتنا الاجتماعية ، ومنها إشباع رغبة العلماء منا في الدراسات الأكاديمية البحتة للهجات الحديثة ،

ثم بعد هذا ، بل وفوق هذا ، تصبح تلك الدراسة نواة أو مادة نستلها في دراسة اللهجات العربية القديمة .

ثانيها : دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكثفين فيها بما روى في بطون الكتب ، بل يجب أن تطبق تلك الروايات على ما نسجه فلا من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة ، مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة ، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل علم الأصوات .

هذا إلى دراسة القراء وما روى عنهم ، والبيئات التي تأثروا بها أو نشأوا في كنفها ، وما اختلطوا به من قبائل عربية . ثم نستخرج من هذه الدراسة ما مرجعه فن القراءات ، أو اجتهاد القدماء من القراء ، وما يمكن أن يعزى إلى لهجة قديمة أبيع القراءتها ، أو ببعض خصائصها . فقد احتفظت لنا القراءات القرآنية بعناصر هامة مرجحها اختلاف اللهجات العربية القديمة ، ولا بد من نسبتها إلى قبائلها أو بيئتها .

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون اللغة والأدب ، بما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة ، ثم تمحيصها وتحقيقتها وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة ، أو رواية ممسوخة ، سالكين طريقة تتبع السند التي عنى بها علماء الحديث لتمييز الحق من الباطل ، والصحيح من الزائف . هذا إلى دراسة تاريخية مستفيضة لتنتقلات القبائل قبل الإسلام وبعده ، وبيئاتها الاجتماعية في العصور المختلفة ، وما خالطت من أمم أو شعوب .

نرى من كل ما تقدم أن دراسة اللهجات القديمة ، والكشف عن أسرارها ، ونسبتها إلى قبائلها ليس بالأمر الهين اليسير . لأنه لا بد قبل البدء بها من جمع المادة لها ، وهذا الجمع يتطلب جهوداً عظيمة يجب أن يقوم بها عدد من المشتغلين باللغات .

فإذا جمعت تلك المادة ، بدأنا مرحلة المقارنة ، واستقنباط القوانين التي خضعت لها اللهجات المربية في عصورها الأولى ، وقوانين تطورها بعد الفتح الإسلامي .

ولست أدعى في كتابي هذا أني قمت بقسط كبير مما ذكرت ، أو أني اتبعت الطريق العلمي الدقيق التي يجب اتباعها في دراسة اللهجات ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

ولعل المستقبل يكفل لنا بمساعدة الهيئات العلمية أن نجد لهذا العمل الضخم جميع المعنيين بمثل هذه الدراسات ، حتى تم وفق الأصول العلمية الصحيحة .

براهيم أنيس

## الفضيل الأول

- ١ -

### اللهجة (\*)

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وهم ما قد يدور بينهم من حديث ، فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات .

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات ، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة . فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص . فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات ، لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية ، والمادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

وقد كان القدماء من علماء العربية يعبرون عما نسميه الآن باللهجة بكلمة «اللغة» حيناً ، «وباللحن» حيناً آخر . يرى هذا واضحاً جلياً في المعاجم العربية القديمة وفي بعض الروايات الأدبية ، فيقولون مثلاً : الصقر بالصاد من الطيور الجارحة ، وبالزاي لغة (بضم اللام وكسرهما) . وقد يروى لنا أن أعرابياً يقول



في معرض الحديث عن مسألة نحوية : « ليس هذا الحنى ولا الحن قومي » .  
وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هذيل ، ولا يريدون  
بمثل هذا التعبير سوى ما نمنيه نحن الآن بكلمة « اللهجة » .

ويظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا  
يعبرون عما نسميه نحن « بالغة » إلا بكلمة « اللسان » تلك الكلمة المشتركة  
اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية . وقد يستأنس لهذا  
الرأى بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة « اللسان » وحدها في معنى  
اللغة نحو ٨ مرات .

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها ،  
وكيفية صدورها . فالذي يفرق بين لهجة وأخرى ، هو بعض الاختلاف الصوتي  
في غالب الأحيان . فيروى لنا مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون في « فزرتُ » ،  
« فزُدُ » ، كما كانوا ينطقون بالهمزة عينا . كما يروى أن « الأجلح » وهو الأصلح  
ينطق بها « الأجله » عند بني سعد .

وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية خاصة تخالف كل المخالفة أو بعضها ،  
صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة . غير أن اللهجة قد تتميز أيضاً بتقليل  
من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها ، أو معاني بعض الكلمات : فيروى  
أن بني أسد كانوا يقولون في « سكرى » ، سكرانة ، وأن بعضاً من تميم كانوا  
يقولون « مديون » بدلا من « مدين » . كما تذكر المعاجم أن كلمة « الهجرس »  
تعني القرد عند الحجازيين ، وتعني الثعلب عند تميم . ولكن يجب أن تكون  
هذه الصفات الخاصة التي مرجعها بنية الكلمات ودالاتها ، من القلة بحيث  
لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها ، بعيدة عنها ، عسرة الفهم على أبناء اللهجات  
الأخرى في نفس اللغة . لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة ، بددت باللهجة  
عن أخواتها ، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها . ويكفي أن نبحت  
( ٢٢ - اللهجات )

في اللغة العبرية ، شقيقة اللغة العربية عن نظائر للكلمات العربية الآتية :  
[رجل ، فتى ، العم والخال ، الجبل ، البحر ، النجم ، الشجر] ، ونحو ذلك  
من كلمات كثيرة الشيوخ في لغتنا ، حتى ندرك أن كلا من اللغتين الشقيقتين قد  
استقلت بمجموعة كبيرة جداً من الكلمات. فإذا أضيف إلى هذا ما اختلفت فيه  
هاتان اللغتان من حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وغير ذلك من  
ظواهر لغوية كثيرة ، استطعنا أن ندرك لماذا يعتبرهما اللغويون لغتين مستقتين .  
فلا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات  
ومعانيها ، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات ، وفوق هذا وذاك في  
تركيب الجمل . فإذا اختلفت معاني معظم كلماتها ، واتخذت أسساً خاصة في بنية  
كلماتها ، وقواعد خاصة في تركيب جملها ، لا تسمى حينئذ لهجة ، بل لغة مستقلة ،  
وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجمعها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل  
اللغوية .

فالفصيلة اللغوية تتألف من عدة لغات ، ترجع جميعها إلى أرومة واحدة ،  
وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغوي إرجاعها إلى ذلك الأصل القديم .  
والعناصر التي تحتفظ بها لغات الفصيلة الواحدة هي تلك العناصر التي لا يصيبها  
إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها ، ورغم تطور فروع الفصيلة الواحدة .  
وتلك العناصر القديمة تكاد تنحصر في الأمور الآتية :

١ — الضائر .

٢ — الأعداد .

٣ — أسماء الإشارة والموصول .

٤ — الاشتراك في معاني نسبة كبيرة من الكلمات ذات الدلالات القديمة

كالأرض والسماء وألقاب الأسرة كالأب والأم والأخ والابن .

٥ — أدوات الربط بين أجزاء الجملة .

٦ — الاشتراك العام في كيفية تركيب الجمل .

أما تلك الصفات الصوتية التي تميز اللهجات ، فيمكن أن تلخص في النقط الآتية :

- ١ — اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية .
- ٢ — اختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات .
- ٣ — اختلاف في مقياس بعض أصوات اللين<sup>(١)</sup> .
- ٤ — تباين في النغمة الموسيقية للكلام .
- ٥ — اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض .

تلك هي أهم الصفات التي نلاحظ بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة . وليس من الضروري أن نجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات ، بل قد نشهد بعضاً منها فقط .

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض ، على قدر اشتغالها على الصفات السابقة ، وعلى قدر شيوع تلك الصفات فيها . فقد يكون للغة الواحدة لهجات متقاربة ، لا يفرق بين لهجة وأخرى منها سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات . في حين أن لهجات بعض اللغات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ، ولا يكاد يفهمها كل الأفراد في شعب من الشعوب .

ومن العسير أن نضع حداً أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة ، متى وجد امتازت لهجة عن أختها ، أو قيل إن هذه لهجة وتلك لهجة أخرى ، وكلاهما في لغة واحدة . نعم من العسير وضع هذا الحد الأدنى ، لأن عملية النطق ليست إلا نشاطاً عضلياً يختلف أداؤه باختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة . وقد برهنت

---

(١) أصوات اللين اصطلاح على حديث لا يسمى بالحركات طولها وقصرها انظر المؤلف

التجارب الدقيقة التي قام بها علماء الأصوات اللغوية على أنه لا يكاد يوجد شخصان في بيئة واحدة ينطقان نطقاً متماثلاً تمام التماثل ، بل لا بد أن نلاحظ الأذن المدربة بعض الفروق الصوتية الدقيقة . وقد ظهر هذا جلياً حين سجل نطق بعض الأفراد في البيئة اللغوية الواحدة . بل إن من العلماء من يؤكدون أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها ، وإن اشتركت نفس الكلمات في قوله . وذلك لأن عضلات النطق لا تؤدي عملها بنفس الصورة في كل مرة . على أن مثل هذه الفروق الدقيقة بين نطق المرء ونفسه في ظرفين متماثلين ، أو بين أبناء اللهجة الواحدة ، ليست من الأهمية في الدراسة اللغوية بحيث نغنى بها ، ونحللها ونشرحها . وإنما يكفي اللغوي عادة بملاحظة تلك الصفات العامة التي تميز لهجة من اللهجات ، والتي يشترك فيها كل أفراد تلك اللهجة ، وهي الصفات التي نراها ممثلة دائماً في كلامهم ، وتصدر عنهم بالسليقة دون تكلف أو تعمد .

هذا إلى أن الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعاً من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفه من الحرف أو بين اللصوص وطربدى القانون أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي .

وهكذا لا يكاد ينتهي مثل هذا التشعب في اللهجات . لهذا يكفي المحدثون في غالب الأحيان بالنظر إلى صفات اللهجة العامة ، تلك الصفات التي تنتظم جميع الأفراد في منطقة جغرافية معينة .

ولهذا كله كان من العسير تحديد الحد الأدنى الذي تتميز به اللهجات ، وإنما يمكن أن يقال إنه متى برزت صفات خاصة ، واتضحت للسامعين ، وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ، أمكن القول إن هناك لهجة قد نشأت وتميزت ، وتدرس حينئذ على أنها لهجة متميزة . وليس هناك رابط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة ، وبين سعة يبيتها أو عدد سكانها . فقد تتكون

لهجة مستقلة في بيئة جغرافية ضيقة قليلة السكان . غير أننا نلاحظ بصفة عامة أن اللهجات العربية القديمة كانت منعزلة في بيئات ضيقة قليلة السكان ، في حين أن اللهجات الحديثة قد اتسعت رقعتها ، وكثر المتكلمون بها .

فإذا وجد في بيئة اللهجة الواحدة منطقة صغيرة ذات خصائص متميزة تخالف ما يشيع في هذه اللهجة من صفات ، كأن نجد قرية تنطق بالقاف نطقاً يشبه الجيم غير المعطشة في وسط مديرية ينطق فيها بهذه القاف همزة ، سميت مثل هذه القرية جزيرة لغوية Speech - Island . ويعنى اللغوي الحديث بمثل هذه الجزائر اللغوية عناية كبيرة في دراسة اللهجات ، ويحاول أن يتعرف على تاريخ هذه القرية والسر في احتفاظها بمثل هذا النطق .

## كيف تتكون اللهجات

هناك عاملان رئيسيان يعزى إليهما تكوّن اللهجات في العالم وهما :

( أ ) الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

( ب ) الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة للغة الواحدة ، نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معاً .

فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها ، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية ، أو اجتماعية ، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة . فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحارى أو نحو ذلك ، بين بيئات اللغة الواحدة . ويترتب على هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض ، أو انعزالهم بعضهم عن بعض ، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين

أن تتطور تطوراً مستقلاً ، يباعد بين صفاتها ، ويشعبها إلى لهجات متميزة ، إذ لا بد من تطور الكلام وتغييره على مرور الزمن . ولكن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى ؛ لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات المنعزلة . ولو أمكن أن تتحد تلك الظروف لاتخذ الكلام طريقاً واحداً في تطوره ، وشكلاً واحداً في تغييره ، ولظلت البيئات المنعزلة ذات لهجة واحدة لا تشعب إلى صفات متباينة ، ولكن الواقع المشاهد أن البيئات متى انعزلت اتخذت أشكالاً متغايرة في تطور لهجاتها . فليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكون اللهجات ؛ بل يجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي ، واختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة فمن بين هذه البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً خاصاً ونظاماً خاصاً ، ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة ، أو تتصف بطبيعة خاصة في تربتها تصاح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة . فأبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية .

فتلك الظروف الاجتماعية التي لا تكاد تقع تحت حصر ، هي التي تساعد الانعزال الجغرافي على اختلاف الطريق الذي يسلكه الكلام في تطوره . وكما أن هناك اختلافاً بين الظروف الاجتماعية ، في البيئات المنعزلة من الأمة الواحدة ، هناك عوامل اشترك بينها جميعاً ، قد ترجع إلى رابطة سياسية أو نغمة قومية ، أو اتجاه خاص في التفكير . وتلك العوامل المشتركة بين بيئات الأمة الواحدة ، هي التي تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينها ، وتعرقل من ذلك التغيير الذي قد يباعد بين بيئتها . ولا يزال الأمر بين عوامل انفصال ، وعوامل اتصال ، هذه تباعد بين اللهجات ، وتلك تقرب بينها . ولكن الغلبة في جميع الأمثلة التاريخية كانت دائماً لعوامل الانفصال في آخر الأمر ، فتشعبت اللغات إلى لهجات ، واستقلت اللهجات وتميزت بعضها عن بعض . ولكن كان

لا بد لهذا الشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده .

وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يشعب اللغة الواحدة إلى لهجات ، تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام . وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للإسبانية والإنجليزية حين انتشر كلاهما في بقاع بعيدة ، الأولى في أمريكا الجنوبية ، والثانية في أمريكا الشمالية . وبدأنا الآن نلاحظ فروقا صوتية بين إسبانية أوروبا وإسبانية أمريكا ، وإنجليزية أوروبا وإنجليزية أمريكا .

فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بصفات خاصة .

أما العامل الرئيسي الثاني لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة . فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلم أهلها لغة أخرى ، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة ، وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تاما ، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة ، يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك .

وقد حدثنا التاريخ عن أمثلة كثيرة للصراع اللغوي . فقد غزا العرب جهات كثيرة متعددة اللغات واستطاعت اللغة العربية آخر الأمر أن تصرع تلك اللغات في مهدها ، وأن تحل محلها . فقد تغلبت على الآرامية في العراق والشام ، وعلى القبطية في مصر ، والبربرية في بلاد المغرب ، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة .

كما يحدثنا التاريخ أن غزو الرومان لجهات كثيرة في أوروبا ، جعل الرومانية تحل محل عدة لغات كان يتكلم بها في تلك الجهات .

وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي

فأروها أنواعاً، وقدرأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه :

١ — فهناك غزو كان الغزاة فيه قليل العدد، قد اقتصر على جيش قوى كامل العدة ، ظهر تفوقه ساعة القتال ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وبدأ الغزاة حياة سلمية مع أهل الأرض المغزوة ، ظهرت قلتهم ، وضعف أثرهم ، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية ، متأثرين بلغة البيثة الجديدة . غير أن اللغة المغزوة قد تستعير في مثل هذه الحالة بعض الكلمات والأساليب من اللغة الغازية ، كتلك التي تعبر عن نظام الحكم ، وأمور الجيش ونحو ذلك . وخير مثل لهذا غزو النورمنديين لإنجلترا في القرن الحادى عشر ، إذ تقلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما ، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثاراً ضئيلة باللغة الإنجليزية . ويطول زمن الصراع أو يقصر في مثل هذه الحالة ، على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة إحداهما من الأخرى ، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الأصلي ، وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ، ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزوة .

٢ — وهناك غزو كثر الغزاة فيه ، وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازى ، جاءت بطوائف كثيرة من الناس ، يستعمرون الأرض ، ويشتركون في مهنها وحررها ، ويلتمسون الرزق من مواردها ، زراعة أو صناعة ، فلا يدعون مجالاً لاجتلاب الخير إلا طرقوه ، ولا مورداً للحصول على نفع إلا أسرعوا إليه .

وفى مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكونون الطبقة العليا والوسطى ، فى حين أن من قهروا فى عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا ، تلك الطبقة الضعيفة المقعدة التى تعتز بصفات الغالب ، وبكل ما جاء به ، ومن بين ذلك اللغة . فلا تلبث اللغة المغزوة فى صراعها إلا زمناً قصيراً بعده تنهزم تاركة آثاراً ضئيلة جداً فى اللغة الغازية التى تشيع بين الناس ، وتصبح لغة الخاص والعام . وتكاد تنحصر تلك الآثار التى تخلفها اللغة المغزوة فى صفات صوتية خاصة ، أو بضع كلمات تعبر عن



مهن حقيرة، أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات .  
وخير مثل لهذا ، غزو الانجلوسا كسون لبلاد الإنجليز قديماً ، ذلك الغزو الذي قضى  
على اللغة « الكلتية » القديمة التي تركت آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الإنجليزية  
الغازية .

٣ — أما هجرة شعب إلى أرض معمورة ، دون غزو منظم تقوم به جيوش  
محاربة ، وإيما الأمر أمر منافسة في طلب العيش ، فقد حدثت أمثلة له في  
العصور التاريخية ، حين هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين ،  
وكونوا على أنقاض السومريين ، تلك المملكة التي عرفت فيما بعد بمملكة  
البابليين والأشوريين . وقد قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية بعد  
أن تركت في اللغة السامية آثاراً ، وأحدثت بها أحداثاً جعلتها تباين أخواتها  
السامية في جهات أخرى .

واحتكاك اللغات الغازية ومعها لهجاتها المتباينة ، باللغات المغزوة التي تشتمل  
على لهجات أيضاً ، يولد لنا أنواعاً جديدة من اللهجات . فنحن حين نستعرض  
اللهجات العربية الحديثة ، نراها قد اتخذت في مصر شكلاً من الأشكال يباين  
ذلك الذي اتخذته في العراق أو الشام أو بلاد المغرب .

ويمكن أن تعزى تلك المباينة بين اللهجات العربية الحديثة إلى اختلاف  
لهجات الغزاة من العرب ، وإلى التطور المستقل في تلك البيئات الجديدة ، وفوق  
هذا وذلك إلى أثر اللغات الأصلية في هذه البيئات . فقد تركت القبطية قبل زوالها  
آثاراً في العربية المصرية ، كما تركت الآرامية آثاراً مباينة في عربية بلاد الشام ،  
وكما تركت البربرية آثاراً أخرى في عربية بلاد المغرب وهكذا .

من أجل هذا نشهد الآن لهجات متباينة في البلاد العربية ، ويجب أن نعمل  
جاهدين على التقريب بينها .

## وحدة النطق في البلاد العربية

نزحت اللغة العربية من شبه الجزيرة مع الفتوح الإسلامية واستقرت في بيئات معمورة جديدة كانت أهلة بسكان يتكلمون لغات متباينة ، بعضها قريب الشبه بلغة الفاتحين والأخرى لا تكاد تمت إليها بصلة . وبدأ الصراع اللغوي يتخذ صوراً مختلفة في تلك البيئات المغزوة ، فهو هزيل حيناً وعنيف حيناً آخر ، حتى تم الفتح واستقرت الدولة العربية وكان أن انتظمت اللغة العربية تلك النواحي التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية ، والتي تعرف الآن بالدول العربية الشقيقة .

وقد نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المتعددة في صورتين : إحداهما موحدة منسجمة وتلك هي لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم ، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة والحجاز ، والأخرى تشمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية .

وقد ظلت اللغة الأدبية موحدة في البيئات العربية الجديدة زمناً طويلاً لم يصبها إلا القليل من التغيير حين استقلت هذه البيئات بعضها عن بعض ، ولكنها كانت دائماً مفهومة وفي متناول المثقفين من الناس الذين كانوا ولا يزالون القلة في تلك البيئات ، كما ظلت الآثار الأدبية القديمة نماذج تحتذى ويعتز بها وتقوم على دراستها والعناية بها تلك القلة من الناس في جميع عصورنا التاريخية .

ورغم ذلك الاستقلال السياسي الذي أصاب الدول العربية في عصور الانحلال ، فقد ظل الاتصال الثقافي وثيقاً ، يكتب المصري للعراقي كما يكتب

الشامى للمغربى ، فيقرأ بعضهم لبعض ويعجب بعضهم بمؤلفات بعض ، لأن أداة الكتابة كانت واحدة أو تكاد تكون واحدة ، ومحور الثقافة متحد بين الجميع إذ يجمعهم دين واحد وتقاليد متحدة إلى حد كبير .

وكان المصرى يرحل إلى بيئته بغداد ليقراً القرآن على قارىء مشهور ، أو ينزح المغربى أو الشامى إلى الديار المصرية ليقرى بعض الناس ما تيسر من كتاب الله . هذا إلى أن تدوين تلك المؤلفات فى كل نواحي الثقافة قد حد من تطور تلك اللغة وتغيرها ، وجعل منها أداة مشتركة بين البلاد العربية . وقد سلت من طفرات التطور والتغير لأن الآثار الأدبية التى سجلت بها فى العصور الأولى للإسلام قد ظلت بمثابة الحراس عليها ، إذ اتخذتها كل العصور مثلها العليا ، يهدف إلى احتذائها كل متعلم .

أما لغة الكلام وأحاديث الناس فى شؤونهم العامة وأداة التخاطب بينهم فى التفاهة من القول ، فقد اتخذ صورة خاصة فى كل بيئة من البيئات العربية . فلناس فى أغانيهم وفى أسواقهم وبين المرء وأهله ، وفى الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة قد اصطنعوا لهجات متباينة ، منها انحدرت تلك اللهجات العربية الحديثة التى نشاهدها الآن فى البلاد العربية ، والتى نلقبها حينئذ بالعامية وأخرى بالدارجة ، دون أن نحفل بها أو بدراسة خصائصها ، بل تركناها تنمو فى أفواه الكثرة من الناس وتتطور مع الزمان تطوراً مستقلاً فى كل بيئة من البيئات العربية ، حتى أصبحت لغة سايقة يتحدث بها المرء دون شعور بخصائصها .

وليس مما يهدف إليه هنا البحث عن كيف نشأت لهجات الكلام فى البيئات العربية ، وكيف تباينت هذا التباين الذى يباعد بين أبناء ثقافة وتقاليد متحدة الأصول ، بل يكفى أن نشير إلى أن الغزاة من العرب ومن تبعوهم فى الهجرات الكثيرة قد جاءوا باللهجات عربية قديمة اختلفت بعض الاختلاف .

وتلك اللهجات المختلفة هى التى صرعت لغات الكلام فى البيئات الجديدة

وحلت محلها بعد قرن أو قرنين من الزمان ، ولكن لا في صورتها الأصلية ، بل في صورة جديدة من بعض النواحي ، نتيجة صراعها مع تلك اللغات المغزوة التي لم تسلم قيادها إلى اللغة الغازية إلا بعد أن تركت بها بعض الآثار وصيغتها بصيغة خاصة . وقد اختلف الصراع اللغوي شدة وضعفاً في البيئات المفتوحة ، وحيث كان الصراع هزيباً ضعيفاً شهدنا اللغة العربية أو لهجات الكلام فيها تخرج من مثل هذا الصراع سالمة لم يمسه ضرر ، وهو ما يحدث في الجهات القريبة من شبه الجزيرة .

أما فيما بعد من الجهات فقد كان الصراع عنيفاً ، خرجت منه اللغة الغازية مشوهة لا نكاد ننتبين فيها كثيراً من صفاتها الأصلية . هذا إلى أن الصراع كان بين العربية ولغات متباينة ، مما جعل الأثر المتروك في اللغة الغازية متبايناً أيضاً .

فإذا أضيف إلى هذا أن البلاد العربية قد استقل بعضها عن بعض بعد سقوط الدولة العباسية ، وأن لهجات الكلام فيها قد أهملت وتركت وشأنها تنمو في الأفواه وتورث إلى الأجيال الناشئة في صور جديدة دون حد من هذا التطور المستقل ، أدركنا السرف فيما نشاهده الآن من فروق لغوية بين لهجات الكلام في البيئات العربية .

تلك هي الحقيقة التي لا نستطيع أن نفر منها ، بل يجب أن نواجهها في شجاعة ، وأن نهكر كيف تقرب بين هذه اللهجات حين ينطق أهلها جميعاً لغة واحدة هي اللغة الفصيحة .

واللغة من أقوى الدعائم على التوثيق بين الأفراد في الشعوب ، إن لم تكن أقواها . وأوضح العناصر اللغوية التي توحد بين البيئات تلك التي تتعلق بالناحية الصوتية منها ، لا سيما ونحن مقبلون على عصر فيه الدراسة اللغوية دراسة سمعية أكثر منها دراسة بصرية . فيجب ألا تنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن

في مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التي تعمل على توحيدها أو التقريب بينها .  
وليس أبعث على نفور العربي من أخيه العربي من أن يسمعه ينطق الكلام  
نطقاً يخالف نطقه . فإذا تم لنا التقريب بين نواحي النطق في البلاد العربية ، فقد  
تم لنا كل شيء . . . .

### عناصر اختلاف النطق :

وتكاد تنحصر نواحي الاختلاف الصوتي بين لهجات الكلام في الأمور  
الآتية :

١ — اختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة كالكاف التي هي في  
النطق الصحيح صوت شديد ، ونسمعها في بعض اللهجات الحديثة صوتاً أميل إلى  
الرخاوة ( تش ) كما هو الحال في بعض لهجات فلسطين وسوريا .  
وكالتف التي نسمعها الآن في أفواه المجيدين للقراءات صوتاً مهموساً رغم أن  
القدماء من علماء مخارج الحروف قد وصفوها لنا على أنها مجهورة . وكالطاء التي  
ينطق بها في معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً ، ومع هذا فقد رواها القدماء  
بين الأصوات المجهورة . وكالضاد التي تقرأ وصفها في كتب القدماء ثم لانكاد نجد لها  
في الأفواه ذكراً إلا ربمما في نطق بعض العراقيين لها وبعض البلاد العربية  
الأخرى . وكالجيم التي اختلفت بين اللهجات الحديثة فطوراً شديدة كما في  
النطق المصري ، وأخرى أميل إلى الرخاوة كما هو الحال في النطق الفصيح  
المروى في كتب القدماء ، وثالثة كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التي كثر تعطيشها  
كما في نطق المغاربة وبعض السوريين . وكالأصوات اللغوية ( الذال والطاء والظاء )  
التي يميل حتى المتعلمون منا إلى النطق بها زائياً وسيناً وزائياً مفخمة على الترتيب .  
ورغم أن القدماء قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفاً دقيقاً من ناحية المخرج  
والصفة ، ورغم تواتر القراءة القرآنية عن طريق التلقي والنشافة جيلاً بعد فقد جيل ،

تطورت بعض الأصوات في قراءتنا وأصبح بعضها مهموساً بعد أن كان مجهوراً، كما أصبح بعضها شديداً بعد أن كان رخواً. واختلف هـ في التطور بين بيثة وأخرى من البيئات العربية حتى أصبح الطفل العراقي الآن يخلط في إملائه بين الضاد والطاء، كما يخلط الطفل في بعض قبائل السودان بين القاف والغين، ولا بد لهذا من أن تتخذ نطقاً نموذجياً يخضع له الجميع ونورثه الأبناء في مدارسنا، نطقاً نشترك فيه حين نعود إلى اللغة الفصحى. والأمر في هذا هين سهل لا يجد المتعلم بعد المران الكافي مشقة أو عنتاً في تعود هذا النطق الذي نجتمع عليه.

فإذا لوحظت الفروق الضئيلة التي أشرت إليها سابقاً وأمكن اتخاذ نطق نموذجي موحد بيننا في هذه الفروق، لا نلبث أن نشهد وحدة تامة بين الدول الشقيقة فيما يتعلق بالأصوات الساكنة.

٢- اختلاف في نطق بعض أصوات اللين Vowels. تلك الأصوات التي سماها بعض القدماء بالحركات حين تكون أصوات اللين قصيرة، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد. ونحن في الاصطلاح العلمي الحديث نجتمع بين هذه وتلك قسمها جميعاً أصوات اللين، لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس إلا فرقاً في الكمية. وكذلك الحال بين الكسرة وياء المد. وينظر إليها المحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة، لأنها جميعاً تكون مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال ببعضها ببعض.

ورغم توارث القراءات القرآنية جيلاً بعد جيل عن طريق التلقي والتلقين، فقد أهمل في أمر أصوات اللين العربية ولم يعن بها القراء عناية كافية، بل تركت وشأنها تتخذ في الأفواه أشكالاً كثيرة حتى صارت إلى ما نشهده الآن من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة. وكان القدماء قد ظنوا خللو الرسم العربي من هذه الأصوات في غالب الأحيان، أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة، في حين أنها لكثرة شيوعها في الكلام والنطق، أوضح وأبرز في تكوين الفروق بين اللهجات.

لهذا أكرر القول بأن الانسجام في أصوات اللين أولى بالعناية من الأصوات الساكنة ، بل تلك هي المشكلة الخطيرة التي يجب أن نواجهها وأن نعمل على حلها ، وذلك بأن نتخذ مقاييس خاصة لأصوات اللين نمرن عليها وتعودها ولا نحميد عنها مهما صادفنا في هذا من عنث وعسر .

٣ — اختلافنا في موضع النبر من الكلمة : وهذا هو المظهر الصوتي الثالث الذي يفرق بين النطق في البلاد العربية ، بل ويفرق أيضاً بين لهجات الكلام في الإقليم الواحد حتى في نطقهم القرآن الكريم . فاستمع مثلاً إلى قاهري أو من أبناء الوجه البحري يقرأ قوله تعالى « فتحرير رقبة مؤمنة » أو قوله « ويل لكل همزة لمزة » فستراه يضغط في الكلمات ( رقبة ، مؤمنة ، همزة ، لمزة ) على مقطع خاص في كل منها يخالف ما يصنعه الرجل من أهل الصعيد حين يقرأ هاتين الآيتين . ذلك هو مثل واضح يبين ما نعني باختلاف موضع النبر بين نطق أبناء الدول الشقيقة .

### وسائل توحيد النطق :

بقي بعد هذا أن أعرض عرضاً سريعاً لبعض الوسائل التي أرجو أن تمكنا من التغلب على تلك الحوائل الصوتية التي تفصل بيننا وتجعل نطقنا متبايناً .

ليس من المعقول طبعاً أن نطمح في جعل كل فرد من المتعلمين يدرك تلك الفروق الصوتية إدراكاً علمياً ، بل إن هذا يكاد يكون مستحيلاً . وإنما الذي يمكن أن نهدف إليه هو أن نتخير طبقة منهم تدرك تلك الفروق ذلك الإدراك العلمي بعد دراسة مستفيضة لها في معاهد المعلمين . فلنعمل إذن على تكوين ما أسميه بالمدرس الخاص أي الذي يصاح للتدريس في بيئة معينة من البيئات العربية يكون قد درس دراسة علمية صحيحة عاداتها الصوتية ، تلك العادات التي كونتها لهجة الكلام فيها ، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ، ثم يكون مع هذا

على علم تام بمخصائص النطق النموذجي الذي نهدف إليه والذي نرجو أن ينتظم كل البيئات العربية ، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجة الكلام في كل بيئة وتلك الصفات الصوتية التي ستم المواضعة عليها في النطق النموذجي للغة الفصحى . فتي عرف كل هذا سهل عليه تخير النماذج الخاصة التي يدرب عليها تلاميذه الصغار تدريباً سمعياً دون حاجة إلى الالتجاء إلى اصطلاح فني أو شرح علمي .

ويمكن أن يختار هذا النوع من المدرسين اختياراً خاصاً من بين أولئك الذين لهم آذان موسيقية مرهفة ومن وهبوا القدرة على تقليد الأصوات . وحين نصلح على النطق النموذجي الذي نرتضيه جميعاً يسجل هذا النطق تسجيلاً صوتياً ويدرس دراسة علمية مفصلة لهذا النوع من المعلمين في معاهدهم ، فإذا انتهوا من هذا وزعوا على البيئات العربية ليكونوا رسل الوحدة الثقافية بين هذه البلاد ، عنهم يتلقى التلاميذ الصغار ذلك النطق النموذجي بطريق المحاكاة والتلقين . ومن حسن الحظ أن الصغار من النشء أقدر على التقليد والمحاكاة .

وهناك وسائل أخرى ربما تكون أعم نفعاً ، لأنها تكفل لنا تكرار هذا النطق النموذجي على آذان الناس في كل وقت وكل مكان ، لا تقتصر على البيئة المدرسية ، بل يتأثر بها الخاص والعام أيضاً كانوا ، وتلك هي الإذاعة وأفلام السينما والروايات المسرحية . فإذا نشأنا المذيعين والممثلين تنشئة خاصة راعينا فيها العناية بنطقهم وجعلنا منهم أداة نافعة لنشر ذلك النطق النموذجي بين الناس يسمعونهم فيحاولون تقليدهم ، استطعنا بهذا أن نقطع شوطاً بعيداً فيما نهدف إليه من تقريب النطق بين أبناء الدول الشقيقة . ولا مناص من جعل أداة القول في كل هذا تلك اللغة الفصيحة التي نقرأها في تراثنا الأدبي القديم وفي صحفنا ومجلاتنا الحديثة ، ففيها قدر مشترك كبير بين جميع البلاد العربية .



## الفصل الثاني

- ١ -

### اللغة العربية قبل الإسلام

طفولة اللغة العربية:

حين تفكر في حال اللغة العربية قبل ظهور المسيحية مثلا نجد أنفسنا في ظلام دامس ، فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع إلى تلك العهود . فأقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي . وليس معنى هذا أن اللغة العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية ، أو أنها أحدث من شقيقتها السامية كالعبرية مثلا ، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى . ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها من اللغات السامية، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل ، وفيها صيغ كثيرة لجموع التكسير ، وغير ذلك من ظواهر لغوية ؛ يؤكد لنا الدارسون أنها كانت سائدة في السامية الأولى التي انحدرت منها كل اللغات السامية المعروفة لنا الآن . أي أن لغة سامية كالعبرية مثلا قد مرت بها مراحل من التطور والتغير أبعدها عن السامية الأولى أكثر مما مرّ باللغة العربية التي انزلت في شبه الجزيرة واقتصرت تطورها أو تغيرها على ظواهر قليلة بالنسبة لشقيقتها من الساميات .

ولعل أوضح تفسير لندرة النصوص العربية التي يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية هو شيوع الأمية في شبه الجزيرة ، وأن العرب قبل الإسلام لم

يكونوا أهل كتابة وقراءة<sup>(١)</sup>. فلدينا من النصوص العبرية مما يرجع إلى القرون الثمانية قبل الميلاد الشيء الكثير، نراها ممثلة في نصوص التوراة وكتب الأنبياء وغيرها من نصوص العهد القديم. في حين أن أقدم نصوص العربية على الصورة المألوفة لنا لا تكاد تتجاوز قرنين من الزمان قبل الإسلام، وتلك هي النصوص التي ندرسها ونسميها بالأدب الجاهلي. أي أننا نجعل جهلاً تاماً ما يمكن أن يسمى بطفولة اللغة العربية، ويحاول الدارسون جاهدين أن يستشفوا شيئاً عنها بالدراسة المقارنة للغات السامية ونصوصها التي انحدرت إلينا.

ومع هذا يصّر بعض المستشرقين على أن كثيراً من النقوش التي عثروا عليها في شمال شبه الجزيرة يمثل لغتنا العربية في العهود التي سبقت الأدب الجاهلي.

فقد عثر بروفير « ليمان » وحده على نحو ١٤٠٠ نقشاً حاول فك رموزها وتفسير كلماتها، وقرر أنها صورة للغة العربية قبل العصر الجاهلي. على أن هذه النقوش نخلوها من النقط والحركات، بل ومعظم حروف المد، كانت محل خلاف كبير بين الدارسين في تفسيرها، فلم يهتدوا في شأنها إلى رأى حاسم قاطع.

ومن أشهر هذه النقوش التي يقال إنها تمثل اللغة العربية قبل الأدب الجاهلي ثلاثة نقوش :

(١) نقش « النمارة » وهو قصر صغير بالقرب من دمشق لأمريء القيس أحد ملوك الحيرة. ويبدأ النقش بالنص التالي : « تي نفسى مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج . . . » .

ويرجع تاريخ هذا النقش كما يؤكد الدارسون إلى سنة ٣٢٨ م. ويلاحظ

(١) أنظر دلالة الألفاظ ص ١٨٧ .

أن به كلمة « بر » بمعنى « ابن »، وكلمة « بر » هذه هي الصورة الآرامية لكلمة « ابن » المألوفة في كثير من الساميات الأخرى .

(ب) نقش « زيد » وهي أطلال بالقرب من حلب ، ويسجل هذا النقش تاريخ تشييد كنيسة في تلك المنطقة . ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ م .

(ح) نقش « حوران » وعثر عليه جنوب دمشق ويقال إنه يرجع إلى سنة ٥٦٨ م أي أيام ولد النبي « محمد » . ومع ذلك نجد فيه كلمات لا تعرفها العربية مثل كلمة « المرطول » بمعنى الكنيسة ، كما نرى فيه كلمة « بر » الآرامية ويبدأ نص هذا النقش كما يلي : « أنا شرحيل بر ظلموا »<sup>(١)</sup> !!

وحين نسلم جدلاً أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية يجب أن نعترف أن نصوصها ضحلة لا تقنع الباحث لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية في تلك العهود ، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفيراً صغيراً من أسفار العهد القديم . هذا إلى أن كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص ولا تكاد تجدى مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي . وفوق هذا وذلك تعرض هذه النقوش لأمر متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر ، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها يتكرر ويجعل نصوصها قليلة القدر لا تكفي في بحث لغوي جدي ، ولكنها ربما تفيد بعض الفائدة في البحث التاريخي .

على أننا بعد استعراض كثير من هذه النقوش نرى لغتها مزيجاً غريباً .  
فبينها وبين اللغة العربية المألوفة لنا وجوه شبه ووجوه خلاف .

أما وجوه الشبه فهي أن نصوص هذه النقوش تتضمن من الأصوات ما لم يعد موجوداً في الساميات الأخرى مثل [ ذ ث ظ غ ض ] . وفيها كلمات كثيرة

مشتركة مع العربية في معناها وصورتها ككلمة « الإله » ، ومعظم الأعلام بها أعلام عربية مثل امرئ القيس ، كعب وغيرهما . ويلحظ الدارسون في لغة هذه النقوش أن بها آثاراً لظاهرة الإعراب التي تعدّ من أخص خصائص اللغة العربية وفيها كذلك التعبير عن التفضيل بصيغة خاصة كما في العربية .

أما وجوه الخلاف فلعل من أهمها استعمال كلمة « بر » الآرامية بدلا من كلمة « ابن » ، ووجود كلمات لا تعرفها العربية كالمرطول بمعنى الكنيسة . ولعل أهم من هذا وذلك أن أداة التعريف بهذه النقوش هي الأداة المألوفة ، في الآرامية .

ليس من الإسراف إذن أن نقرر أن لغة هذه النقوش مزيج من اللغتين العربية والآرامية ، وأنها كانت لغة قوم من العرب عاشوا في قديم الزمان في شمال الجزيرة العربية وتأثرت لغتهم بالآرامية .

لهذا كان من رأي المتواضع عدم الاعتماد على لغة النقوش في دراسة طفولة اللغة العربية ، فانهين بدراسة تلك النصوص ، التي لا نشك في صحتها من الأدب الجاهلي ، ففيها القدر الكافي لتوضيح حال اللغة العربية قبل الإسلام .

### لغة الأدب الجاهلي :

حين نعرض للغة العربية قبل الإسلام ، لا يريد أن نذهب إلى أبعد من تلك العصور الجاهلية التي رويت لها آثار أدبية من شعر أو نثر .

والذي تحققت صحته من تلك الآثار الأدبية . لا يكاد يجاوز قرناً أو قرنين قبل ظهور الإسلام . وقد ظلت تلك الآثار الأدبية تتناقلها الألسن ، وتميها الحافظة زمناً لبس بالتصير . ومهما يكن من عناية العرب بأدابهم ، واعتمادهم على الذاكرة ، حين فقدت وسائل التدوين ، وشاعت الأمية بينهم ، هم ايكن

من قوة هذه الذاكرة ، فلا شك أن تلك الآثار قد اعتورها من عوامل النقص والزيادة ، وضعف الرواية في بعض الأحيان ، مما جعل العلماء قديمهم وحديثهم يتشككون في صحة بعض تلك الآثار ، أو على الأقل في نسبتها لأصحابها ، لأنه قد مرت فترة تزيد على قرنين بين عهد أنشئت فيه تلك الآثار وعهد التدوين .

والتاريخ السياسي والاجتماعي لجزيرة العرب قبل الإسلام ، غامض في كثير من نواحيه ، وما روى عنه فيما بعد قد اشتمل على كثير من الروايات التاريخية التي تعوزها دقة الرواية والتحقيق العلمي . ومع هذا فمستطیع مما روى لنا أن تصور جزيرة العرب في الجاهلية منقسمة إلى بيئتين تكادان تكونان مستقلتين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية : البيئة الأولى بيئة الحواضر في مكة ويثرب وفي مدن اليمن الكبرى ، وبلاد الحيرة جنوب العراق وعلى حدود الصحراء وبلاد الفساة جنوب الشام ، والبيئة الأخرى البيئة البدوية المتنقلة التي لا تكاد تستقر على حال .

ورغم تلك العوامل السياسية والاجتماعية التي قربت بين البيئتين قبل الإسلام ، من مواسم للحج ، وأسواق للتجارة ، فقد ظل النظام في البيئة البدوية قليلاً ، فيه الاعتزاز بالقبيلة ورؤسها ، وما يمكن أن يكون فيها من تقاليد خاصة تمسكوا بها وذاذوا عنها . ولم يتوثق الاتصال بين هاتين البيئتين إلا قبيل الإسلام بعد أن ظلت الجزيرة عشرات من السنين قبل هذا مفككة الصلات ، تكونت فيها جماعات من الناس استقلت بحياتها وتقاليدها ، وانعزلت بعضها عن بعض .

فأبعد ما يمكن أن نتصوره لجزيرة العرب هو أن نراها مكونة من وحدات منعزلة تتمثل في قبائلها . وانعزال تلك القبائل بعضها عن بعض ، واستمسكهم بنظامهم وتقاليدهم ، قد أدى إلى نشأة اللهجات العربية القديمة التي روى لنا طرف

منها في كنب اللغة والأدب والتاريخ . ورغم اشتراك القبائل في بعض النظم الاجتماعية ، قد دعت تقاليدھا الخاصة ، وبيئاتھا الجغرافية الخاصة ، إلى تطور مستقل في لهجاتھا ، وكان من نتیجته تلك الصفات الخاصة التي نلاحظھا في لهجة كل قبيلة . فالقبيلة التي دعت ظروفھا إلى شن الغارات وإلى التفرقة بين المرء وأهله ، وبعد الأطفال عن رعاية أهليهم ورقابتهم ، ليست كذلك التي ظلت زمناً طويلاً هادئة وادعة قد توثقت فيها الصلة بين أفراد الأسرة . لأنه في الأولى ينشأ الأطفال منعزلين قليلي الاحتكاك والاتصال برجال القبيلة . ومثل تلك الحال تساعد على نمو تلك التطورات اللغوية التي يعزوها المحدثون عادة إلى الأجيال الناشئة وأخطائهم . فإذا مر جيل أو جيلان رأينا تلك التطورات التي لم تكن في بادئ الأمر إلا أخطاء أطفال لم تصاح في حينها ، قد أصبحت فيما بعد عنصراً صحيحاً معترفاً به بين المتكلمين بهذه اللهجة . هذا إلى ما قد يكون للأمھات من أثر في تطور اللهجة من حال إلى حال ، وكل هذا نتيجة الانعزال بين رجال القبيلة ونسائها وأطفالھا لظروف اجتماعية خاصة .

أما حيث تتوثق الصلة بين أفراد القبيلة فنلاحظ أن التغير يكون بطيئاً ، ولكنه ينمو أيضاً مع الزمن ، لأن الكلام عملية عضوية لا تؤدي دائماً بشكل واحد ، فلا تلبث الأجيال المتعاقبة أن تتوارث صوراً مختلفة منه ، ثم تترك تلك الاختلافات حتى تصبح صفة خاصة .

فاللهجات العربية القديمة هي نتيجة انعزال القبائل أولاً ، ونتيجة التطور المستقل لكلام كل قبيلة ثانياً . ولا بد من مرور زمن طويل قد يبلغ قرنين أو ثلاثة قبل أن تتبلور تلك الصفة وتصبح من مميزات قبيلة من القبائل .

وليس يعني هنا البحث عما كانت عليه تلك اللهجات القديمة قبل العصور الجاهلية التي روى لنا الشيء الكثير عنها ، ولا البحث عن المراحل التي مرت بها

حتى صارت على الصورة التي رويت لنا في كتب التاريخ والأدب ، وإنما الذي نهدف إليه هنا هو أن نصور تلك اللهجات التي نعرفها من روايات الرواة تصويراً علمياً صحيحاً بقدر الإمكان .

نحن إذن أمام لهجات مستقلة ذات صفات خاصة، تميزت بها القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية التي أدت آخر الأمر إلى ظهور الإسلام . فلما دعت الحاجة إلى اتصال تلك القبائل في مواسم الحج قبل الإسلام وإلى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التي سميت بالأسواق ، بدأت الحاجة إلى وسيلة للتفاهم تجمع بين تلك القبائل . وهنا نشهد ما يحدث عادة بين البيئات المنعزلة حين تبغى الوحدة، إذ تتخذ مركزاً واحداً تتطلع إليه ، وتطمئن إليه ، لما يمتاز به من نهضة في الثقافة أو نفوذ سياسي .

وليس هناك ما يقرب بين الجماعات المتنافرة ، كاللغة الموحدة التي تجمع شملهم وتلم شتاتهم .

فلما بدأت عوامل الوحدة السياسية والثقافية بين القبائل تهيأت كل الظروف لجعل مكة مركزاً لتلك الوحدة ، وبدأ رؤساء القبائل يهدون إليها يحجون ذلك البيت الذي قدسوه قبل الإسلام ، كما وفدوا للتجارة ، وليشهدوا منافع لهم في أسواق كانت مجالاً للثقافة بين القبائل ، فيها تعقد المناظرات الأدبية والمساجلات من شعر أو خطابة . ويذكر الرواة أن أسواق العرب قبل الإسلام كانت في أرجح الآراء ثمانى أسواق أشهرها : « عكاظ » وهي السوق العامة للعرب وكانت تعقد حول مكة في أوائل شهر ذى القعدة . وكانت سوق « الجنة » تعقد بعدها في أواخر هذا الشهر ، ثم تعقد سوق « ذو الحجاز » في أوائل شهر ذى الحجة . أما سوق « خيبر » فكانت تعقد بعد أشهر الحج .

وليؤدى الخطيب رسالته كاملة واضحة، وليترك سامعيه مشدوهين معجبين

بقوله وبلباقته ، كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجة من اللهجات ، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها ، وألقوها جميعاً . كذلك كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو مجعجة أو كشكشة ، لينال إعجاب سامعيه ، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم . وإلا فكيف كان من الممكن أن يفضل شاعر على شاعر في تلك المناظرات إذا كان المقياس مختلفاً ، وأداة القول متباينة .

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة مختارة الألفاظ يعتمد إليها الشاعر والخطيب كما عن له القول . وتلك كانت اللغة النموذجية ، لغة الخاصة من الناس ، اللغة التي استحكمت أن تروى آثارها ، ويعتز بها طويلاً .

وظلت مع هذا كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب العادي بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض . فالوحدة اللغوية بدأت قبل ظهور الإسلام ؛ بل وامت وازدهرت ، وعرف كثير من العرب من قبائل مختلفة بفصاحة القول وإجادة الشعر . لأن إتقان تلك اللغة الأدبية كان موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس ، يحاولون إتقانها والتفنن في نواحي القول بها .

وعلى هذا إذا قيل لنا إن القرآن الكريم قد تحدى الفصحاء من العرب ، فليس يعنى هذا أنه تحدى جميع العرب ؛ وإنما قد تحدى أولئك الذين كرسوا حياتهم على نواحي القول فأجادوها خطابة وشعراً ، أولئك الذين هم خاصة العرب والمتقنون منهم . وليست كل الثقافة قراءة أو كتابة ، فربما كان بين الأميين متقنون تفتقت أذهانهم ، ونظروا إلى الحياة نظرة أوسع وأشمل من كثير ممن يحسنون تلك الوسيلة الناقصة التي تسمى بالكتابة .

وأم وسيلة في الثقافة اللغوية هي تلك الوسيلة الطبيعية التي عن طريقها تعلمنا



الكلام ، أعنى وسيلة السماع .فهى أسرع وأدق من وسيلة الكتابة والقراءة ، ولكن نفعها مقصور على السامعين ،وعلى أولئك الذين تتاح لهم الفرص ليشهدوا مجال القول ممن وهبوا اللياقة فى الكلام ، والذلاقة فى اللسان .

وإذا كان للقراءة والكتابة فضل فهو الشمول ، واتساع دائرة الثقافة . لهذا كانت الثقافة اللغوية فى الجاهلية مقصورة على أولئك الذين شهدوا مجالس الخطابة والشعر ، وهم الخاصة من الناس .

ولما جاء الإسلام ، ونزل القرآن بتلك اللغة الأدبية قوئى من تلك الوحدة اللغوية التى كانت قد نمت وازدهرت قبل نزوله ، وزاد فى شمولها لأن الرغبة الدينية ، وقوة الشعور الدينى قد دعا كثيراً من العامة إلى تفهم الكتاب الكريم والتعبد به . ولم يكن الأسلوب القرآنى فى متناول جميع العرب ، بل كان أسمى من هذا وأرقى . فقد جاء يتخدى الخاصة منهم ، وظل حتى الآن يتخدى الخاصة مناه . ولم يمنع هذا أن يبجل فى كل جيل ، وأن يتميد به فى كل زمان .

وإلا فكيف تتصور أن عمر بن الخطاب وهو من خاصة العرب وفصحائهم لا يدرى معنى كلمة « أبا » فى قوله تعالى « وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم »! وكيف تتصور ما أجمعت عليه الروايات من أن بعضاً من فصحاء العرب وأهل البيان فيهم كانوا يؤخذون بروعة الأسلوب القرآنى حين سماعه للمرة الأولى فيسلمون ويصدقون ما جاء به الرسول الكريم :

فقد أسلم عمر بن الخطاب حين سمع سورة طه ، وأسلم جبير بن مطعم حين دخل على النبى وهو يقرأ « والطور وكتاب مسطور » إلى قوله « إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع » ، فقال جبير : خشيت أن يدركنى العذاب ، ثم أسلم . كذلك ماروى من أن جماعة من قريش بمشوا بعتبة بن ربيعة إلى النبى ليكلمه

وكان حسن الحديث عجيب الشأن بايغ الكلام وأرادوا أن يأتيهم بما عنده ،  
فقرأ النبي سورة « فصلت » من أولها حتى انتهى إلى قوله « فإن أعرضوا فقل  
أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » ، فوثب عتبة مخافة العذاب ثم أسلم .  
ولله در الباقلاني<sup>(١)</sup> حين يصف إعجاز القرآن وسموه عن مستوى متوسطي  
الناس ، بل حتى عن المتناهين في معرفة الشعر وحده ، أو المتناهين في معرفة  
الخطب والرسائل وحدها فيقول :

« وقد علمنا تفاوت الناس في إدراكه ومعرفة وجه دلالاته ، لأن الأعمى  
لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه ، وهو يحتاج في معرفة ذلك إلى  
أمور لا يحتاج إليها من كان من أهل صنعة النضاحة . فإذا عرف عجز أهل  
الصنعة حل محاهم وجرى مجراهم في توجه الحجّة عليه . وكذلك لا يعرف المتوسط  
من أهل اللسان من هذا الشأن ما يعرفه العالي في هذه الصنعة . فربما حل ذلك  
بمثل الأعمى في ألا تتوجه عليه الحجّة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه .  
وكذلك لا يعرف المتناهي في معرفة الشعر وحده أو الغاية في معرفة الخطب  
والرسائل وحدهما غور هذا الشأن ما يعرف من استكمل معرفة جميع تصاريف  
الخطاب ووجوه الكلام وطرق البراعة ، فلا تكون الحجّة قائمة على المختص  
ببعض هذه العلوم بانفرادها دون تحمته بعجز البارِع في هذه العلوم كلها عنه .  
فأما من كان متناهياً في معرفة وجوه الخطب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن  
فيها إظهار الفصاحة فهو متى سمع القرآن عرف إعجازه » .

ولا معنى لأن نناق مع بعض الرواة الأقدمين فننسب لكل العرب  
الفصاحة في القول ، والإجادة في صناعة الكلام ، إذ ليس العرب إلا شعباً  
ككل الشعوب فيهم القائلون ممن وهبوا تلك الصفة ، وأغلبهم من العامة الذين

يكتفون في حياتهم بنصيب ضئيل من حسن القول وفصاحته .

وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء ، وشعر بها الشعراء ، ونزل بها القرآن الكريم ، لم تكن لغة تخاطب للناس في حياتهم العامة ، بل يجب أن تنزه عن هذا ، وأن ترقى بها إلى مستوى أرفع منزلة من أساليب التخاطب . لم تكن إذن لغة سليقة يتكلمها الناس دون شعور بخصائصها ، بل كان المتكلم بها يشعر كل الشعور بنواحي القوة والجمال فيها ، ويتطاع إلى إجادتها وتحسينها . أما لغة التخاطب فهي تلك التي يمكن أن يقال إن الناس كانوا يتكلمونها بالسليقة ، ويؤدون بها التافه من شؤونهم ، لا يعمدون إليها عن قصد ، ولا يتخيرون ألفاظها ، بل يكتفون منها بتأدية الأغراض العامة في الحياة العادية ، فإذا جد الجد وتطلب المجال نواحي خاصة من القول ، نواحي جدية لا يعمد إليها في كل يوم ، لجأ المتكلم من الخاصة إلى تلك اللغة الأدبية ، وراآها أهلاً لذلك .

لهذا رويت لنا الآثار الأدبية القديمة في لغة موحدة ، لا تشمل على خصائص من تلك التي رويت عن اللهجات العربية القديمة . ولا يعقل أن الرواة روهوا موحدة ، وغيروا تلك الصفات الخاصة التي يمكن أن يكون قد اشتمل عليها شعر شاعر من قبيلة عرفت بلهجة من اللهجات ، لأن مثل هذا التغيير ليس ممكنًا في كل الحالات . فإذا أمكن عمله في النثر فإن الوزن الشعري يأباه في بعض الأحيان .

ونحن حين نستعرض شعراء قبيلة تلك القبيلة التي عرفت بالكشكشة لانكاد نلمح أثرًا لتلك الصفة في شعر شعرائها ، ورواية شعر فيه كشكشة بشعر خال منها تأباه بعض الأوزان الشعرية .

بل حين نرجع إلى ديوان المهذلين<sup>(١)</sup> نستشف منه الصفات التي عرفت

(١) طبع دار الكتب .

بها لهجة هذيل كاللفحفة أو تسهيل الممز أو الاستثناء ، لانكاد نثر على  
أرلها في أشعارهم . وكل الذي نراه في الديوان مما ينسب إلى هذيل وحدها  
لا يعدوان يكون بضع كلمات قيل لنا إنها بلفظها ومعناها قد اختصت بها هذيل  
مثل : إبل ضحاح أى كثيرة ولا يعرف هذا غير هذيل ، والخيطه أى الوتد، أو  
بمعناها فقط مثل : الطّرف بمعنى الفتى الكريم والجحش بمعنى الخشف . وهناك  
كلمات وردت بالديوان فى صيغة مخالفة لما اشتهر عنها مثل : سميح بمعنى سمج ،  
نجد بمعنى نجد ، والسبب بمعنى السبب أى الحبلى . ويوصف كل هذا بأنه لغة  
هذيل !!

ويظهر أن شراح الديوان حين كان يعيهم تفسير كلمة من الكلمات أو  
تبرير صيغتها كانوا يعدون إلى القول بأنها لهجة هذيل . فليس ماورد بالديوان  
مما يسمى بلغة هذيل إلا نوعاً من مما حكوات المفسرين والشراح .

أنظر مثلاً إلى قولهم إن البيت :

بأسفل ذات الدبر أفرد خشفها فقد ولت يومين فهى خلوج<sup>(١)</sup>  
قد روى بكلمة « جحش » بدلا من « خشف » ، ثم يزعمون أن الجحش  
بمعنى الخشف عند هذيل ، فى حين أن كلمة الخشف قد استعمالها الشاعر بمعناها  
المعروف وهو ولد الظبية فى مواضع أخرى من الديوان .

كذلك حين يروون للبيت :

تروت بماء البحر ثم تنصبت على حبشيات لمن نثيج<sup>(٢)</sup>  
رواية أخرى ويقولون :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لمن نثيج

(١) ذات الدبر : موضع ، خلوج انتزع منها ولدها .

(٢) نثيج : مر سريع مع صوت

لا لشيء سوى أن يزعموا لنا أن « متى » في لهجة هذيل لها معنى خاص !  
و حين يتخبطون في شرح البيت :  
على أطرقا باليات أنخيا م إلا التمام وإلا المعى<sup>ء</sup>  
فبينما يقول بعضهم إن « أطرقا » موضع ، يقول آخرون إنها جمع طريق  
على لغة هذيل !!

وبينما يقول الأخفش إن « نُجِد » لغة هذيل في « نجد » ، نرى الصيغتين  
مستعملتين في شعر الهذليين .

وهكذا نرى أن لغة الشعراء على الأقل قد خلت من صفات اللهجات التي  
اشتهرت بها القبائل ، مما يجعلنا نرجح أن اللغة الأدبية كانت موحدة قبل الإسلام  
وظلت موحدة بعده ، وقد خلت من الصفات الحامية للهجات ، تلك الصفات التي  
نفر منها خاصة العرب ، وأصبحت بعد الإسلام موضع السخرية في كثير من  
الأحيان . فقد رويت لنا روايات كثيرة عن بعض الأعراب وقد حضروا مجالس  
الخطباء ولا سيما أمام معاوية ، حين برئوا من طمطمانية حمير وعبجعة قضاة ،  
وعدوا أمثال تلك الصفات بعداً عن الفصاحة ، بل تكاد تكون نوعاً من  
الرتانة أو العجمة .

قال الجاحظ في البيان والتبيين<sup>(١)</sup> [ سأل معاوية يوماً : من أفصح الناس ؛  
فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن كشكشة تميم وتيامسروا  
عن كسكسة بكر ، ليست لهم غفمة قضاة ولا طمطمانية حمير ، قال من هم ؟  
قال : قریش . ]

(٢)

## كيف كان ينظر إلى اللهجات

لقد اختلفت النظرة إلى اللهجات العربية باختلاف العصور ، والعوامل السياسية والاجتماعية في كل منها :

فقبل الإسلام استمكت كل قبيلة بصفات الكلامية ، في حديثها العادي وفي لهجات النخاطب ، ولكن الخاصة من الناس في تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التي نشأت في مكة ، في شئونهم الجدية يخاطبون بها وينظمون الشعر ، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال . حتى إذا عادوا إلى بيئتهم تحدثوا إلى الناس في الشئون العامة بمثل لهجتهم ، لئلا تنفر منهم النفوس . وإنما مثاهم في هذا مثل بعض الأعيان من أهل الريف المصرى حين يفدون إلى القاهرة ، ويخالطون المثقفين فيها فلا نكاد نلاحظ في كلامهم صفات خاصة تنبئ عن بيئتهم الريفية . فاذا عمدوا إلى مقرم الأصيل سمعهم يخاطبون الناس بلهجاتهم كأن لم يبرحوا تلك البيئات ولا يوماً واحداً . وأولئك الخاصة من أعيان الريف يجعلون لكل مجال ما يناسبه من القول ، فهم بين المثقفين من القاهريين مثلهم ، وهم بين أهليهم في البيئة الريفية مثلهم أيضاً .

تلك هي الحال التي كانت شائعة بين الخاصة من رؤساء القبائل ، يرونها عيباً أن يخاطبوا في سوق كسوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم ، كما يرونها عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات . هذه حال كانت مأوفة بين القبائل ، متواضعاً عليها ، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها .

فلما جاء الإسلام ، وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً ، سمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات التي لم يكن في مقدور العامة غيرها . فالقرآن الكريم وإن نزل ، بلهجة موحدة ، ولغة أدبية موحدة ، أتيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة ، تيسيراً على عامة العرب ، وتأليفاً لقلوبهم ، وهذا هو معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وسنعرض فيما بعد إلى ما اشتملت عليه القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة .

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة ، فكان لابد لضمان وحدتها ، والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية ما قد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها ، فأهمل أمرها ، ولم يرو عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ . بل إن ما روى عنها جاءنا مبتوراً ناقصاً في معظم الأحيان . ولسنا نعلم مؤلفاً من علماء العرب ، على وفرتهم واهتمامهم بكل دقائق الدراسة اللغوية ، قد عنى باللهجات العربية عناية خاصة فأفرد لها كتاباً مستقلاً . وكل ما نعلمه عن تلك اللهجات من روايات الأقدمين لا يعدو أن يكون مجرد إشارات مبعثرة هنا وهناك ، تضمنتها كتب التاريخ والأدب .

ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى ، فينسبون الفصاحة لهذه ، وينكرونها على تلك ، فقد رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية . فلم يأخذوا عن قضاة لجاورتها بلاد الرومان ، واحتمال تأثرهم بلغة الروم في حدود سوريا وفلسطين . كما رفضوا الأخذ عن تغلب والنمر ، لقربهم من أرض الجزيرة وتأثرهم بالفارسية واليونانية . كما أنكروا الفصاحة على بكر لاتصالهم بالفرس والنبط .

وقالوا أيضاً إن اختلاط قبائل اليمن بالحبشة قد أضعف من فصاحتهم ، وإن اتصال لحم وجذام بمصر قد جعل لغتهم موضع الشك ، فلا يحتج بهما في الروايات اللغوية .

وقد آثر الرواة الأخذ عن قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وغيرهم من كانت مساكنهم في وسط الجزيرة . على أنه لم يكذب ينقض القرن الرابع الهجري حتى ظهر من علماء العرب من لم يفرق بين قبيلة وأخرى ، بل عدم جميعاً سواء في جواز الأخذ عنهم ، والاحتجاج بأقوالهم ، فقد عقد ابن جنى في كتابه الخصائص فصلاً مستقلاً سماه « اختلاف اللغات وكلها حجة » أشار فيه إلى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل ، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر ، وأكثر شيوعاً في اللغة ، ولكنها جميعاً مما يحتج به ، إلى أن قال مانصه « إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ، فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منعى عليه . »

تلك هي نظرة الأقدمين للهجات العربية القديمة في العصور المختلفة . ومنها يتضح لنا مبالغة المتأخرين منهم في الاعتزاز بكل ما ينسب إلى قبائل البدو حتى ولو كان مخالفاً لما جاء به القرآن الكريم ، والآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام . ذلك لأنهم لم يفرقوا بين اللغة الأدبية التي جاء الإسلام فوجدها موحدة ، ذات خصائص متميزة ، وبين لهجات التخاطب التي اشتملت على الصفات الخاصة للقبائل . وفي هذا من الاضطراب ما فيه ، لأن شرط اللغة الاطراد والتوحد في الخصائص . فمحاولة بناء قواعد اللغة العربية من كل ما روى عن القبائل ، يؤدي حتماً إلى التناقض ، ويبعد باللغة عن الانسجام والاطراد في الخصائص . فلو أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التي جاءتهم موحدة ومثلة في الآداب الجاهلية والقرآن الكريم ، لجنبوا أنفسهم الكثير من المهاترات والجدل حول ما يجوز ، وما لا يجوز . ولكنهم حاولوا إقحام تلك الصفات المحلية للهجات العربية ، فبدت لهذا لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه .



وربما كان المسئول عن هذا الاضطراب ، ذلك الدور الذي لعبته السياسة العباسية ، في الصراع العلمى بين مدرستى البصرة والكوفة ، فقد انتصر العباسيون للكوفيين في غالب الأحيان ، وبلغ التنافس بين أنصار المدرستين أوجه في عصور تدوين اللغة ، وكان كل فريق يجرح الآخر ويطعن فيما يرويه . « بل كان العلماء شغوفين بأن يقفوا على كل جديد لم يعرفوه ، وكان يقضى على العالم في جهله بكلمة ، أو خطئه في مسألة ، فدعا ذلك بعضهم لأن يتزبدوا ويختلفوا إذا أخرجوا (١) » .

### مقياس الفصاحة لدى العلماء :

والذى استقر عليه الرأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها في تعديد قواعد اللغة ، ولا خلاف بينهم في هذا . أما حين نظروا إلى المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرىء القيس وأمثالهم ، كما يحتج بشعر المخضرمين وهم الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً في المرحلتين كحسان بن ثابت وأمثاله . وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل وإن كان بعض المتشددىن من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى . فيروى عنه أنه كان يقول : لقد حسن هذا المولد — يريد شعر جرير والفرزدق — حتى كدت أمر صبياننا بروايته !! ويقول عنه تلميذه الأصمعى : لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامى قط !! .

أما موقف العلماء من الاستشهاد في مسائل اللغة بنصوص الأحاديث

(١) ضحى الإسلام الجزء الأول .

الشريفة فقد وجدناهم فريقين : فريق يمثل معظم هؤلاء العلماء وأصحاب هذا الفريق كانوا يرون منع الاستشهاد بالحديث في مسائل اللغة . وحجتهم في ذلك أن رواية الحديث تجوز بالمعنى مثل [زوجتكها (في رواية) ملكتكها (في رواية أخرى) (خذاها بما معك من القرآن) . وحجتهم كذلك أن كثيراً من رواية الأحاديث كانوا من المولدين أي الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج ، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن .

أما القلة ممن كانوا يجوزون الاستشهاد بنصوص الأحاديث في مسائل اللغة فحجتهم أنه إذا جاز اللحن في رواية الحديث فكذلك يقال في رواية الأشعار ، بل إن احتمال اللحن في رواية الأشعار أكثر . وذلك لأن الوارع الديني يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أي انحراف أما قولهم إن تدوين الحديث كان قبل فساد اللغة فقيه نظر ، لأن المعروف أنه دون في القرن الثاني الهجري في الأمصار أي بعد عصر الاحتجاج وقد ظهر اللحن في أواخر عهد بني أمية .

وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث ولم يروعهم ما يفيد أنهم منعه ، بل نجد في بعض كتبهم استشهاداً بالحديث وإن كان قليلاً .

أما بين المتأخرين من العلماء فقد اشتهد الخلاف ، وأصبح واضحاً كل الوضوح في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، ومن زعماء النع للاستشهاد بالحديث ابن الضائع الأشبيلي وأبو حيان ، ومن زعماء المجوزين له ابن مالك وابن هشام .

ويرى بعض الدارسين من الحديثين أننا يجب أن نقف موقفاً معتدلاً ، فنقسم الأحاديث قسمين : قسم يستشهد بنصوصه ، وقسم لا يحتج به في مسائل اللغة . فيستشهد بالأحاديث التالية :

١ — ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحته صلى الله عليه وسلم مثل :  
مات حتف أنفه، حمى الوطيس .

٢ — ألقاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .

٣ — أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد .

٤ — أحاديث يرويهها أولئك الذين ربوا في بيئة عربية كأنس بن مالك  
والشافعي أما الأحاديث التي لا يحتاجها في مسائل اللغة فتلك التي دونت متأخراً  
أو التي غزت في صحتها أو الأحاديث التي شذت روايتها<sup>(١)</sup> .

أما حين نظر العلماء إلى ما يسمع من القبائل من كلام منشور فقد وجدناهم يفرقون  
بين القبائل يأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر . فقد ذكر  
السيوطي في كتابيه الاقتراح والمزهر أن أبا إبراهيم الفارابي صاحب ديوان  
الأدب قد حدد في أول كتابه المسمى « بالألقاظ والحروف » أسماء القبائل التي  
يحتاج بكلامها وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع منهم .

وحين استعرضنا مساكن هؤلاء وهؤلاء وحالتهم الاجتماعية تبين لنا أن  
العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامين : الأولى مقدار قرب مساكنها من  
مكة وما حولها ، والثانية مقدار توغلها في البداوة . ولذلك رأيناهم يعترفون بلغة  
القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن  
القبائل التي كانت مساكنها في أطراف الجزيرة وعلى حدودها . كذلك رأيناهم  
يعترفون اعتزازاً كبيراً بلغة القبائل المتوغلة في البداوة . ونلاحظ هذا في احتكامهم  
في مسائل اللغة إلى الأعراب الوافدين إلى الأمصار أيا كانت ثقافتهم أو مركزهم  
الاجتماعي اعتقاداً منهم أن هؤلاء الأعراب قد انغزلوا عن البيئات المتحضرة التي  
فسدت لغتها ، وأنهم ورثوا اللغة سليمة صحيحة ، أما الأعرابي الذي يعيش

(١) بحث للشيخ المفضل حسين — مجلة مجمع اللغة العربية . الجزء الثالث ص ١٩٧ .

فترة في الحضر ثم يسأل في مسألة لغوية وينجيب بما يعرف أو بما يخالف مايتوقع منه كان السائل من العلماء يقول له : هيهات لان جلدك يا أبا فلان !! أى أصبحت متحضراً ولم تعد أهلاً لأخذ مسائل اللغة عنك . وخير مثل لهذا قصة أبي عمرو بن العلاء مع أعرابي يدعى « أباخيرة » حين جاءه بجملة تشتمل على جمع مؤنث سالم في حالة النصب وطلب من أبي خيرة ضبط هذا الجمع فنطق به مفتوحاً ، فقال أبو عمرو : هيهات لان جلدك يا أباخيرة !!

وقد أورد ابن النديم في أخبار الرياشي البصرى أنه قال : إنما أخذنا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ( يريد البدو ) ، وهؤلاء ( يقصد الكوفيين ) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز ( يريد أهل الحضر )<sup>(١)</sup> .

## الفصل الثالث

### القراءات القرآنية واللهجات

١ - روى عن أبي بن كعب<sup>(١)</sup> رضى الله عنه، قال «دخلت المسجد أصلي، فدخل رجل فافتتح النحل، فقرأ، فخالفني في القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام يصلي، فقرأ وافتتح النحل فخالفني وخالف صاحبي، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فأخذت بأيديهما، فانطلقت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: استقرى هذين، فاستقرأ أحدهما وقال: أحسنت. فدخل قلبي من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية. ثم استقرأ الآخر وقال: أحسنت. فدخل صدري من الشك والتكذيب أشد مما كان في الجاهلية، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري بيده فقال: أعيذك بالله يا أباي من الشك، ثم قال: إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف عن أمي، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت اللهم خفف عن أمي، ثم عاد وقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف.»

٢ - وفي حديث البخاري أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم

(١) جاءت هذه الرواية على هذه الصورة في كتاب النشر لابن المنزري ويذكر ابن حجر نفس الرواية مع تغيير طفيف، أما رواية مسلم لها فتتضمن في مجموعها نفس المعاني التي هنا مع اختلاف في بعض الألفاظ والعمارات.

يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلعم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلعم ، فكادت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فابيته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ! قال قرأنيها رسول الله صلعم ، فقلت كذبت فإن رسول الله صلعم قد قرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلعم فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها ، فقال رسول الله صلعم : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلعم كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف .

٣ — وفي رواية عن عمرو بن العاص أن رجلا قرأ آية من القرآن فقال له عمرو : إنما هي كذا وكذا ، بغير ما قرأ الرجل ، فقال الرجل : هكذا قرأنيها رسول الله صلعم ، فخرجا إلى رسول الله صلعم حتى أتياه فذكرا ذلك له ، فقال رسول الله صلعم : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فأى ذلك قرأتم أصبتم فلا تماروا في القرآن فإن وراءه فيه كفر .

٤ — ويروى عن أبي جهم الأنصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها عن رسول الله صلعم فمشيا جميعاً حتى أتيا رسول الله صلعم فذكر أبو جهم أن رسول الله صلعم قال : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا فإن وراءه فيه كفر .

٥ — وجاء زيد بن أرقم إلى رسول الله صلعم فقال : أقرأني ابن مسعود سورة اقرأنيها زيدوا قرأنيها أبي بن كعب فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ؟ فسكت رسول الله صلعم وعلى إلى جنبه ، فقال علي : ليقرأ كل إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل .

هذه هي بعض الروايات التي بينت لنا أن النبي صلعم كان يميز قراءات

الناس ، ولا يتكرها عليهم ، متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم وما تعودوه من طريقة النطق .

على أن هذه الروايات في مجموعها يشوبها بعض الغموض والإبهام ، فليست تبين لنا بجلاء نص الآية أو الكلمة التي اختلفت في قراءتها ، ولا نوع الخلاف في تلك القراءات ؛ أكان خلافاً صوتياً يمكن أن يعزى إلى تباين اللهجات والألسنة ، أم كان في أمر آخر ، لانعلم علم اليقين . إذ نرى معظم هذه الروايات تشير إلى آية ما يقرؤها رجل ما ، فالآية مجهولة ونوع الخلاف مجهول ، والقارىء لا نكاد ندرى شيئاً عن بيئته ولهجته وما يمكن أن يكون قد تأثر به ، ولكننا مع كل هذا أو رغم كل هذا نرجح أن الخلاف بين القارئ لم يكن يعدو تلك النواحي الصوتية التي تفرق بين اللهجات في النطق وطريقة الأداء .

وقد تواترت الروايات على صحة حديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، ولكن علماء العربية قد اختلفوا في تفسيره اختلافاً يكاد يبلغ حد الاضطراب . والحديث على وضوحه ، وانسجامه مع روح الإسلام ، قد أسرف في تأويله وتخريجه إلى حد أن روى له السيوطي في كتابه « الإتيان » أربعين وجهاً !

ولست أدري سر هذا الاختلاف ، وتعدد الأوجه ، إلا أن نعزوه إلى اجتهاد المتقدمين ، ومحاولتهم التوفيق بينه وبين ما تواضعوا عليه في شأن القراءات . ونحن لا نشك الآن في أن للحديث وجهاً واحداً ، يتفق والمنطق الإسلامي الذي يتلخص في أن الدين الإسلامي قد دعا الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها ، إلى الإيمان به ، واتخاذة عقيدة لهم . فلم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم لشعب خاص من الشعوب ، وإنما أرسل إلى الناس كافة . هذا إلى أن الدين يسر لاعسر ، فقد اشتملت أحكامه وتعاليمه على كثير من الرخص حين يشق على الناس أمر من الأمور .

فنحن حين ننظر إلى هذا الحديث في ضوء الروح الإسلامي نرى أنه ليس

إلا إحدى تلك الوسائل التي أريد بها التيسير على الناس ، ومنع المشقة عنهم .  
فالمسلم أيًا كانت لهجته ، وأيًا كانت بيئته ، وأيًا كانت تلك الصفات  
الكلامية التي نشأ عليها وتعودها ولم يقدر إلا عليها ، يستطيع أن يقرأ القرآن  
بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته . ويجب ألا ننكر  
عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول وبذل الجهد فله أجر اجتهاده .

وجميع الروايات التي صاحبت قول هذا الحديث تؤيد ما نذهب إليه من أن  
النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد به إلا أن يمنع الناس من القدح في قراءة غيرهم ،  
وإنكارها عليهم

وقد نادى بمثل هذا الرأي بعض العلماء الأقدمين . فقد روى ابن الجزرى  
في الجزء الأول من كتابه النشر في القراءات العشر ما نصه « كانت العرب  
الذين نزل القرآن بلغتهم ، لغاتهم مختلفة وأسنتهم شتى ، يعسر على أحدهم  
الانتقال من لغته إلى غيرها ، أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم  
لا يقدر على ذلك ولو بالتعظيم والملاج لاسيا الشيخ والمرأة . ومن لم يقرأ كتاباً كما  
أشار إليه صلى الله عليه وسلم حيث أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرئ  
أمتك القرآن على حرف ، فقال صلعم أسأل الله معافاته ومعونته ، إن أمتي لا تطيق  
ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف . فلو كلفوا العدول عن لغتهم ،  
والانتقال عن أسنتهم ، لكان من التكليف مالا يستطيع » .

وقال ابن قتيبة في كتاب المشكل « فكان تيسير الله تعالى أن أمر  
نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يُقرئ كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عاداتهم ،  
فاللهذلى يقرأ « عتيّ حين » ، والأسدى يقرأ « تعلون » ، والتميمي يهمز  
والقرشى لا يهمز . . . الخ » .

والفرق بيننا وبين أصحاب هذا الرأي هو أنهم قصرُوا الأمر على لهجات  
العرب في حين أننا نجعله أعم وأشمل ، أى أن قصد التيسير والتسهيل يشمل



جميع المسلمين على اختلاف أسنتهم وأزمانهم ، في الماضي والحاضر والمستقبل .  
فليست تلك الحروف السبع التي أجزيت قراءة القرآن بها مقصورة على اللهجات العربية ، بل تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع الأرض . فإذا قرأ الهندي المسلم القرآن أمامنا ، ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهي غاية جهده ، ولا يقدر على غيرها .

ويجب ألا تعدو تلك الأحرف النواحي الصوتية ، من اختلاف في مخرج الصوت ، وتباين في صفته ، بين جهر وهمس أو شدة ورخاوة ، أو تباين في موضع النبر من الكلمة ، أو مقاييس أصوات اللين إلى غير ذلك من الموضوعات التي يعرض لها علم الأصوات اللغوية ؛ لأن لكل شعب من الشعوب صفات صوتية تميزه عن غيره ، وتكون جزءاً هاماً مما يسميه المحدثون بالعادات الكلامية<sup>(١)</sup> .

فقد أنزل القرآن للمسلمين جميعاً لا للعرب وحدهم ، وأمرنا أن يتعبدوا بما يستطيعون من آياته ، بل فرض عليهم قراءة بعض آياته في صلاتهم ونسكهم ، فإذا انحرفت الألسنة بعض الانحراف عن النطق الصحيح لألفاظه فليس ذلك إلا عن مشقة وعسر . ومتى صدرت مثل هذه القراءات عن قلب طاهر وإيمان قوى فهي حسنة متقبلة عند الله ، فهي نجوى بين المسلم وربه ، يقرأ بما يستطيع فيقبل عند الله ، ويستجيب له الله .

وليس معنى هذا أن نتخذ مثل هذه القراءة نموذجاً يحتذى ، أو أن تعدد بين القراءات النموذجية التي يهتدى بها المسلمون والتي رواها لنا الأئمة في فن القراءات فهناك أمران يجب الفصل بينهما فضلاً تاماً : أولهما القراءة الفردية التي لا تكاد تجاوز بضع آيات من القرآن الكريم والتي يقوم بها أفراد المسلمين في جميع بقاع الأرض على قدر ما تسمح به عاداتهم في النطق ، وثانيهما : تلك القراءات .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ، الفصل العاشر ص ١٨٢ .

النموزجية التي سجلها علماء التجويد وجعلوا منها فناً متميزاً الأصول سموه  
بعلم القراءات .

ولعل السرّ في اضطراب المفسرين لهذا الحديث أنهم خلطوا بينه وبين  
القراءات السبع التي رواها ووضع أسسها ابن مجاهد ؛ فظن بعض الشراح أن  
الأحرف السبعة هي القراءات السبع ، وما كانت كلمة السبع في كل من الأمرين  
إلا مجرد المصادفة، وقد اختلف معناها في الحديث عن المعنى الذي أراده ابن مجاهد .  
ولو أن ابن مجاهد قد عالج القراءات النموزجية على أنها عشر قراءات كما فعل الذين  
جاءوا بعده ؛ ما حدث ذلك الربط بين الحديث وفن القراءات . فللحديث اتجاه  
خاص يخالف ما اتجه إليه أئمة القراءات وعلمائها

أما الناحية العددية في الحديث ، فليس المراد قصر الأحرف على العدد  
سبعة ، بل المراد مجرد التعدد ، وهو ما ينسجم مع العقلية السامية . لأن العدد  
سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب السامية . وقد أشار إلى هذا ابن الجزرى  
في الجزء الأول من كتابه النشر صفحة ٢٥ ، إذ يقول مانصه : « وقيل ليس  
المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير وأنه  
لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى أذن  
لهم في ذلك . والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ، ولا يريدون  
حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص ؛ بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير  
حصر ، قال تعالى : « كمثل حبة أنثت سبع سنابل . وقال : وإن تستغفر لهم  
سبعين مرة ... إلخ » .

أما ما اشتملت عليه القراءات القرآنية ، من صفات صوتية فيمكن إرجاعها  
إلى بعض اللهجات العربية . وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل  
وأوسعها انتشاراً . لذلك وجدت كل العناية بين القراء ، وروعت في القراءات  
القرآنية ؛ لأنها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب ، والتي تأصلت

في لهجاتهم ، فآخذ القراء منها بما ذجهم في فن القراءات .

ولم تشمل القراءات القرآنية ، على كل الصفات الصوتية التي رويت لنا عن اللهجات العربية ، لأن بعض تلك الصفات لم تكن من الشيوخ بين القبائل ما استحقت معه ، في رأى القراء ، أن يقرأ بها ، أو بعبارة أخرى ما استحقت معه أن تذكر بين القراءات القرآنية المشهورة .

وإذا كان علماء القراءات أنفسهم يعترفون بأن ما روى لنا منها ليس كل القراءات التي قرىء بها في العصور الإسلامية الأولى ، وإنما هي طرف منها فقط فليس من التجنى أن نحكم بأن بعض تلك القراءات التي تنوسيت وأهل أمرها كانت تشمل على صفات صوتية للهجات غير التي رويت لنا في كتب القراءات .

فانظر مثلاً إلى ما يقرره ابن الجزرى في كتابه النشر الجزء الأول صفحة ٣٣ « فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول ، قل من كثير ، ونزر من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين » . فما روته القراءات القرآنية من صفات اللهجات العربية القديمة ليس إلا المشهور منها ، الكثير الشيوخ الذى تأصل في النطق .

وتلك الصفات الصوتية التي اشتملت عليها القراءات كما نعرفها الآن ، والتي يمكن أن تعزى إلى اختلاف اللهجات العربية هي :

## الفتح والإمالة

أجمع علماء العربية على نسبة الفتح لأهل الحجاز ، وعلى أن قبائل نجد قد عرف عنهم الإمالة في كلامهم . ويظهر أن القبائل العربية قبل الإسلام وبعده قد انقسمت إلى شعبتين : الشعبة الأولى تؤثر الفتح ، أو بعبارة أخرى لاستقيم ألسنتها بغيره ، والشعبة الأخرى قد شاعت فيها الإمالة .

ويمكن بصفة عامة أن ننسب الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربى الجزيرة بما فى ذلك قبائل الحجاز أمثال قريش<sup>(١)</sup> والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة ، وأن ننسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا فى وسط الجزيرة وشرقها ، وأشهرها : تميم وأسد وطىء وبكر بن وائل وعبد القيس وتعلب .

والقبائل التي كثر انتشارها فى أمصار العراق بعد الفتح الإسلامى ، تكاد تنحصر فى الشعبة الثانية . وقد اتخذ علماء الكوفة والبصرة مثلهم من القبائل التي انتشرت فى تلك الأصقاع ، أو تعودت النزوح إليها . وقد حدثنا تاريخ الهجرات القبلية ، رغم غموضه ، بأن أشهر القبائل التي أثرت فى بيئة الكوفة والبصرة ، هى قبائل وسط الجزيرة وشرقها . فعن معظمهم أخذ علماء الكوفة والبصرة ، وبهم اقتلدوا .

ويشير جورج زيدان فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » إلى أن البيئة العراقية قد انتظمتها فى أوائل عهد الإسلام قبائل من وسط الجزيرة وشرقها فيقول : « نجاشت عوامل الحسد فى نفوس القبائل التي كان لها شأن فى الجاهلية وضاع فضلها فى الإسلام ، وخصوصاً أهل البصرة والكوفة لأن أكثر العرب

(١) سمع الرسول يقرأ « يا يحيى » . الإمالة فقيل له يا رسول الله عيل وليس هى لغة قريش فقال هى لغة الأخوال بنى سعد . [ الإفتان - ١ ص ٩٣ ]

الذين نزلوا هذه الأمصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبهم سيرته ولا ارتاضوا بخلقهم مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية وعصبيتها ، فلما استفحلت الدولة إذا هم في قبضة المهاجرين والأنصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل وأهل الحجاز ، فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لأنفسهم من التقدم بأنسابهم مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة وكندة والأزد من اليمن وتميم وقيس من مضر<sup>(١)</sup> .

فلا غرابة إذن أن نرى الإمامة شائعة في القراءات القرآنية ، التي انتظمت البيئة العراقية في القرن الثاني الهجري .

وأشهر من روى عنهم الإمامة من القراء العشرة هم :

حمزة الذي توفي سنة ١٥٦ هـ . وكان إمام القراء في الكوفة .

الكسائي الذي توفي سنة ١٨٩ هـ . وورث إمامة القراءات بالكوفة بعد حمزة .

خلف الذي توفي سنة ٢٢٩ هـ بالكوفة أيضاً .

فأئمة القراء الذين اشتهر عنهم الإمامة كوفيون ، أي تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق ، أو تعودت النزوح إليه ، وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق ، وعرفت لهجاتها بالإمامة .

ويظهر أن حمزة هو الذي رسم طريق القراء الكوفية بين القراء العشرة؛ مستمداً نماذجه من البيئة التي عاش فيها ، ثم تبعه الكسائي ، ولكنه أسرف في اعتزازه بالإمامة ولاسيما الإمامة الفتحة قبل تاء التانيث ، فله فيها مذهب خاص عرف به واشتهر في فن القراءات . ولا غرابة في ذلك فقد كان للكسائي شخصية متميزة في القراءات ، وكان كما وصفه أبو عبيد في كتاب القراءات بقوله : « كان الكسائي يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً » .

أما خلف فقد ترسم خطأ أستاذه حمزة ، وكان يمثل القراءة الكوفية تمثيلاً صادقاً. قال ابن الجزرى: « تبعت اختياره فلم أجده يخرج عن قراءة الكوفيين في حرف واحد، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر الإفي حرف واحد وهو قوله سالى « وحرام على قرية أهل كناها » في سورة الأنبياء ، قرأها كحفص . وقد كان من المتوقع أن يشمل هذا التأثير بيئة البصرة أيضاً ، فنلاحظ الإمالة بين قرأها أمثال :

أبي عمرو بن العلاء الذى توفى سنة ١٥٤ هـ ، ويعقوب الذى ورثه فى إمامة القراءات بالبصرة والمتوفى سنة ٢٠٥ هـ . ولكن الذى قد يدعو إلى الدهشة أن قراءة أبي عمرو وتلميذه يعقوب لم تنتصر للإمالة إلا فى مواضع خاصة نصت عليها كتب القراءات .

والأمر الذى يجب أن ننتبه إليه أن معظم هؤلاء القراء كانوا من الموالى ، فكان من الطبيعى أن يعظم تأثيرهم بطرق النطق والأداء التى شاعت فى القبائل حولهم . ولاغربة إذن أن يظهر إعجابهم بالقبائل التى عاشوا بين ظهرانها ، وأن يحتذوا أحذوها فى معظم الصفات التى عرفت بها لهجاتها . ولكن أبا عمرو بن العلاء لم يكن من الموالى بل كان من تميم ونسبه فيهم ونشأ على لهجتهم التى أصبحت له عادة وسليقة ، والتى لم تكن عنده إلا أمراً عادياً لا يثير منه إعجاباً ، فالتمس لهذا نماذجه من بيئة أخرى وهى البيئة الحجازية ، التى خلت من الإمالة أو كادت ، فقد قرأ على جماعة جلة من أهل الحجاز ، ووصف أحمد بن حنبل قراءته قائلاً : « قراءة أبي عمرو أحب القراءات إلى ، هى قراءة قریش ، وقراءة الفصحاء » . والمعروف أن أبا عمرو قد قرأ على ابن كثير القارىء المكي ، ثم أسس بالبصرة قراءة اشتمرت بها ، وخالف فيها ما شاع بين أهل البصرة من النطق بالإمالة فى لهجاتهم .

وإذا كان معظم القراء قد تأثروا بلهجة بيتهم فإن قلة منهم قد تأثروا

بأساتذتهم في بيئات أخرى، أو جمعوا بين هذه وتلك فيما انتهجوه من قراءات. فأبو عمرو بن العلاء هو المؤسس الأول لقراءة البصرة ، وقد تبعه فيها تلميذه يعقوب وسلك مسلكه في كل الحروف .

هذا هو ما يبرر الخلاف بين البصرة والكوفة في ظاهرة الإمالة التي انتظمت كل البيئة العراقية ولهجاتها .

وأخيراً وليس آخراً لعل الصراع العلمي الذي كان بين الكوفة والبصرة هو الذي دعا إلى هذه المغايرة ، وإلى أن تتخذ البصرة طريق الفتح في معظم المواضع ، حتى لا تشبه الكوفة في إمالتها .

كذلك قد يبدو من الغريب أن نرى بين علماء الكوفة أمثال عاصم الذي توفي سنة ١٢٧ هـ . والذي أخذ عنه حفص تلك القراءة المشهورة الآن بالبلاد العربية ، والتي تكاد تخلو من الإمالة !

ولكننا حين نذكر أن عاصمًا كان أسبق علماء الكوفة في فن القراءات ، وأنه عاش قبل أن يشتد التنافس بين مدرستي البصرة والكوفة ، نستطيع بسهولة أن نتصور أن عاصمًا في قراءته قد تأثر ببيئة غير بيئته ، كالبيئة الحجازية مثلاً. وبعض القراء في قليل من الأحيان يؤثرون القراءة التي تغاير اللهجة الشائعة بين ظهرانهم ، فلعل عاصمًا كان أحد هؤلاء .

نخلص من كل هذا إلى أن الإمالة كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وأنها شاعت بعد الإسلام في اللهجات العربية ببلاد العراق. ومما قد يؤيد ما نذهب إليه أن الكسائي سئل مرة « إنك تميل ما قبل هاء التأنيث ، فقال هذا طباع العربية ». وقد عقب على قول الكسائي أبو عمرو الداني في كتابه التيسير فقال « إن الكسائي أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة ، وهي باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب » ، ي أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبي عمرو الداني في أوائل القرن الخامس الهجري .

أما قراءة البيئة الحجازية أمثال ابن كثير المكي و نافع وأبي جعفر الدينين، فلا تعرف قراءاتهم الإمالة، أى أنهم تبعوا ما اشتهر عن لهجات بيئتهم الحجازية من الميل إلى الفتح .

بقي أن نشرح معنى الفتح والإمالة كما يراها المحدثون من علماء الأصوات اللغوية :

الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين ، سواء كانا قصيرين أو طويلين . وأصوات اللين القصيرة فى الاصطلاح الحديث هى ما كان يسميه القدماء بالحركات ، أما أصوات اللين الطويلة فهى ما كانوا يسمونه بألف المد وياء المد وواو المد . ولا فرق بين القصيرة والطويلة إلا فى الكمية . فمخرج الفتح ووضع اللسان معها هور نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها ، والفرق بينهما فرق فى الكمية . وكذلك الكسرة وياء المد متماثلتان فى المخرج ووضع اللسان ، كما أن الضمة وواو المد متماثلتان فيهما أيضاً .

فلا فرق إذن بين أن تمال الفتح أو تمال ألف المد ، لأن العملية العضوية فى الحالتين واحدة .

وقد وضع المحدثون مقاييس<sup>(١)</sup> مشهورة لأصوات اللين يعرض لها بالتفصيل علم الأصوات اللغوية . وما سماه القدماء بالفتح هو أحد تلك المقاييس ، وما سموه بالإمالة مقياس آخر منها .

واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويًا فى قاع الفم ، فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذى يسمى بالإمالة . وأقصى ما يصل إليه أول اللسان فى صعوده نحو الحنك الأعلى ، هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسرة ، طويلة كانت أو قصيرة . فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر ،

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٣٠ .



لامرحلة واحدة. من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين : إمالة خفيفة وإمالة شديدة .

وهكذا نرى أن الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافاً في وضع اللسان مع كل منهما ، حين النطق بهذين الصوتين واللسان في حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه في حالة الفتح .

ولقد اضطرت أقوال الأقدمين في شرح أسباب الإمالة حين حاولوا أن يضعوا لها قواعد وقوانين ، كما اختلفوا في الحكم على أيهما الأصل : الفتح أم الإمالة ؟

ونحن حين نستعرض أمثلة الإمالة وأحوالها نراها تنقسم إلى نوعين مختلفين :

١ — صوت لين خالص تكون من صوت لين مركب يسميه المحدثون

Diphthong

٢ — تغير في مقياس صوت من أصوات اللين .

ونلاحظ الحالة الأولى حين يكون صوت اللين طويلاً ، ومنقلباً عن أصل من

أصول الكلمة ، يائياً كان أو واوياً ، ففي مثل الفعلين « باع ، قال » يظهر أنه قد آتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما .

ينبع ، قول

ثم تطور الصوت الأول « ai » إلى : e والصوت الثاني « au » إلى : o

أى أن فتحة فاء الكلمة في الفعل الأول قد أميلت إلى الكسرة ، وأنها في الفعل الثاني قد أميلت إلى الضمة .

فهناك إمالة في الحالين ، فكما يمال الفتح إلى الكسر قد يمال أيضاً إلى

الضم . ولكن القراء في إمالتهم لم يعموا إلا بالإمالة الأولى . وهي الفتح إلى

الكسر ، لأنها أكثر شيوعاً وانتشاراً وظهوراً بين القبائل العربية المشهورة . أما

إمالة الفتح إلى الضم فقد ظلت مهملة يشار إليها أحياناً في بعض المطولات من

كتب اللغة على أنها لهجة لبعض القبائل ، دون نسبتها إلى قبيلة خاصة ، فقد أشار إليها ابن جنى في كتابه « سر صناعة الإعراب » وعلل بها كتابة الصلاة والزكاة وأمثالهما في الخط العثماني بالواو .

ونحن في مثل هذه العجالة لانستطيع أن نرجح نسبة هذه اللهجة إلى قبيلة من القبائل العربية ، غير أننا نلاحظ وجودها في بعض اللهجات الحديثة .

وهناك نوعان آخران من الإمالة رواهما ابن جنى في كتابه الآنف الذكر وهما :

١ - الكسرة المشوبة بالضممة ، وهى تلك التى فى صيغ البناء للمجهول ، والتى عبر عنها القدماء من النجاة بالإشمام فى مثل قيل ، بيع . وقد قرأ بهذه اللهجة الكسائى وهشام فى [ قيل . غيض . جى . . حيل . سيق . سبى ] .

٢ - الضمة المشوبة بالكسرة ، كأن يمال بمثل « بوع » نحو الكسرة . وهذه اللهجة أقل اللهجات شهرة وشيوعاً ، وإن رويت بين لهجات العرب .

فالإمالة كما ترى أنواع أربعة ، أشهرها إمالة الفتح إلى الكسر . وهذا النوع هو المراد بالإمالة حين تطلق فى كتب القراءات واللغة . وعلى هذا إذا قيل لنا إن من أسباب إمالة ألف المدّ كون أصلها ياء ، كما فى « باع » وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليبائى قد تطور أولاً إلى الإمالة ، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح ، أى أن المراحل التى مرّ فيها مثل هذا الفعل « باع » هى :

( بَيْعَ ) ثم ( إمالة ) ثم ( فتح )

فالصوت المركب ai قد تطور أولاً إلى e : ثم إلى a :

تلك هى المراحل التى تبررها القوانين الصوتية ، والتى لها نظائر فى اللغات الأخرى . ولذلك نستطيع أن نرجح أن بعض الكلمات العربية التى اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولاً إلى الإمالة ثم إلى الفتح . فالأصل إذن فى مثل هذه الكلمات هو الإمالة ، وقد تفرع الفتح عنها .

ونستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح قد قطعت مرحلة

أخرى في تطور لهجاتها ، إذ انتقلت من الإمالة إلى الفتح ، كما نستنبط أن لهجات بعض القبائل في وسط الجزيرة وشرقها قد احتفظت بمرحلة الإمالة التي هي أقدم حين تكون الياء أصلية في الكلمات . وربما كان السرفي احتفاظ البدو بهذه الظاهرة أنهم عرفوا بها فتعصبوا لها .

وانتقال الإمالة إلى الفتح ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد في الجهد العضلي ، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية .  
الآتري أن كلمة « شيء » قد تطورت في معظم اللهجات الحديثة إلى « شىء » أى أن الصوت المركب ai قد أصبح : e بالإمالة ، ثم تطورت بعد ذلك تطوراً جديداً في لهجات حديثة أخرى فأصبحت « شاء » أى بالفتح . فقد نسمع في بعض اللهجات المصرية الحديثة من يقول : « شاء عجيب » وهو يريد « شىء عجيب » .

وهذا هو الذى تم في لهجة الفيوم حين نسمع منهم كلمات مثل : [ لآيه ، إآيه ] منطوقة [ لآه ، آه ] فيقولون في موضع الدهشة أو الاستفهام :  
لاه وعشان آه ؟

أما حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة ، أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين أصوات اللين<sup>(١)</sup> . لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة ، سواء كانت سابقة أو لاحقة . ولاشك أن الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللين بعضها مع بعض ، بأن تصبح متشابهة ، لأن حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة .

ومتى سلمنا بنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ؛ استطعنا أن نتصور أن الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة ، أحدث من نظيرتها التي

(1) Vowel — Harmony.

خلت أصوات لينها من الانسجام، ونستطيع لهذا أن نقول إن كلمة «كتاب» كما ينطق بها بغير إمالة أقدم في نسجها منها مع الإمالة .

وقد خلط القدماء بين عنصرين رئيسيين من الكلمات : تلك التي اشتملت لى أصل يائي . وتلك التي رويت بالإمالة دون أن يكون مبعث الإمالة فيها .  
نمنها أصلاً يائياً .

فإمالة الفتح إلى الكسر يجب في الحقيقة أن تعزى بصفة عامة إلى أحد عاملين :

١ — الأصل اليائي .

٢ — الانسجام بين أصوات اللين .

وليس يقتصر أثر العامل الثاني على الإمالة من الفتح إلى الكسر ، بل يمكن أن يعزى إليه أيضاً الانتقال من الكسر إلى الفتح ، كما في تلك الأفعال الثلاثية التي رويت لنا مرة مثل « فرح » وأخرى مثل « فتح » دون تغير في معناها مثل : « خطف ، حبط ، قنط » في هذه الحالة يمكن أن يقال إنها أقدم وأسبق حين تكون على صورة « فرح » ، وقد تطورت إلى صورة « الفتح » ، ليتحقق الانسجام بين الحركات .

وياعب الانسجام بين أصوات اللين دوراً هاماً في معظم لغات البشر ، وهو من التطورات الحديثة ، التي تميل إليها اللغات بصفة عامة . وقد اعترف به القدماء من علماء العربية ، وسموه في باب الإمالة بالتناسب ، ثم سموه في بعض أبواب الإعراب « بحركات الإتياع » وتأولوا عليه قولهم « حجر ضب خرب » . بل إن حركة الإتياع قد اعترف بها بعض القراء ، فرووها في بعض القراءات القرآنية ، فقد قرئ : **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين .**

أما قواعد النجاة في باب الإمالة فيمكن إرجاعها جميعاً إلى العاملين الرئيسيين اللذين أشرنا إليهما ، غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية

الصونية ، ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل [خاف] ، لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم ، لامن الفتح إلى الكسر . على أن النحاة قد اختلفوا في الحكم على إمالة أمثال [خاف] فأنكرها بعضهم أمثال أبي العباس المبرد ، فقد روى عنه أن قال إن إمالة ما كان من ذوات الواو على ثلاثة أحرف نحو [دعا، غزا] قبيحة إلا إذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق ألف المد كما في إمالة « ربا » التي قرأ بها الكسائي وحمزة .

هذا ولا نستطيع أن نتصور كيف جعل النحاة الإمالة، من الأمور الجائزة!! فقد قرروا أن كل ممال يجوز فتحه! ولو صح هذا القول لأمكن أن نتصور أن من القبائل من كانوا يميلون ويفتحون كما تشاء لهم أهواؤهم، وذلك أمر لا يقبله اللغوي الحديث؛ إذ ليس الأمر أمر مواضعة مقصودة متعمدة، وإنما هو عادة لكل قبيلة . فتلك التي تميل لانستطيع غير الإمالة، وتلك التي تفتح لانطاوعها ألسفها بغير الفتح . فالسألة لا تعدو أن تكون عادة ككل العادات اللغوية، يتوارثها الخلف عن السلف دون شعور بها . فكان واجب النحاة ان يقولوا إن الإمالة لا مفر منها عند تلك القبيلة التي تميل في كلامها إليها، والفتح واجب عند من لا يستطيعون غيره كعظم الحجازيين . أما إذا كان النحاة قد أرادوا بجواز الإمالة أنه يجوز لنا الآن حين نقرأ القرآن الإمالة أو الفتح، فهذا أمر آخر لا نعرض له هنا بشيء .

ولا تزال الإمالة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة، ولن تتم معرفتنا بقواعد الإمالة وأصولها في العصور الإسلامية الأولى إلا بالاستعانة بقواعدها وأصولها في اللهجات الحديثة حين تدرس دراسة عامة كافية، وهو ما نرجو أن تتكفل به بحوث المستقبل .

## الإدغام

تؤثر هنا استعمال هذا الاصطلاح القديم ونعني به ما يشير إليه المحدثون من تأثر الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور . ويسمى المحدثون هذه الظاهرة اللغوية Assimilation . ولقد أطلقت عليها في كتاب الأصوات اللغوية كلمة «المماثلة» ، لأن شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة . فإذا اجتمع صوتان مماثلان كل المماثلة أو بعضها ترتب على هذا أن يؤثر أحد الصوتين في الآخر تأثيراً تختلف نسبته تبعاً للظروف اللغوية الخاصة بلغة من اللغات .

ويقسم المحدثون تأثر الأصوات إلى نوعين :

١ — رجعي Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني .

٣ — تقدمي Progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول .

وتختلف اللهجات في الخضوع لنوع من هذين النوعين . فمن اللهجات ما يؤثر النوع الأول كاللهجات الفرنسية ، ومنها ما يلتزم النوع الثاني كاللهجات اللغة الإنجليزية .

وقد اشتملت اللغة العربية على هذين النوعين من التأثر ، وإن كان النوع الأول أكثر شيوعاً فيها .

ولم يعرض القراء في كتبهم إلا للنوع الأول ، أي التأثر الرجعي ، وهو الذي فيه يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثيراً كاملاً يترتب عليه أن يفنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني .

وقد سموا هذا التأثر في كتبهم بالإدغام ، ثم قسموا الإدغام إلى كبير ، وهو

الذى يفصل فيه بين الصوتين الساكنين صوت لين قصير (أى حركة) . وهذا النوع من الإدغام يتطلب عمليات صوتية معقدة قبل أن يتحقق ، فضلا عن أنه لم ينسب إلى قبيلة خاصة عرفت به وآثرته في نطقها .

أما النوع الثانى للإدغام عند القراء فهو الإدغام الصغير ، وفيه يتجاوز الصوتان الساكنان ، دون فاصل من أصوات اللين ، وهو الذى شاع فى معظم اللغات ، لأن شرط تأثر صوت بآخر هو التقاؤهما التقاء مباشراً .

ويظهر أن أبا عمرو بن العلاء كان لا يلتزم فى قراءته النطق بالحركات الإعرابية أو الحركات الواقعة على أواخر تلك الكلمات ، مما يترتب عليه التقاء الحرف الأخير من الكلمة السابقة بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة . فإذا تشابه الحرفان أو تقاربا فى الصفة أدى هذا إلى تأثر أحدهما بالآخر . ومما قد يستأنس به للدلالة على طريقة أبى عمرو ما روى عنه من قراءات كثيرة سقطت منها الحركات الأخيرة للكلمات مثل :

إن الله يأمركم أن تذبجوا بقرة

فإن صح هذا التفسير لقراءة أبى عمرو لم يكن هناك فرق بين إدغامه وما

يسمى بالإدغام الصغير .

والإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً فى البيئات البدائية حيث السرعة فى نطق الكلمات ، ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتى من تحقيق أو تجويد فى النطق به .

ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفى القبائل الرحل التى لاتكاد تستقر على حال . فإذا تذكرنا أن البيئة العراقية قد نزع إليها قبائل أقرب إلى البداوة ممن عاشوا فى البيئة الحجازية ، أمكننا أن نتصور أن الإدغام كان أكثر شيوعاً فى لهجات القبائل النازحة إلى العراق . أما البيئة الحجازية ، فقد كانت

بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبياً ، فيها يميل الناس إلى التاني في النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها .

نحن إذن نتوقع أن تروى لنا لهجات العراق مشوبة بأمثلة كثيرة لظاهرة الإدغام وتأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض . أما في البيئة الحجازية فننتوقع نسبة قليلة جداً من تلك الأمثلة الإدغامية .

نسائل أنفسنا بعد هذا : هل ظهر أثر هذه الحقيقة الصوتية في قراءات العراق وقراءات الحجاز ؟

إذا استعرضنا آراء القراء في إدغام الأمثلة القرائية أو إظهارها وجدناهم طائفتين :

١ — منهم من يؤثر الإدغام وهم أبو عمرو . والكسائي . وحمزة . وابن عامر . وخلف . وإن اختلفت النسبة بينهم .

٢ — أما الذين يؤثرون الإظهار فهم : ابن كثير . ونافع . وأبو جعفر . وعاصم . ويعقوب ، بنسب مختلفة أيضاً .

فمعن أخذ هؤلاء وهؤلاء ؟ وبأى القبائل تأثروا في مياهم للإدغام أو الإظهار ؟ الحق أن الإجابة عن مثل هذا التساؤل ليست بالأمر الهين اليسير ، لأن أصحاب الإدغام ليسوا جميعاً من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفي كالكسائي وحمزة وخلف ، ومنهم البصري كأبي عمرو ، ومنهم الشامي كابن عامر . كذلك أصحاب الإظهار ليسوا من بيئة واحدة ، ومنهم الكوفي كعاصم ، والبصري كيعقوب ! غير أنه من الممكن أن نعزو الإدغام بصفة عامة إلى البيئة العراقية ، والإظهار بصفة عامة إلى البيئة الحجازية .

وقد ظهر لنا حين التحدث عن الإمالة أن « عاصم » قد خالف بيئته في الميل إلى الفتح فلا غرابة أن يخالف بيئته هنا أيضاً .

أما ميل ابن عامر لأصحاب الإدغام . وميل يعقوب لأصحاب الإظهار فمن الصعب تعليقه .



نستطيع بعد هذا أن نستنبط أن القبائل التي آثرت في البيئة العراقية كانت تميل لهجتها بوجه عام إلى الإدغام ، وأن قبائل الحجاز كانت تميل إلى الإظهار . وقد عرفنا من قبل أن البيئة العراقية قد تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها . وعلى هذا فيمكن الحكم على أن القبائل التي عرفت بالإدغام هي :  
تميم . طى . أسد . بكر بن وائل . تغلب . عبد القيس .  
وأن القبائل التي آثرت الإظهار هي :  
قريش . ثقيف . كنانة . الأنصار . هذيل .

فالقبائل العربية إذن قد انقسمت إلى طائفتين : الأولى تؤثر الإدغام والثانية تؤثر الإظهار .

وقد يلقي ضوءاً على هذا التقسيم ما أجمعت عليه الروايات اللغوية من أن « تميماً » التي اتخذت دائماً مثلاً لقبائل وسط الجزيرة قد روى عنها أنها كانت تقول « محمّم » بدلاً من « معهم » فقد قلبت العين المجهورة إلى نظيرها المهموس وهو الحاء لمجاورتها لصوت مهموس وهو الهاء ، ثم أدغمت الهاء في الحاء إدغاماً تقديمياً على غير العادة في الإدغام العربي . كذلك روى عن تميم أنها كانت تقول « فزرد » بدلاً من « فزت » أي أي التاء المهموسة قد قلبت إلى نظيرها المجهور وهو الدال ، وذلك لمجاورتها لصوت مجهور وهو الزاي . كذلك قيل لنا إن لهجة نجد في كلمة « وتد » هي « ود » .

ويظهر ميل تميم إلى الإدغام حين نتذكر ما يشير إليه النحاة من أن قبيلة تميم قد عرفت بإدغام المثلين في مثل « لم يحل » في حين أن الحجازيين كانوا يقولون « لم يحلل » .

وقد جاء القرآن الكريم غالباً باللهجة الحجازيين نحو إن تمسك حسنة [ ونحو ] من يحلل عليه غضبي [ ونحو ] واغضض من صوتك [ ونحو ] ولا تمنن

تستكثر [ ، وقد ورد في التزليل على لهجة تميم ] ومن يرتد [ ونحو ] ومن يشاق الله [ (١) ] .

ويقول جرير وهو من تميم :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويظهر أن الظاهرة كانت من الظواهر التي اعترفت بها بشقيها اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تعد بعد أن جاءت في القرآن الكريم من ظواهر اللهجات . فهي في أصلها من الظواهر التي كانت تفرق بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وبين البيئة الحجازية ، لكنها صارت فيما بعد صفة من صفات اللغة الأدبية المشتركة بين جميع القبائل .

كذلك مما قد يلقى ضوءاً على هذا التقسيم ما روته كتب القراءات من أن حمزة والكسائي وخلفاً ، كانوا يقرءون [أصدق ، تصديق ، يصدفون ، فاصدع قصد ، يصدر ] وما أشبه ذلك مما سكنت فيه الصاد وآتى بعدها دال ، كانوا يقرأون هذه الأمثلة بإشمام الصاد صوت الزاي : ومعنى إشمام الصاد صوت الزاي أن ينطق بها ظاء كذلك التي نسمعها من أفواه العوام في مصر أي أن تكون ظاء غير لثوية .

والسر في مثل هذا النطق هو مجاورة الصاد التي هي صوت مهموس للدال التي هي صوت مجهور ، فتأثر الصوت الأول بالثاني ، وأصبح مجهوراً مثله ، وحين نجهر بالصاد تصبح تلك الظاء المعروفة بين العوام في مصر ، بل هي شائعة بين معظم الخاصة الآن في بلادنا إذ ينطقون بالظاء غير لثوية .

فنحن نلاحظ في مثل هذه الأمثلة ميل بعض القراء إلى تأثر الصوت الأول بالثاني وإن لم يبلغ التأثر حد فناء الصوت الأول في الصوت الثاني .

(١) ( ومن يرتد ) في سورة المائدة ، ( ومن يشاق ) في سورة الحشر . على أن

المدنيين نافعاً وأبا جعفر قد روى عنهما قراءة المثل الأول ومن « يرتدد » .

وإذا علمنا أن حمزة والكسائي وخلفاء؛ ممن ينتمون إلى البيئة العراقية، استطعنا أن ندرك بسهولة أن تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، قد شاع في هذه البيئة أكثر من غيرها، لأن القراء من البيئة الحجازية يقرأون هذه الأمثلة بالصاد الخالصة. بل لقد جاء في بعض الروايات أن ظاهرة إشتام الصاد الزاى كانت شائعة في قبيلة طيء، وهو ما يؤيد ما نذهب إليه. فقد كانوا يقولون « الزقر » بتفخيم الزاى بدلا من « الصقر ».

نستنتج إذن أن الحجازيين بوجه عام كانوا يلتزمون الإظهار، ويحترزون من تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة في النطق والتأني والتؤدة في الأداء، بحيث يظهرون كل صوت ويعطونه حقه من جهر وهمس أو شدة ورخاوة.

وليس ينقض هذا الحكم ما عرف عن الحجازيين من عدم الهمز، لأن الهمزة حكما خاصة يخالف كل أصوات اللغة، مما سنعرض له فيما بعد.

### - ٣ -

#### الهمز

تروى كتب الأدب أن أحد الرواة سأل رجلا من قريش قائلا: « أتهمز الفارة؟ » فلم يفتن المسئول لما أراد السائل وأجاب ساخراً: « إنما يهمزها القط ». وقد أراد اللغوي أن يعرف ما إذا كان القرشيون يلتزمون بتحقيق الهمزة في كلامهم.

وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم، في حين أن القرشيين يتخلصون منها محذفاً أو تسهياً أو قلبها إلى حرف مد.

على أنه قد روى أيضاً أن بعضاً من تميم يقبلون الهمزة الساكنة إلى صوت  
لين من جنس حركة ما قبلها فيقولون في :

رأس . بئر . لؤم

سى . نربيب :

راس . بير . لوم

ويضيق المقام هنا عن تفصيل أحكام الهمزة كما روتها كتب القراءات ،  
فقد فصلت لها أبواب مستفيضة حين تكون منفردة ، وحين تجتمع همزتان .  
ولقد تعرضت الروايات القرآنية لكل مثل منها في القرآن الكريم ونسبت  
حكم الهمزة فيه من تحقيق أو غيره إلى بعض القراء .

ولا يكاد المرء يصل إلى حكم خاص يمكن نسبته إلى بيئة معينة ، نظراً  
لاختلاف القراء في أحكام الهمزة اختلافاً يطول شرحه . غير أننا نلاحظ بوجه  
عام أن كتب القراءات تسكاد تجمع على أن أبا جعفر وناقصاً من رواية ورش ،  
قد تخصصوا من تحقيق الهمزة ، ولا غرابة في ذلك فهما أشهر قراء المدينة ، ومن  
البيئة الحجازية التي اشتهر عنها عدم الهمز .

ولو أن « ابن كثير » اشترك معهما في تلك الصفة لاستطعنا بسهولة أن نحكم  
على أن القراء قد التزموا ما عرف عن بيتهم من الهمز أو عدمه . ولكن كما قررنا  
آنفاً قد خالف بعض القراء أحياناً في قراءاتهم صفات اللهجات التي شاعت بين  
ظهرانيم . ولئن خالف « ابن كثير » في تسهيل الهمز ومال إلى تحقيقه وهو  
مكي ، لقد خالف عاصم في الإمالة والإدغام رغم أنه كوفي .

نستطيع إذن أن نرجح تلك الروايات التي نسبت بتحقيق الهمزة لميم  
وغيرهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وأن ننسب التخصص من الهمزة لمعظم  
البيئة الحجازية .

بقي أمر لا بد من علاجه هنا ، وهو كيف تأتي أن البيئة الحجازية التي

عرفت بالتأني في الأداء، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها؟ إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات؟

الحق أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعاً في كل القبائل الحجازية، بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها. ويدل على هذا قراءة «ابن كثير» الذي التزم تحقيق الهمزة. هذا إلى أن للهمزة حكماً خاصاً يخالف جميع الأصوات الأخرى. لأنها صوت ليس بالجمهور ولا المهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تنفتح فجأة، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري التي نسميه بالهمزة المحققة.

لهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق. فليس غريباً أن يتخلص منها أيضاً معظم الحجازيين، وإنما الغريب أن يحققها قراء البيئة العراقية الذين عرف عنهم الميل إلى التسهيل من إدغام وإمالة! على أن اللهجات لا تلتزم دائماً حالة واحدة في كل صفاتها، بل أحياناً تخرج عن تلك الظاهرة التي اقتصت بها، ظروف لغوية خاصة، وحينئذ يكون واجب الباحث المدقق الكشف عن تلك الظروف الخاصة. وإذا نظرنا إلى اللهجات على أنها من المظاهر الاجتماعية، وأنها تخضع في قواعدها وأصولها لظروف المجتمع والبيئة، لم يقلقنا وجود ظاهرة لغوية قد تبدو غريبة أو شاذة عما عرف عن لهجة من اللهجات.

فايست القوانين التي تخضع لها اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، بل يكفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها.

على أنه من الممكن أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية التي

أشرنا إليها آنفاً ، لغة الخماصة التي كانت تلتزم في الخطب والشعر ، وعلى هذا فليس تحقيق الهمزة من صفات اللهجات العربية التي يزيد أو نرض لها هنا .

ويبدو أن الرأي الأخير هو الراجح . فظاهرة الهمز من تحقيق أو تسهيل كانت في أصلها من الأمور التي فرقت بين لهجات وسط الجزيرة وشرقها وبين لهجات البيئة الحجازية . فلما نشأت اللغة النموذجية الأدبية قبل الإسلام اتخذت تحقيق الهمزة صفة من صفاتها ، وشاع هذا بين الخماصة في جميع القبائل العربية ، ولما جاء الإسلام وجد تحقيق الهمز صفة من صفات الفصاحة يلتزمها الخماصة من العرب في الأسلوب الجدى من القول ، وإن ظلت في نفس الوقت شائعة بين اللهجات البدوية كلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ولهذا يعد تحقيق الهمز من أبرز الأمور التي اقتبسها اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية .

فاللغة النموذجية الأدبية وإن اتخذت معظم صفاتها من البيئة الحجازية قد تضمنت أيضاً بعض الصفات القليلة التي تنتمي لبيئة أخرى ، ومن بينها تحقيق الهمز الذي عرفت به تميم ، بل شاع عند أكثر البدو ، فقد كانوا يحققون الهمز ويعتزون بتحقيقه في نطقهم . وقد روى عن عيسى بن عمر الثقفي أنه قال : « لا آخذ من قول تميم إلا بالنبر » أى تحقيق الهمز . فهذا العالم النحوى كان يدرك تمام الإدراك أن تحقيق الهمز صفة من صفات تميم وأن هذه الصفة أوضح الصفات التي اقتحمت حصون اللغة الأدبية المشتركة ، تلك اللغة التي اعتر بها هو وأمثاله من العلماء الأول . فبينما يرى الصفات الأخرى لتمييم أقل مرتبة في الفصاحة من نظائرها في اللغة النموذجية ، يرى أن همز تميم هو الذى ساد بين الخماصة من العرب وأصبح لا ينتمى إلى تلك القبيلة بقدر ما ينتمى إلى اللغة النموذجية الأدبية .

والحجازيون وإن كانوا في لهجات الخطاب يسهلون الهمز ، فقد التزموا تحقيقها في الأساليب الأدبية من شعر أو خطابة ، أى كانوا يلجأون إلى تحقيق

الهمز كلما عنّ لهم أمر جدى يتطلب استعمال اللغة النموذجية الأدبية. هذا هو معنى ما جاء في الجزء الأول من لسان العرب : « قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون<sup>(١)</sup> ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذ اضطروا نبروا » .

فليس لهذا الاضطرار من معنى سوى أنهم كانوا يهمزون حين يلجأون إلى اللغة النموذجية وفي المجال الجدى من القول ، فحينئذ يخرجون عن عادتهم وسليقتهم في تسهيل الهمز .

ولنا عود إلى حديث الهمز حين نتحدث عن لهجات الحضر ولهجات البدو . أما كيف تخلصت لهجات الحجاز من الهمزة فيتضح مما روى عن قراءة أبي جعفر ونافع التي يمكن أن تلخص فيما يلي :

(١) إذا سكنت الهمزة وتحرك ما قبلها قلبت حرف مد مناسب لتلك الحركة مثل :

يؤمنون . بئس . فأذنوا

قرئت على الترتيب :

يومنون . بيس . فأذنوا

(ب) الهمزة المتحركة وقبلها متحرك لها الأحوال الآتية :

١ — أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضم ، ويغلب في هذه الحالة أن

تبدل الهمزة واو أو مثل :

يؤاخذ . الفواد . هزوا

قرئت على الترتيب :

يواخذ . الفواد . هزوا

٢ — أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور، وحينئذ تبدل الهمزة ياء مثل:

رثاء الناس . خاسنا

قرئنا على الترتيب :

رياء الناس . خاسيا

٣ — أن تكون الهمزة مضمومة وقبلها كسر وبعدها واو، وحينئذ تحذف

الهمزة ويضم ما قبلها ليناسب الواو مثل :

« مستهزون » قرئت « مستهزون »

٤ — أن تكون مضمومة وقبلها فتح، وحينئذ تحذف الهمزة مثل :

« ولا يبطؤون » قرئت « ولا يبطون »

٥ — أن تكون مكسورة بعد كسر، وحينئذ تحذف الهمزة مثل :

« متكنين » قرئت « متكين »

٦ — أن تكون الهمزة مفتوحة بعد فتح، وحينئذ تسهل الهمزة بين

بين<sup>(١)</sup> مثل :

أرأيتكم

(ح) الهمزة المتحركة وسكن ما قبلها، تنقل حركة الهمزة إلى الساكن

قبلها، وتحذف الهمزة سواء كان هذا في كلمة واحدة أو كلمتين مثل :

« والأخرى » قرئت « ولأخرى »

« من آله » « من آله »

وقد اشتهرت هذه القراءة عن ورش القاريء المصرى الذى تعلم فى المدينة.



## الفصل الرابع

### عناصر اللهجات العربية وقبائلها

روت كتب اللغة والأدب مما ألف القدماء من علماء العربية ، صفات عدة للهجات القديمة ؛ ونسبت بعضاً منها إلى قبائل معينة ، والبعض الآخر اكتفت بالإشارة إليه على أنه مما كانت تقوله العرب .

وقد تناثرت تلك الروايات في ثنايا الكتب ، وفي مناسبات شتى ، فأحياناً نراها في جدل النحاة حين تعرض مسألة نحوية ويحاول بعض النحاة تخرجها على رأى قبيلة خاصة ، والبعض الآخر يتأولونها على رأى آخر روى عن قبيلة أخرى ، وكل من الفريقين يتمسك برأيه ويتعصب له . وقد نجد الإشارة لصفات اللهجات في الروايات الأدبية ، أو حين نتحدث عن قبيلة من القبائل العربية .

ولابد للإحاطة بكل ما روى عن لهجات القبائل العربية من البحث والتنقيب في بطون المؤلفات القديمة ، وجمع كل ما يمكن جمعه ، ثم ترتيبه وتبويبه والعمل على تحقيق تلك الروايات وإخراج الزائف منها .

ولسنا ندعى هنا أننا قد أحطنا بكل تلك الروايات كما رويت في المؤلفات القديمة ، وإنما نرمي إلى علاج ما اشتهر من تلك الصفات علاجاً علمياً يكشف الطريق أمام طالب اللغة العربية في بحوثه المستقبلية . وعلى هذا فسنعرض هنا لأشهر ما روى عن اللهجات القديمة من صفات .

## ما يتعلق بالإعراب

روى النحاة في المطولات من كتبهم عدة مسائل اختلف فيها الرأي بينهم وقد نسبوا هذا الخلاف الإعرابي إلى قبائل معينة على أنها لهجاتهم وما تستطيعه ألسنتهم .

ويمكن أن نلخص بعض تلك المسائل فيما يلي :

١ — ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقاً، ولكن بنى تميم يرفعونه إذا اقترن « يإلا » حملاً لها على « ما » .

ثم يروى النحاة لهذا قصصاً ليس مصدرها في الحقيقة إلا الصراع العلمي بين طائفتين منهم ، فقد زعموا أن الأصمعي قال : « كنا عند أبي عمرو بن العلاء يوماً ، فجاء عيسى بن عمر الثقفي فقال : يا أبا عمرو ماشيء بلغني عنك تجيزه ؟ قال ماهو ؟ قال باغني أنك تجيز ليس الطيب إلا بالمسك ! فقال أبو عمرو : هيهات ، نمت وأدج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ، ولا تميمي إلا وهو يرفع ! ثم قال لليزيدي ونخلف الأحمر : اذهبا إلى أبي المهدي ولقناه الرفع فإنه لا يرفع ، ولأبي المنتجع بن نبهان التميمي ولقناه النصب فإنه لا ينصب . فذهبا إلى أبي المهدي فوجداه يصلي ، فلما قضى صلاته التفت إليهما وقال : ما خطبكما ؟ قالنا جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب ، فقال هاتيا ، قالا : كيف تقول ليس الطيب إلا بالمسك ! ؟ فقال أنا أمراني بالكذب على كبر سني ! ؟ فأين الزعفران وأين الجاوي ؟ ! فقال خلف : ليس الشراب إلا العسل ، فقال : فما يصنع سودان هجر ؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فقال هذا

كلام لادخل فيه ، ليس ملاك الأمر إطاعة الله ، فقال اليزيدي : ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعمل بها . فأعادها أبو المهدي بالنصب وقال لها : ليس هذا الحنى ولا الحن قومي . ثم أتيا أبا المنتجع فقال له خلف : كيف تقول ليس الطيب إلا المسك ؟! فقالتها ورفع ، فجهدا به أن ينصب فأبى إلا الرفع . ثم رجعا إلى أبي عمرو بن العلاء وأخبراه الخبر وعيسى عنده لم يبرح ، فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال له : ولك الخاتم بهذا ، والله فقت الناس !

٢ — قسم النحاة « ما » النافية إلى حجازية وتميمية ، وقرروا أن خبر « ما » يكون منصوباً عند الحجازيين ، ومرفوعاً عند بني تميم . وقد اشترط النحاة شروطاً لنصب خبر « ما » عند الحجازيين ، مما هو معروف في المطولات من كتب النحو .

٣ — ينصب الخبر بعد « إن » النافية في لهجة أهل العالية ، ويروى أنه سمع من بعضهم [ إن أحد خيراً من أحد إلا بالعافية ] .

٤ — بنو أسد يصرفون مالا ينصرف ، ويقع منهم ذلك فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون [ لست بسكران ] .

٥ — لهجة تميم تنصب تمييز « كم » الخبرية مفرداً ، ولهجة غيرهم توجب جره وتجزئ أفراده وجمعه . فبنو تميم يقولون : كم درهما أنفقت ! وغيرهم يقولون : كم درهم أنفقت ! وكم عبيد ملكت ! ولهذا كان قول الفرزدق [ كم عمة لك يا جرير وخالة ] موضع نقاش وجدل بين النحاة يمكن الرجوع إليه في المطولات من كتبهم .

٦ — « لعل » تعمل الجر في اسمها عند عقيل ، قال شاعرهم :

لعل الله فضلكم علينا ...

٧ — وتعمل « متى » عمل « من » الجارة عند هذيل ؛ قال شاعرهم :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجسج خضر لهن نثيج

٨ — نصب الاسم والخبر « بليت » لفة تميم أو رؤبة الذي هو من تميم (١) .

هذه هي بعض أمثلة مما روى النحاة في كتبهم ، ونسبوه إلى اختلاف اللججات العربية . والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت للهجاء العربية بصلة ، وإنما هو من صناعة النحاة حين اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بمجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم ، وصرقتهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة . فلم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التي رويت لنا في كتب النحاة ، وإنما التزم الإعراب على تلك الصورة في اللغة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر . وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التي عنى بها الخاصة من العرب في خطبهم وشعرهم ، وعدّ بينهم مما يفخر به الأديب ويمهر في مراعاته . أما في لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئاً عن قواعد إعرابهم ، وعما التزموه في تحريك أو آخر الكلمات أو إسكانها . فالإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعة بين الخاصة من العرب ، ثم بين النحاة من بعدهم ، ولم يكن مظهراً من مظاهر السليقة اللغوية بين عامة العرب . ويدل على هذا شعورهم بقواعده وقوانينه منذ العهد الجاهلي ، فإذا خرج أديب عن تلك القواعد عيب عليه هذا .

وإلا فكيف تتصور من الناحية الصوتية أن لساناً يعجز عن نصب خبر « ما » أو نصب اسم « لعل » أو جر تمييز « كم » الخيرية ؟ !  
فمراعاة الناحية الإعرابية كانت من صفات اللغة الأدبية ، بل لقد كون فيها فيها عنصراً عظيماً الأهمية ، عدّ منذ الجاهلية مقياساً من مقاييس الفصاحة .  
ويظهر هذا الاهتمام بظاهرة الإعراب في تلك اللغة الأدبية ، من تلك الأمثلة التي يسوقونها للحن لبعض الشعراء والكتّاب ، فقد روو أن رجلاً لحن في حضرة النبي فقال رسول الله : أرشدوا أخاكم . ولا يعقل أن صاحب السليقة اللغوية يخطئ ، إلا إذا كان ينطق بلغة خاصة يتمسك فيها بقواعد وأصول لا تراعى

في حياته العادية حين ينطلق على سجيته . كذلك سمع عمر بن الخطاب لحناً من الأعراب ، وكذلك علي بن أبي طالب . وقد عاب العرب على النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم الإقواء في شعرهما . وليس الإقواء في الحقيقة إلا لحناً في الإعراب وخروجاً عن قواعده . ولم يستطع أحد أن يصارح النابغة ، وهو من خاصة الخاصة ، بهذا العيب ، حتى دخل يثرب مرة فأسموه غناء قوله :

أمن آل مية رآح أو مفتدى      مجلان ذا زاد وغير مزود  
زعم البوارح أن رحلتنا غدا      وبذاك حدثنا الغراب الأسود  
فقطن لهذا وغيره إلى قوله [ وبذاك تنعاب الغراب الأسود ] .  
كما عيب على الفرزدق قوله :

وعض زمان يابن مروان لم يدع      من الناس إلا مسحتاً أو مجلفاً  
وأمثلة هذا اللحن الإعرابي فيما سموه بعصور الاحتجاج كثيرة ، ملئت بها كتب اللغة والأدب ، وكلها تدل على قدر اهتمام القوم بناحية القواعد الإعرابية منذ العصر الجاهلي<sup>(١)</sup> .

## ما يتعلق بالناحية الصوتية

حين نعمد على تلك الروايات المبتورة الناقصة التي رويت لنا متناثرة في بطون كتب اللغة والأدب ، نجد أنفسنا أمام صفات صوتية نسبت لبعض القبائل دون تحقيق كاف في الرواية والنقل . فلا عجب أن يتخللها لهذا ، بعض الخلط وبعض اللبس الذي لا سبيل إلى التخلص منه إلا بعد دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفيضة مبنية على أسس علمية صحيحة . على أننا حين نستعرض تلك

(١) انظر قصة الإعراب صفحة ١٢٥ من كتاب « أسرار اللغة » للدوأي .

الروايات ، أو بعبارة أدق ما اشتهر عنها ، نستطيع أن نقسم القبائل العربية بصفة عامة إلى طائفتين ، يشترك أفراد كل طائفة في صفات صوتية واحدة :

١ - فهناك قبائل عربية عاشت في صحراء الجزيرة منفصلة ، مما أدى إلى اصطباغها بصبغة خاصة .

٢ - وهناك قبائل متحضرة عاشت في بيئة حضرية قريبة من المدن العربية أو في ديار المدن نفسها ، وتلك قد اتصفت بصفات صوتية تخالف صفات الأولى . وقد اتصلت هذه القبائل في بيئتها الحضرية بلغات أجنبية أثرت في لهجتها إلى حد ما . فالقبائل التي عاشت في مدن الحجاز أو متاخمة لها ، وبعض التي عاشت في مدن اليمن المتحضرة ، وكذلك تلك التي اتصلت بعض الاتصال بمدن العراق ، نراها جميعاً ذات صبغة واحدة ، تخالف تلك التي انعزلت في صحراء الجزيرة وباديتها . وقد نجد بعض صفات قليلة مشتركة بين هؤلاء وهؤلاء ، ويصعب في بعض الأحيان تمييزها ، ولكن حين تم معرفتنا بتنقلات تلك القبائل ، واتصالها بغيرها ، سنعرف السر في هذا الاشتراك . فاعل من القبائل البدوية ما تأثر في بعض النواحي ببيئة حضرية ، وكذلك العكس .

## عوامل التطور وعوامل الجمود

يعرض المحدثون في علاجهم للهجات وتبعتها في أزمنة مختلفة إلى الحديث عما يمكن أن يسمى بعوامل التطور ، وعوامل الجمود أو الاستقرار ، ويكادون يجمعون على أن لهجات البيئات البدائية ، تختلف عن لهجات البيئات الحضرية في نسبة الخضوع لهذه العوامل . ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغييره في كثير من الظواهر ، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه

الظواهر وتخصنها فلا يطرأ عاينها تغير أو تحور. غير أن الغلبة تكون دائماً لعوامل التطور، فلا تبقى اللهجة في كل ظواهرها على حال واحدة بعد مزور قرن أو قرنين. هذا هو ما يفسر لنا اختلاف نسبة التطور في اللهجات المتباينة. ففي بعض اللهجات نراه شديداً يصيب كل نواحي اللهجة وظواهرها، وفي البعض الآخر نرى التطور ضئيلاً لا يكاد يعدو أموراً معينة في هذه اللهجة.

فإذا نحن استعرضنا بيانات القبائل العربية على ضوء تجارب المحدثين من علماء اللغات توقمنا أن نرى شهماً كبيراً بين ما يسمونه بالبيئات البدائية، وبين حياة البدو والقبائل البدوية. ففي القبائل البدوية التي لا تكاد تستقر على حال عوامل تسارع بلهجتها إلى التطور والتغير:

(١) فلا انفصال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار حولهم لا يتيح القرص الكافية لتلقى اللغة عن الآباء والأمهات وتكرر سماع الألفاظ والعبارات، مما يترتب عليه نقص في التقليد والمحاكاة. ففي مثل هذه البيئات قد تدعو ظروف الحياة ومشقة العيش إلى انشغال الآباء والأمهات عن أطفالهم فلا يتصلون بهم إلا لماماً. وهنا ينشأ الطفل بعيداً عن أهله بعض البعد، مستقلاً عنهم بعض الاستقلال، فلا يسمع منهم إلا قليلاً، ولا يتلقى عنهم إلا نادراً. وأساس النمو اللغوي هو المحاكاة وتكرار السماع. ولا يتقن الطفل تقايد لغة الكبار ونطقهم إلا بتكرار السماع منهم في كل ساعة من ساعات اليوم. بل إن التقاليد في بعض البيئات البدائية تأتي اتصال الطفل بأبيه اتصالاً وثيقاً، فلا يكاد يتحدث معه، وبعد حديث الطفل أمام الكبار ذنباً لا يفتقر، فكأنهم يتصورون الطفل قد خلق ليُرى لا ليُسمع. فلا يسمع الطفل من الكبار حوله إلا قليلاً، ولا يجد منهم من يصلح نطقه أو يهديه في كلامه، فينشأ هذا الطفل معتمداً على نفسه حيناً وعلى الصغار من أمثاله حيناً آخر، يقيس ما لم يسمع على ما سمع، وقد يخطئ في هذا القياس ويذيع هذا الخطأ بين لداته من الأطفال، وينطق بالأصوات منحرفة

بعض الانحراف ، فلا يجد من يقوّم له نطقه ، ويشب عليه دون شعور منه أو من حوله من الكبار . وهكذا ترى الجيل الناشئ قد اصطنع طريقة أخرى في نطق بعض ألفاظه وعباراته وكون لنفسه خصائص تشيع بينهم وتصبح فيما بعد صفة جديدة متميزة لم تكن من قبل في لهجة أهاليهم وذويهم .

( ٢ ) هذا إلى أن القبائل البدوية دائمة الرحيل والتنقل ، لا تكاد تستقر في مكان حتى تلجأ إلى غيره في طلب التجارة أو الكلا ، فتتبدل الحال غير الحال والمناظر غير المناظر على هؤلاء الصغار . فهم في الجنوب في منطقة صخرية وفي الشمال في أخرى رملية ، ولهم في الجنوب جيران ذوو لهجات ونطق معين قد يخالف جيرانهم في الشمال . فيترك كل هذا أثراً في نطقهم ويكون له صدق قوي في نمو لغتهم .

( ٣ ) فإذا أضيف إلى هذا ما عرف عن البدو من قلة عنايتهم بالنطق وسرعتهم في الأداء ، وجدنا التطور في لهجات البدو يأخذ صوراً عدة في زمن قائل . فليس بين البدو طبقات اجتماعية تقاس بمقاييس الحضرة من رغبة في تجويد النطق وتخير الألفاظ . فلا يكادون يتكلمون إلا بقدر ، ولا يعمدون في كلامهم إلى مستوى خاص يناسب مقام الكلام .

ومع كل هذا أو رغم كل هذا فللبدو من حياتهم القبلية وظروفهم الاجتماعية ما يساعد على استقرار لهجاتهم :

( ١ ) فهم يتعصبون لبعض صفات الكلام التي اشتهرت عنهم ويستمسكون بكل ما يميزهم من غيرهم . وإنما يكون هذا حين يشعرون بمثل هذه الصفات . فإذا عرفوا أن لهم نطقاً معيناً بالقف أو الهمزة عرف عنهم واشتهروا به ، استمسكوا بمثل هذا النطق لا يجيدون عنه ولا يسمعون لأبنائهم بالحيدة عنه . ويشبه هذا ما نعرفه عن بعض جهات الصعيد في مصر حين يقولون لأبنائهم: إن من يغير لهجته كمن يغير دينه . ومثل هذه العصبية لا تكون إلا حين يشعرون



بصفة معينة ، ويدركون الفرق بينهم وبين غيرهم فيها إدراكاً تاماً . أما حين تكون الصفات غامضة عليهم ، دقيقة على إدراكهم فإدراكهم لا يكادون يعاينونها ، بل يتركونها وشأنها تغير في أفواههم وعلى ألسنتهم دون عمد أو شعور ، مثل هذا التغير أو التحور .

( ٢ ) هذا إلى أن انعزالهم عن غيرهم وانطوائهم على أنفسهم وبفضهم لكل ما هو أجنبي عنهم ، لا يسمح بأى تطعيم يمكن أن يصيب لهجتهم من بيئة أخرى .

أما في البيئة الحضرية فعوامل التطور إن وجدت ، ليس لها نفس القوة التي تراها عادة في البيئة البدوية :

( ١ ) ففي الحضرة طبقات من الناس تقاس مراكزهم الاجتماعية بمقاييس لغوية في بعض الأحيان . وتتطلب حياة الحضرة العمل على تحسين النطق وتأخير العبارات ، حتى ينال المرء ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي . فلا تكاد تتم مراحل نمو اللغة عند أطفال الحضرة حتى يرون أنه من الضروري لهم أن يعملوا على تجويد نطقهم ، وتحسين عباراتهم ، وتأخير ألفاظهم كي يصلوا إلى ما يطمحون إليه ويصبح لهم شأن في وطنهم المتحضر . ولهذا لا يكاد ينحرف أحد منهم في نطقه أو تقليده للغة الكبار حولهم . فينشأ الطفل الحضري بين أحضان أهله مدللاً ، يكثر من الحديث إليه ، ويستمتعون بكل ما ينطق به ، ويراقبون في متعة وسرور نطق كلامه ، ويصلحون ما يزل فيه أو ينحرف عنه . ويترب على مثل هذه الظروف حالة من الاستقرار في لهجة الكلام بين أهل الحضرة تفوق نسبياً ما شهدناه بين البدو .

( ٢ ) ومع هذا ففي الحضرة ما يمكن أن يساعد على التطور كقبول أهله لكثير من العناصر الأجنبية التي تنزح إليهم ، واتصالهم بكل جديد يطرأ على الحياة الإنسانية . فلمخترعات الجديدة صداها في ألفاظهم ، وللتجارة الأجنبية أثرها

في كلماتهم ، فهم مستعدون للإعارة والاستعارة في ألفاظ اللغة وأساليبها أكثر من استعداد البدو لمثل هذا . ولقد كانت مكة في عصور ما قبل الإسلام مهذاً لتجارة رانجة واسعة النطاق ، وكان ينزح إليها قوم من الأعاجم يؤسسون فيها بيوتاً تجارية عظيمة ، ويحلبون إليها منتجات من كل الأمم المعروفة حينئذ . ولا نستطيع أن نتصور كيف يمكن أن يتم هذا دون أن يترك أثراً ما في لهجة مكة .

ولهذا كله لا ندهش حين نرى الروايات التي رويت عن لهجات البدو تتميز بخصائص تخالف تلك التي عرفت عن الحضر . كذلك لا ندهش حين نلاحظ أن لهجة البدو بوجه عام كانت أسرع إلى التطور والتغير ، وأن لهجات البيئة الحجازية ، قد حافظت في مجموعها على خصائص قديمة تنتمي إلى السامية الأولى .

## صفات اللهجة بين البدو والحضر

### ١ — الميل إلى الازمالة :

تحدثنا آنفاً عن طبيعة الإمالة من الناحية الصوتية ، وقلنا إنها المرحلة الثانية للصوت المركب الذي يسميه المحدثون Diphthong ، كما قررنا أنه قد تكون إمالة إلى الكسر في حالة ai ، وإلى الضم في حالة au . وقد وقفت القبائل البدوية عند مرحلة الإمالة ؛ ولم تتطور الإمالة في ألسنتهم إلى الفتح كما حدث عند الحجازيين ..

وإذا نسبنا الإمالة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها فليس معنى هذا أن جميع هذه القبائل يميل بنسبة واحدة ، بل يظهر أن إمالة قبائل وسط الجزيرة

كانت تلك الإمالة الشديدة، أما إمالة القبائل المتاخمة لمدن العراق فقد كانت إمالة خفيفة، أى قريبة من الفتح .

هذا حين تكون الإمالة نتيجة أصل يأتى أو واوى كما أشرنا آنفاً كما إمالة نحو « باع ، قام ، » ، أما حين تكون الإمالة نتيجة انسجام بين أصوات اللين كما فى إمالة نحو « كتاب ، » ، فتلك صفة كانت أكثر شيوعاً فى القبائل البدوية ، منها فى القبائل المتحضرة التى عنيت بتحقيق الأصوات ومنع تأثرها بعضها ببعض .

## ٢ - الميل إلى الضم أو الكسر :

مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخافى المسمى بالضمّة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية . فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم . والكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان ، لأنهما من أصوات اللين الضيقة (١) .

لهذا تحل إحداها محل الأخرى فى كثير من الظواهر اللغوية . غير أن الكسر دليل التحضر والرقّة فى معظم البيئات اللغوية . فهى حركة المؤنث فى اللغة العربية ، والتأنيث عادة محل الرقة ، أو ضعف الأنوثة . ولاشك أن الحضرى أميل إلى هذا بوجه عام . هذا إلى أن الياء التى هى فرع عن الكسرة تعدّ العلامة الأساسية للتخفيف فى لغتنا العربية . بل إن من المحدثين من يؤكد لنا أن الكسرة فى كثير من اللغات ترمز إلى ضعف الحجم والرقة وقصر الوقت (٢) .

ومما نلاحظه أن اللغة العربية فى تطورها إلى اللهجات الحديثة مالت فى غالب الأحيان إلى التخاض من بعض ضماتها ، وإبدال الكسرة بها حين استقرت فى المدن والبيئات المتحضرة .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية ص ٣٨ .

(٢) أسرار اللغة صفحة ٨٠ .

ولسنا نفى بهذا أن لهجات البدو قد دخلت من الكسرات ، أو أن لهجات الحضر لا تعرف الضمات ! وإنما كل الذى نهدف إليه هو أنه إذا رويت لنا الكلمة بروايتين : إحداها تشتمل على ضم فى موضع معين من هذه الكلمة ، والرواية الأخرى تتضمن الكسر فى نفس الموضع من الكلمة ، رجحنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمى إلى بيئة بدوية ، وأن المشتملة على الكسر تنتمى إلى بيئة حضرية . كذلك نرجح أن الروايتين أو الصيغتين كانتا تستعملان فى زمن واحد ولكن فى بيئتين مختلفتين . فليست إحداها بالأصل والأخرى فرع عنها ، أو ليست إحداها بمثابة التطور للأخرى ، بل إن الصيغتين قد وجدنا معاً وعاشتا فى عصور ما قبل الإسلام . ويشبه هذا ما نسمعه فى بعض اللهجات المصرية من النطق بكلمات مثل : (زهق وطوق وصغر) مرة بالضم وأخرى بالكسر ، غير أننا نلاحظ أن النطق بالضم يشيع فى البيئات البدائية وبين الجفاة الحشنين من الرجال ، فى حين أن النطق بالكسر نسمعه غالباً فى المدن وفى أفواه النساء بصفة خاصة .

فإذا استعرضنا ما روى لنا عن اللهجات العربية القديمة ، وجدنا قدراً كبيراً من الأمثلة التى تؤيد ما نذهب إليه هنا :

فهناك رواية تجمع عليها كتب اللغة وهى تلك الظاهرة التى تسمى بالمعاقبة<sup>(١)</sup> الحجازية . ويفسرها علماء اللغة بقولهم إن الواو فى مثل « صوام » ينطق بها ياء عند الحجازيين فيقولون « صيَّام » . ويفهم من كلام النحاة وأصحاب المعاجم أن هذه الظاهرة كانت مطردة ، فكان الحجازيون يقولون : [ صيَّام ، نيَّام ، صيَّانغ ، قيَّاد ] بدلاً من : [ صوَّام ، نوَّام ، صوَّانغ ، قوَّاد ] .

فإذا تذكرنا ما نعرفه من دراسة الأصوات وطبيعتها ، وجدنا أن « الواو » ليست فى الحقيقة إلا امتداداً للضم مع فرق طفيف فى وضع اللسان ، وأن « الياء »

هي امتداد للكسر مع نفس الفرق الطفيف في وضع اللسان . فكان الحجازيين كانوا يميلون إلى الكسر ، في حين أن غيرهم من البدو كانوا يميلون إلى الضم .  
انظر أيضاً إلى الروايات الآتية التي وردت في لسان العرب :

١ — بعض من فزارة كانوا يقولون : كسايان « بدلا من « كساوان » .  
وفزارة من غطفان تلك القبيلة التي عاشت بالقرب من الحجاز وربما قد تأثرت بما شاع فيه .

٢ — كلمة « حيث » رويت في صورة أخرى هي « حوث » ونسبت هذه الصورة الأخيرة لقبيلة طيء وقيل تميم ، وكلاهما من القبائل البدوية التي آثرت الضم في كثير من الصيغ .

٣ — يقال « ما أعيج به » أى ما أعبا به . ولكن بنى أسد كانوا يقولون « ما أعوج » .

٤ — حكى عن بنى « سليم » وهم من القبائل الحجازية أنهم كانوا يقولون « منذ » بكسر الميم في « منذ » .

٥ — « مكيل » اسم الفعول من كان يكيل ، وينطق به بنو أسد « مكول » .

٦ — المشهور هو « نما ينمو » ولكن حكى عن بعض بنى سليم أنهم قالوا « ينمى » ، وسئل جماعة من بنى سليم عن الواوى فلم يعرفوه .

٧ — المشهور الشائع في اسم الموصول لجمع المذكر هو « الذين » ، وقد روى لهذه الصيغة نظير هو « اللذون » ، وينسبه بعض الرواة لهذيل وبعضهم ينسبه لعقيل . ويظهر أن نسبته لعقيل أدق أو أرجح لأنها من القبائل البعيدة عن البيئة الحجازية ، فهي أقرب إلى التأثر بلهجة تميم ومن على شاكلتهم . ويروى الرواة شاهداً من الشعر وهو :

نحن اللذون صبجوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

ولعل مما يؤيد نسبة هذه اللهجة إلى عقيل أن هذا الشاهد نسبة أبو زيد<sup>(١)</sup> لأبي حرب بن الأعمى وهو جاهلي من بني عقيل . ونسبه الصاغاني في العباب إلى ليلي الأخيالية وهي أيضا من عقيل<sup>(٢)</sup> .

على أننا لا نعتمد في ظواهر اللهجات وخصائصها على لغة الشعر وأمثله ، فكما قلنا آنفا لقد نظم الشعر باللغة النموذجية المشتركة بين القبائل جميعاً ، ولا يصح لهذا أن يشتمل على الصفات الخاصة ببعض اللهجات . فاعل هذا البيت قد اشتمل في أصله على « الذين » وقد غيره الرواة ليجعلوا منه شاهداً على أن « اللذون » قد سمعت من بعض القبائل .

٨ — يقال لنا إن بني تميم يعربون « أمس » وعليه فيجوز فيها « أمس » ، ولكن الحجازيين يلتزمون فيها حالة واحدة هي « أمس » .

ويظهر أن استقراء هذه الرواية قد اعتوره بعض النقص ، وأن الحقيقة هي أن تيمما كانت تلتزم في الكلمة حالة واحدة هي « أمس » بضم السين .

٩ — قرأ يعقوب وحمزة وها عراقيان أو ممن تأثروا بالبيئة البدوية الكلمات (عليهم ، إليهم) بضم الهاء بدلا من المشهور الشائع في البيئة الحجازية بكسرها .

بل لقد روى في القراءات القرآنية أن « قُبُلا » في قوله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلا » على لغة تميم ، وأن القراء « قِبلا » على لغة كنانة . كذلك

قيل لنا إن قراءة « أُنْذا مُتْنا » على لغة تميم ، وقراءة « أُنْذا مُتْنا » على لغة الحجاز . كذلك قرئت الكلمة « سخريا » بضم السين وكسرها وروى لنا أن

الضم على لغة تميم ، وأن الكسر على لغة قريش ، في قوله تعالى : اتخذناهم سخريا .

ومن أمثلة الضم والكسر : [ إسوة ، مربة ، غلظة ] بكسر الأول وضمه ، والكسر في لهجات الحجاز والضم لميم<sup>(١)</sup> . ومنها ما جاء عن اليزيدي في المزهر

(١) نوادر اللغة . ص ٤٧ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ص ٨٠١ .

(٣) أدب الكاتب . ص ٤٣٤ ، الزهر ج ٢ ص ٢٧٦ .

أن تميمًا تضم أوائل الكلمات : [ عدوة ، عشوة ، أسوة ، قدوة ] . وقرأ أبو عمرو وابن كثير « بالعدوة الدنيا » بكسر العين ، والباقون بضمها ، والضم أعرب اللغتين عن أبي عبيد ، وذكر اليزيدي أن الكسر لفة الحجاز <sup>(١)</sup> .

وكذلك « صنوان » بالضم لتمييم وقيس ، وبالكسر لأهل الحجاز <sup>(٢)</sup> .

١٠ — وأخيراً لعل من هذه الظاهرة ما روى عن بنى كلب وسمى « بالوكم »

حيناً وبالوهم حيناً آخر ، فقد قيل لنا إنهم يكسرون كاف الخطاب في « عليكم » وهذا هو « الوكم » ، كما يكسرون ضمير الغيبة في « منهم » وهذا هو الوهم .

وبنو كلب هؤلاء فرع من قضاة ، ترددت مساكنهم بين تخوم الشام وما يقرب من بلاد العراق . فهل كان هذا لأنهم تأثروا بما انتشر في تلك البقاع من لغات سامية كالآرامية والعبرية وكلاهما أثر الكسر في مثل هذه الضمائر ؟

أوربما يقال إن كسر هذه الضمائر كان صفة من صفات اللهجات الحجازية وأن ضمها قد شاع في لهجات البدو ، وأن النطقين قد عاشا معاً جنباً إلى جنب في عصور ما قبل الإسلام . ثم إن اللغة النموذجية قد انتهجت النهج البدوي في هذه الضمائر لأن المشهور الشائع في نطقها هو أن تكون بالضم .

أما كيف يمكن أن بنى كلب قد تأثروا بلهجات الحجاز ، فذلك لأنهم عاشوا على حدود الشام أى على الطريق الذى كان الحجازيون يسلكونه دائماً في تجارتهم مع بلاد الشام ، فبيئتهم ليست إلا امتداداً طبيعياً للبيئة الحجازية .

تلك هى بعض الروايات التى توضح لنا بجلاء ميل البدو إلى الضم وإيثار الحضر للكسر ، أى أن قبائل الحجاز بوجه عام كانوا يميلون إلى الكسر ، فى حين أن « تميمًا » ومن على شاكلتهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كانوا يضمون . وهناك روايات أخرى كثيرة وردت فى لسان العرب وفى النخصص وتؤيد ما نذهب

(١) إبراز المعاني ص ٣٣٤ .

(٢) البحر ج ٥ ص ٣٥٧ .

إليه هنا ، ولكن هناك أيضاً بعض الروايات التي تخالف في مجموعها هذا الرأي ،  
والتي تحتاج إلى تحقيق مستقل أو تفسير خاص ، ولعلها تعزى إلى خطأ في الرواية  
أو اختلاف في معنى الصيغتين .

على أنه حين نساءل عن أى الصوتين أيسر في النطق أو أيهما الذي يحتاج  
إلى جهد عضلي أكثر ، نجد أن الضمة هي التي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر ،  
لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان ، في حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى  
اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه . وقد كنا نتوقع من أجل  
هذا أن يشيع الكسر في بيئة البدو حيث الميل إلى الاقتصاد في الجهود  
العضلي ، وبذل أقل جهد ممكن في أثناء النطق متى تحقق النطق أن مثل هذا  
الجهد سيحقق له الهدف من الكلام . ولكن الضم كما قلنا آنفاً صفة من صفات  
الخشونة التي يحرص عليها البدوي والتي يدرك أنها تميزه من غيره ، ولذلك  
استمسك بها وتمصّب لها في غالب الأحيان .

وقد حدث في النادر من الأحيان أن نسي البدوي نفسه وانطلق على سجيته  
فنطق بالكسر حيث كنا نتوقع منه الضم . هذا هو ما يمكن أن يفسر لنا تلك  
الروايات النادرة ، على افتراض صحتها ، التي جاء فيها الكسر منسوباً لقبيلة  
بدوية .

وليس يقتصر أمر اللهجات على الضم والكسر ، بل لقد تروى الكلمة  
بصيغتين تشتمل إحداها على الضم والأخرى على الفتح ، أو إحداها على الكسر  
والأخرى على الفتح . وفي مثل هذه الرواية يجب أن نلجأ في تفسيرها إلى ذلك  
القانون العام أو الظاهرة العامة التي نسميها بانسجام أصوات اللين في الكلمة  
الواحدة *Vowel - Harmony* ، وهي ظاهرة من ظواهر التطور في حركات  
الكلمات . فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى  
الانسجام بين هذه الحركات ، حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح



في الحركات التتالية . . وقد برهنت الملاحظة الحديثة على أن الناطق حين يقتصد في الجهد العضلي يميل دون شعور منه أو تعمد إلى الانسجام بين حركات الكلمات .

والانسجام درجات بعضها أيسر من بعض : فتوالى الضم ثم الكسر ثم الفتح أشق من توالى ضمتين ثم الفتح ، أو توالى كسرتين ثم الفتح . وربما كان أيسر من هذا وذلك أن تصبح هذه الكلمة مشتتة على ضم ثم فتحتين .  
ولسنا في كل حال نتوقع أن يلتبس الناطق أيسر السبل ، وإنما نتوقع منه أن يقوم ببعض الانسجام أياً كانت درجته من اليسر .

وقد استطعنا على ضوء هذه الظاهرة أن نفرس بعض الروايات التي رويت عن اللهجات القديمة ، ووجدنا بوجه عام أن لهجات البدو أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي فيها تحقق الأصوات نتيجة التأنى والتؤدة في النطق . فالانسجام كظاهرة صوتية لا يقتصر أمره على لهجات البدو ، بل قد يوجد أيضاً في بعض لهجات الحضر ولكن بنسبة أقل :

١ — فإذا قيل لنا إن الحجازيين كانوا يقولون « برأت من المرض » وسائر العرب يقولون « برئت » ، أمكننا بسهولة أن نتصور أن الأصل هو « برئت » ، وأن نوعاً من الانسجام بين الحركات قد أدى إلى الصيغة الأخرى « برأت » .

ولا شك أن الراوى الذي سمع هذه الصورة من الحجازيين لم يسمعها في اليهود الجاهلية ، وإنما سمعها وقت تدوين اللغة أي بعد مرور ما يقرب من قرنين على ظهور الإسلام ، وفي خلال هذه الفترة قد تم مثل هذا التطور .

ففي ظاهرة الانسجام نستطيع دائماً أن نميز الأصل من الفرع ، وأن نقبين ما كانت عليه الكلمة وما صارت إليه .

٢ - وما يروى لنا أن الكلابيين كانوا ينطقون بكلمة « تفاوت » بفتح الواو . ولكن القرآن الكريم قد استعملها بضم الواو ، مما يؤكد لنا أن الصورة القرآنية هي الأصل وأن الأخرى فرع لها .

والكلابيون ممن تأثروا بالبيئة الحجازية .

٣ - وأهل تهامة وهم أقرب إلى البيئة الحجازية كانوا يقولون في « العُضْد » بضم العين . وقد استعملت الصيغة الأولى في القرآن الكريم ، مما يبرهن على أنها الأصل .

تلك هي أشهر الأمثلة التي رويت للانسجام في البيئة الحجازية ، وهي إذا قيست بما روى عن البيئة البدوية تعدّ قليلة الأهمية :

١ - فقد روى عن تميم وأسد أنهم كانوا ينطقون باطراد كلمات مثل : [ بعير ، شهيد ، زئير ] بكسر الحرف الأول . وليس هذا في الحقيقة إلا نوعاً من الانسجام بين حركات هذه الكلمات . وعلى هذا لا معنى لما يشترطه بعض اللغويين من أن الحرف الثاني في مثل هذه الكلمات يجب أن يكون من حروف الخلق !! ويظهر أن الراوى قد سمع من تميم كلمات تصادف أن كانت مشتملة على حروف الخلق ، وليست هذه الظاهرة التيممية إلا انسجاماً بين الحركات يشبه ما سمعه الآن في بعض اللهجات الحديثة من نطق [ كبير ، بعيد ، نظيف ] بكسر أولها .

٢ - « سكارى وكسالى » كلمتان وادتا في القرآن الكريم وقد ضم الحرف الأول في كل منهما ، ولكن المعاجم العربية تحدثنا أن بنى تميم وأسد كانوا ينطقون بهما وقد فتح الحرف الأول منهما . ولا يمكن تفسير مثل هذا إلا على ضوء الانسجام بين الحركات في كل من الكلمتين .

٣ — « سنفرغ لكم أيها الثقلان » ، قيل لنا إن هناك قراءة لكامة « سنفرغ » بفتح الراء على لغة تميم .

٤ — « غشاوة » قرئت بفتح الغين على لغة ربيعة . ولكن ربيعة شعب عظيم يشتمل على عدة قبائل بعضها ممن تأثر بالحضر في بلاد الحيرة وبعضها ممن البدو كبكر بن وائل . فإذا صحت هذه الرواية يمكن أن ينسب هذا النطق لقبيلة بادوية مثل بكر بن وائل .

٥ — هناك أمر مطرد تجمع عليه كتب اللغة وهو نطق قبيلة طيء لأفعال مثل : [ بقى ، فنى ، رضى ] بفتح الحرف الثانى فى كل منها .

٦ — « ما فتئت أذكره » ، قيل لنا إن بنى تميم كانوا يقولون فيها « ما فتأت » فيفتحون التاء من هذا الفعل .

٧ -- المشهور فى الفعل « مات » أن مضارعه يموت أو يميت ، ولكن بنى طيء كانوا يقولون « يمات » .

٨ — المشهور فى الفعل « إخال » هو كسر همزة المتكلم ، ولكن بنى أسد كانوا ينطقون بها مفتوحة .

ويبدو أن بعض القدماء من العلماء كانوا يشعرون بأثر ظاهرة الانسجام بين الحركات فقد كان ابن جنى يعبر عنها بقوله [ لضرب من تجانس الصوت ] (١) ، ويعبر عنها ابن يعيش بقوله [ لضرب من التشاكل ] (٢) .

ولسنا ندعى بعد كل هذا أن ما سقناه هنا من مبادئ عامة ، تفسر لنا كل الروايات التى وردت فى المعاجم لكلمات رويت بحركات مختلفة ، فبعض الروايات التى عثرنا عليها لا تزال تحتاج إلى تحقيق ، ولعل بحوث المستقبل تكشف لنا عما غمض علينا .

### ٣ — الميل إلى الأصوات الشديدة أو الرخوة :

مالت القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها ، وهو أمر طبيعي يلتزم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع . لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها ، حاسمة ، ثم إن ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب .

وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآذان إنما هي فرقعات متمدة ، في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع يشتمهم وطبيعتهم .

فالباء والتاء والذال والكاف ، وغيرها من الأصوات الشديدة ، قد نسمعها في أفواه المتحضرين ( على الترتيب ) :

فاء . سينا . زايا . شينا

هذا إلى أن الأصوات الشديدة تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة . ولذلك نلاحظ أن الطفل الصغير قد يلتبس الصوت الشديد بدلا من نظيره الرخو ، فيقول مثلا : « تتي » بدلا من « ستي » ، وكذلك البدوي الذي يقتصد من الجهد العضلي في أثناء نطقه ، يميل في كثير من الأحيان إلى قلب الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

فإذا رويت لنا الكلمة بروائتين : في إحداها تشتمل الكلمة على صوت شديد وفي الأخرى على نظيره الرخو ، أمكن أن ننسب الصيغة المشتملة على الصوت الشديد إلى بيئة بدوية ، وأن ننسب الأخرى إلى بيئة حضرية . هذا إذا لم نعرف أى الصيغتين هو الأصل وأيها هو الفرع . والطريق الوحيد لمعرفة الأصل والفرع في مثل هذه الحال هو الرجوع إلى النصوص القديمة الموثوق بها . فإذا وردت الكلمة في نص جاهلي ، أو نص منسوب إلى صدر الإسلام ، أو وردت في القرآن

السكريم ، دل هذا على أن صورتها التي ترد في مثل هذه النصوص هي الأصل في الأعم الأغلب ، وأن تطوراً ما قد أصاب الكلمة فيما بعد حتى صارت على الصورة الأخرى التي سمعها الرواة في عصر التدوين ، أي بعد ظهور الإسلام بنحو قرنين من الزمان . ومثل هذه الفترة من الزمن كافية لإحداث مثل هذا التطور .

نستعرض بعد هذا بعض تلك الروايات التي جاءت في معاجمنا العربية مؤيدة لما نذهب إليه هنا :

١ - المشهور هو « عكوف الطير » ، وقد قيل لنا إن قبيلة عقيل تقول : « عكوب الطير » بالباء ! والفرق بين الفاء والباء هو أن الأولى صوت رخو نظيره الشديد هو ذلك الصوت الأوروبي P ، ولكن نظراً لفقدانه في لغتنا العربية اعتبرت الباء المألوفة لنا بمثابة النظير الشديد للفاء العربية . وقبيلة عقيل كما نعرف من القبائل التي عاشت بالقرب من تميم وتأثرت بها ، فهي من قبائل البدو الذين آثروا الأصوات الشديدة .

٢ - جاء في اللسان : « قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : ما ذقت عدوقاً ولا عدوفة ، قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأشديت قيس بن زهير :

ومجنبات ما يذقن عدوفة يقذفن بالمهرات والأمهار

بالدال ، فقال لي يزيد صحفت أبا عمرو ، وإنما هي « عدوفة » بالدال ، قال فقلت له لم أحصف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالدال ، وسائر العرب بالدال » .

نحن في هذه الرواية أمام كلمة رويت بروايتين وهي « عدوفة » بالدال أو الدال ، وهما حرفان متناظران : الأول منها شديد والثاني نظيره الرخو ، وقد نسبت الصيغة المشتمة على « الدال » لشعب عظيم هو ربيعة وفيها البدو وفيها من تأثروا بحضر الحيرة كإبادو النمر . ولذلك نؤثر أن نسب النطق بالدال لهاتين القبيلتين .

ولكن الغريب أن يرد في مادة « ذكر » أن الفراء يقول :  
[ وبعض بني أسد يقولون « مذّكر » فيقبلون الدال فتصير ذالاً مشددة .  
وقال الليث « الذّكر » ليس من كلام العرب ، وربيعة تفلط في « الذّكر »  
فتقول « ذكر » ] .

أما أن ينسب « الذّكر » بالدال لربيعة فأمرهين ، لأن من قبائل ربيعة بكر  
ابن وائل ، وهي المتوغلة في البداوة ، فلعل الراوى قد سمع هذا النطق فيها .  
ولكن نسبة « مذّكر » بالدال لبني أسد من الأمور التي يصعب تعليلها .  
( ٣ ) روى أن الأصمعي قال : إن « الخبيت » هو « الخبيث » ، وإن  
النطق بالثناء لغة خيبر . ولكن هذه القبيلة اليهودية من القبائل التي تأثرت  
بالبيئة الحجازية ، ولذا لم نسكن نتوقع أن يروى عن لهجاتها قلب الصوت الرخو  
إلى نظيره الشديد . على أن هذه الرواية كانت موضع شك من الخليل ، كما اعتبرها  
بعض اللغويين تصحيفاً . جاء في اللسان ما نصه :

[ قال اليهودى الخيبرى :

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث  
وسأل الخليل الأصمعي عن « الخبيت » فقال له أراد « الخبيث » وهي لغة  
خيبر ، فقال الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال « الكثير » ، وإنما كان ينبغي أن  
تقول إنهم يقبلون الثناء تاء في بعض الحروف . وقال أبو منصور في بيت اليهودى  
أيضاً أظن أن هذا تصحيف ، قال لأن الشيء الحقيق الردىء إنما يقال له « الخبيت »  
بتاءين ، وهو بمعنى الخسيس فصحفه وجعله « الخبيت » ] .

وهكذا نرى أن الخليل لم يرقه أن يسمع أن قبيلة حجازية ينسب لها قلب  
الصوت الرخو إلى نظيره الشديد .

( ٤ ) جاء في اللسان أن قبيلة طيء كانوا يقولون « اللّصّت » بدلا من  
« اللص » ، ويقولون « الطست » بدلا من « الطس » . ويؤيد هذه الرواية

ماورد في المخصص<sup>(١)</sup> : الأَصْت هو اللص في لغة طيء، وجمعه « لصوت » وم يقولون طست وغيرهم طس .

وقبيلة طيء متوغلة في البداوة ، فلا غرابة أن يقلب في لهجتها صوت « رخو » إلى نظيره الشديد . فالسين صوت رخو نظيره الشديد التاء ، والصاد صوت رخو نظيره الشديد هو الطاء التي إذا رُققت أصبحت تاء .

(٥) جاء في المخصص<sup>(٢)</sup> : [قال ابن دريد الخزف ماعمل من الطين وشوى بالنار فصار نخاراً واحده خزقه ، والخزب لغة في الخزف يمانية ] .

فهذا مثل آخر للفاء الرخوة حين تناظرها الباء الشديدة في كلمة رويت بروايتين . ويمكن أن تنسب رواية الباء إلى قبيلة بدوية من قبائل اليمن المتعددة التي منها البدوي ومنها المتأثر بمحضر اليمن .

(٦) جاء في اللسان أن [ « اللازب » و « اللاتب » بمعنى واحد ، وأن قبيلة قيس تقول طين لاتب ] .

فهذه مناظرة بين الزاي والتاء ، والأولى رخوة والثانية شديدة ، ولكنها مناظرة بين صوت مجهور وصوت مهموس ، مما يرجح أحد أمرين : إما أن صيغة « لازب » كان ينطق بها « لاسب » ، أو أن صيغة « لاتب » كان ينطق بها « لادب » . ومع هذا فقد نسب الصوت الشديد لقيس التي تارجحت بين تميم والحجاز فتأثرت بهذه وتأثرت بتلك . ويبدو أنها هنا قد تأثرت ببيئة تميم البدوية .

(٧) جاء في المخصص<sup>(٣)</sup> : فاضت نفسه خرجت تميمية . ولكن صاحب اللسان حين يتحدث عن هذا الفعل يذكر عدة روايات فيقول ما نصه [ قال الفراء أهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسه ، وقضاعة و تميم وقيس يقولون

(١) جزء ثالث صفحة ٧٨ .

(٢) جزء خامس صفحة ١٢٥ .

(٣) جزء ١٥ صفحة ٣٦ .

فاضت نفسه مثل فاضت دمعته . وقال أبو زيد وأبو عبيدة : فاضت نفسه بالظاء لغة قيس وبالضاد لغة تميم . وروى المازني عن أبي زيد أن العرب تقول : فاضت نفسه بالظاء إلا بنى ضبة فإنهم يقولون بالضاد [ . . . ]  
فهذه مناظرة أخرى بين صوت رخو وهو الظاء ونظيره الشديد وهو الضاد ، ولكن الرواة لا يكادون يستقرون على أمر في نسبة الصيغتين . ويظهر من مجموع ما قالوا أن « الضاد » تنتمي إلى بيثة تميم البدوية ، وأن الظاء تنتمي لبعض من قيس ممن تأثروا بالبيثة الحجازية ، أو لأهل الحجاز أنفسهم كما يقول الفراء ، أى أن رواية أبي زيد هي أقرب الروايات إلى الصحة . ويؤيد ما نذهب إليه قول صاحب الخخص<sup>(١)</sup> حين يتحدث عن « اضرورى » أى انتفخ بطنه من الطعام ، [ إنه قد حكى عن أبي عمرو « اطرورى » بالطاء ، ورواية أبي زيد « اطرورى » بالظاء وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه ، وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد ] .

فهذه مناظرة أخرى بين الضاد والظاء ، وفيها تنسب الظاء لأهل الحجاز ، مما يرجح لنا ميل البيثة الحجازية المتحضرة للأصوات الرخوة .  
ومن مظاهر اضطراب الروايات في كتب اللغة والأدب أن تنسب صفة خاصة من صفات اللهجات لشعب عظيم يتكون من عدة قبائل ، ثم في موضع آخر تنسب له صفة أخرى مناقضة للأولى .

ومحن نفق أمام تلك الروايات المتناقضة جيارى لا ندرى أيها نصدق ، وبأيها نأخذ ! ولكننا إذا نظرنا إلى تلك المجموعة من القبائل وجدنا بمضامنها قد تأثر ببيثة بدوية والبعض الآخر يبدو تأثره ببيثة حضرية . فعلىنا في مثل هذه الحالة أن ننسب الصفة إلى ما يناسبها من قبائل ذلك الشعب العظيم مهتدين بتلك القاعدة العامة التي قررناها ، وهى أن ظواهر اللهجات في القبائل البدوية تخالف



إلى حد كبير ظواهرها في القبائل المتحضرة التي عاشت في المدن . فثلا تنسب الروايات صفة الشدة في الصوت لليمن دون تعيين قبيلة فيها ثم في موضع آخر تنسب صفة الرخاوة لقبائل يمنية أيضاً ، فواجب الباحث المدقق أن يقسم قبائل اليمن إلى بدوية وحضرية ، ثم ينسب الشدة للبدوية منها ، والرخاوة للحضرية . وبذلك نستطيع بقدر الإمكان التوفيق بين تلك الروايات المتناقضة : —

(١) فثلا روى أن « السين » تقلب « تاء » في لهجة اليمن ، فيقولون « النات » في « الناس » ، و « لبات » بدلا من « لابس » . ثم يروى الرواية شاهداً من الرجز :

ياقاتل الله بنى السمعاتِ عمرو بن يربوع شرار الناتِ

غير أعفاء ولا أكياتِ

فنحن هنا أمام شعب عظيم من القبائل تنسب له صفة خاصة من صفات اللهجات وهي قلب صوت رخو إلى نظيره الشديد . فعلياً أن نبحت في مثل هذه الحالة عن أي قبائل اليمن تلك التي مالت إلى البداوة أو عاشت قريبة من الصحراء ، فنجد أن أقرب قبائل اليمن إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما : خثعم ، زبيد . وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن .

أما المبرر الصوتي لانقلاب « السين » « تاء » فهو هين واضح ، لأنهما يكادان يكونان متماثلين في المخرج ، كما أن كلا منهما صوت مهموس ، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما به ينجس النفس حتى إذا انفصلا انفصالا مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء ، في حين أنه في حالة النطق بالسين نلاحظ أن انحباس النفس لا يكون محكما ، بل هناك فراغ ضيق بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ليتسرب منه الهواء . (ب) كذلك روى أن من قبائل اليمن من يظنون « بالميم » شديدة

لارخاوة فيها، أى تماثل تلك الجيم الشائعة فى اللهجة القاهرية الحديثة . فإذا  
قارنا بين « الجيم » اليمينية والجيم الفصيحة كما وصفت فى القراءات وجدنا فرقاً  
من ناحيتين : الأولى أن « الجيم » اليمينية أكثر شدة ، والثانية أن مخرج « الجيم »  
اليمينية هو أقصى الحنك ، ولكن مخرج « الجيم » الفصيحة هو وسط الحنك .  
فما حدث فى نطق اليمينين « للجيم » هو انتقال المخرج إلى الوراء قليلاً ،  
وانحباس النفس معها انحباساً كاملاً ، رغم احتفاظ كلا الصوتين بصفة الجهر .  
حقاً أن « الجيم » الفصيحة تعد صوتاً أقرب إلى الشدة منها إلى الرخاوة ،  
ولكن « الجيم » اليمينية قد كملت شدتها ، وذلك من صفات البيئة البدوية .  
وقد نسبت هذه « الجيم » أيضاً لبعض قبائل طيء ، وهم كما نعرف من البدو  
الذين عاشوا فى بعض نواحي نجد .

وإذا كان علينا أن نتخير من قبائل اليمن من ترجح نسبة مثل هذه الصفة  
إليه ، لم نجد خيراً من قبيلتي : خثعم ، زبيد .<sup>(١)</sup>

#### ٤ — الميل إلى مظهر الأصوات أو همسها :

فى مثل تلك الصحراء الشاسعة الخالية من مظاهر المدنية ، قد يفنى الصوت  
فى جو لا آخر له ، إذ يتحدث الناس غالباً فى العراء وقد افترشوا الغبراء والتحفوا  
بالسباء ، وليس هناك من حائل يصد موجات الصوت أو يركزها ، بل تنساب  
الأصوات فى محيط الفضاء تخفى فيه الأصوات فلا تكاد تبين أو تتضح .  
ولا شك أن الأصوات المجهورة أوضح فى السمع ، تطلقها الأذن فى مسافة  
عندها قد تخفى نظائرها المهموسة .

لهذا كان من المعقول ، بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدينة التى يتحدث  
بين جدران المنازل ، والتى لا ترى داعياً لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه  
السامع القريب ، تميل عادة إلى همس الأصوات .

(١) أنظر للدوائف بحث قضية الجيم فى بحوث مؤتمر جمع اللغة العربية سنة ١٩٦٢ ص ١٠٧

ولقد دعت الحضارة منذ القدم ، بل ودعت آداب الإسلام إلى خفض الصوت، مما ترتب عليه أن شاعت الأصوات المهموسة في البيئة العربية المتحضرة: قال تعالى : « واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الخير » ، وقال : « لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » ، وقال : « إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » وقال تعالى يخاطب الأعراب « ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » ، فكل هذه الآيات الكريمة تدعو الناس ولا سيما البدو منهم إلى خفض الصوت . وروى أن رجلاً من بني العنبر من تميم جاء إلى النبي وأخذ ينادى عليه بصوت مرتفع أجش فنزل قوله تعالى : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

ومما لاحظته المحدثون من علماء الأصوات أن النساء بصفة خاصة يملن إلى هس الأصوات وهو ما يتفق وطبيعتهن .

« فالسين » عند الحضريين قد ينطق بها « زايا » عند البدو ، « والتاء » عند الحضريين قد ينطق بها « دالا » عند أبناء البدو ... وهكذا . هذا إلى أن الأصوات المهموسة تتطلب جهداً أكبر في التنفس ، مما لا يتفق وطبيعة البدوى الهادىء الوداع الذى يقصد فى كل حركاته وسكناته . فما تحتاجه عبارة مثل « سكت شخص » من تنفس حين النطق بها أكثر مما تحتاجه عبارة مثل « زرع رجل » لأن كل أصوات العبارة الثانية مجهورة ، فى حين أن كل الأصوات الساكنة فى العبارة الأولى مهموسة .

ولاشك أن البيئة الصحرواية التى تنتشر فيها الأصوات فى مسافة شاسعة لا يعمقها عائق ، ولا يحوّل دونها حائل ، تتطلب الميل إلى توضيح الأصوات بطرق عدة من بينها الجهر بالصوت ليصبح أكثر وضوحاً فى أذن السامع . لهذا

نلاحظ أن لهجات القبائل البدوية تميل إلى جهر بعض الأصوات ، في حين أن غيرها من قبائل الحضرة تبقى على همسها :

(١) فنلا روى عن هذيل أنهم يلقبون في لهجاتهم « الحاء » « عيناً » ، فيقولون مثلاً « اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض » ، أى اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض ! وبلهجتهم روى أن ابن مسعود قرأ « عتى » فى « حتى » ، فأرسل إليه عمر رضى الله عنه أن القرآن لم ينزل بلفه هذيل فأقرىء الناس بلفه قريش ! . ومثل هذه الرواية عن عمر بعيدة الاحتمال لأنها تناقض التيسير فى القراءات القرآنية ، كما تخالف مارمى إليه الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين على القراءة بغير ما يستطيعون ، وما تميل إليه ألسنتهم ، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم كلهجة هذيل فى هذه القراءة .

وقد سُمى القدماء هذه الظاهرة الصوتية فحفحة هذيل .

على أننا نشك فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل : وذلك لما نعرفه عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالاً روحياً تجلّى فيما رواه صاحب كتاب الأصنام من أنه كان لهذيل ضم على الساحل يسمى « مناة » وهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله : « ومناة الثالثة الأخرى » . وكانت قريش تقدس هذا الضم مع هذيل ، كما كانت هذيل تقدس « هبل » ضم قريش . هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز واحتمال تأثرهم ب لهجات تلك البيئة . بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة ، فكلمة « الفحفحة » إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والعجمجة ، نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه . وكان مقتضى هذا أن يكون معنى « الفحفحة » قلب العين إلى الحاء لا المكس . فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء لأمكن القول إن قبيلة هذيل المتأثرة ببيئة حضرية

قد قلبت صوتاً مجهوراً وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء . فنحن بين أمرين : إما أن نفسر الفحفة على أنها قلب العين إلى الحاء ، أو نغير نسبتها لهذيل وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم .

ومما يبعث على الشك في نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود أنه روى عنه ما يفيد عكس ظاهرة الفحفة - ، أى قلب العين إلى حاء في قوله تعالى : [ قالوا نعم ] قرأ ابن مسعود [ قالوا نعم ]<sup>(١)</sup> .

أما قراءته [ إذا بعثر مافي القبور ] إذا بثر ، فسببه يرجع إلى أن التاء المهموسة قد أثرت في العين وجعلتها مهموسة أيضاً . وحين تهمس العين تصبح حاء .

ويربط بعض الدارسين من المحدثين بين كلمة « حتى » التي قيل إن ابن مسعود قرأها « عتي » وبين الكلمة « عدى » الموجودة في بعض اللغات السامية وفي العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية « عد » بمعنى حتى .

فالحاء تقابل العين ، والتاء تقابل الدال . أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة إحداهما تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيرهما من الجهورات . وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتملة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية .

ولا تكور هناك ظاهرة عامة تدعى الفحفة ، بل إن الأمر لا يمدو أن يكون مثلاً واحداً أو كلمة واحدة رويت بصورتين .

(ب) نسب القدماء لتميم وقيس عيلان ظاهرة صوتية سموها « العنمنة » وهي قلب الهمزة المبدوء بها « عيناً » ! وأنشد يعقوب :

فلا تاهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخرة لا بد عن ستصيرها

(١) الهمع ج ٢ ص ٧٦ .

وقال ذو الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم  
أراد الشاعر في البيت الأول « لا بد أن » ، وفي البيت الثاني « أن أن  
ترسمت » .

وقد جاء في رواية نسبت إلى الفراء قال :

إن بني تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف « أن » إذا كانت  
مفتوحة « عيناً » فيقولون :

أشهد عنك رسول الله

فإذا كسروا رجعو إلى الهمزة !

فنحن نرى من هذه الروايات أنها جميعاً تجمع على قلب الهمزة المبدوء بها إلى  
« عين » ، ثم قيد هذا في رواية الفراء بأن تكون الهمزة مفتوحة ! ومثل هذا  
الاضطراب في الرواية ليس له من سبب سوى أن استقراء الرواة لأمثلة هذه  
الظاهرة الصوتية كان ناقصاً ، وأن الأمر في كل رواية لا يعدو أن يكون حكماً  
خاصاً مبنيّاً على مثل خاص سمعه الراوي دون استقراء لباقي الحالات . فاشتراط  
البدء بالهمزة ، أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية . وإنما  
الذي يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل وكلها من البدو  
كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع ، أي كان موضعها من  
الكلمة ، وبأية حركة تحركت .

ويحسن إذن أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت ؛ لأن الهمزة ليست  
من الأصوات المجهورة أو المهموسة ، إذ خرجها المزمار نفسه ، ولا عمل اللوتين  
الصوتين معها . وقد وصفناها قبلاً بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن  
أشدّها ، وأن أهل البادية يحققونها في لهجاتهم . فحين يبلغ في هذا التحقيق ويراد  
أن تكون أوضح في السمع ، يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها

مخرجاً وصفة ، وأقرب أصوات الحلق إليها هو « العين » ؛ لأن « العين » صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً .

ويؤيد ما نذهب إليه أن هذه الظاهرة لاتزال شائعة في بعض اللهجات الحديثة التي تتأخم الصحراء . وقلب الهمزة « عيناً » في هذه اللهجات غير مقيد بالبدء بها ، أو كونها بحركة خاصة .

فنحن نسمع حتى الآن في كل مدن تهامة من يقولون [ عالة ] بدلا من [ آلة ] ، [ العام ] بدلا من [ الإمام ] .

ومن أمثلة العنونة التي رواها الأصمعي في وسط الكلمة [ دام الحائط ] = دعه [ ، ] [ التارض للشئ = التعرض له ] ، وفي آخر الكلمة [ كئنا اللين ] = كنع [ (١) ] .

ويظهر أن هذه الظاهرة لاتعدو أن تكون أقصى مراحل التحقيق للهمز . انظر إلى قول صاحب تهذيب اللغة (٢) [ ومن تحقيق الهمز قولك يا زيد من أنت كقولك « من عنت » ، فإذا عدلت الهمزة إلى التخفيف قلت يا زيد من أنت فكأنك قلت « مننت » لأنك أسقطت الهمزة من أنت وحركت ما قبلها بحركتها ] .

ويدل هذا على أن تحقيق الهمز كانت له صور مختلفة ، فقد قال الأزهري : « ومن تحقيق الهمز » أى أن هذا نوع معين من التحقيق وصفه لنا مكتوباً بالعين ، فكان الهمزة حين يبالغ في تحقيقها تصبح عيناً .

ويقول ابن دريد إن بنى تميم عندما يحققون الهمزة يحملونها عيناً (٣) .

فاتسهيل الهمز مراحل : سقوطها من الكلام ، ثم قابها إلى حرف مد ، ثم تسهيلها بما يسمى بين بين .

(١) أمالي القاي ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) جز ١٨ صفحة ١٤٣ مخطوط . (٣) الجهرة ج ١ ص ٢٣٧ .

ولتحقيق الهمز مراحل : أن ينطق بها النطق المألوف لنا ، ثم أن ينطق بها شبيهة بالعين .

وقد ذكرنا آنفاً أن الهمزة مالت إلى التسهيل في اللهجات الحضرية ، ومالت إلى التحقيق في اللهجات البدوية :

( ١ ) فأهل المدينة كانوا يقولون « بدينا » بدلا من « بدأنا » ، وكانوا يقولون « كحضر » بدلا من « الأحمر » .

( ٢ ) ويبدأ يقول أهل الحجاز « جبريل » ، يقول بنو تميم « جبرئيل » .

( ٣ ) وقراءة الكوفة « أمّة » بهمزين ، في حين أن أكثر القراء ولا

سوا الحجازيين منهم « أيمة » .

( ٤ ) كانت عقيل البدوية تهمز [ الجؤنة والمؤسى والحؤت ] بدلا من

النطق الشائع بغير همز .

( ٥ ) « السودد » الشرف ، وقد تهمز وتضم الدال أي « السودد » وهي

لغة طيء كما يقول الأزهرى .

( ٦ ) هناك قصة يسوقها أصحاب المعاجم ، ويشتم منها أن النبي صلعم كان

لا يهمز أحيانا . فقد جاء باللسان في مادة « دفا » ما نصه : [ أدفأت الرجل إدفاء

إذا أعطيته عطاء كثيرا ، والدفء العطية ، وأدفأت القوم أي جمعهم حتى

اجتمعوا ، والإدفاء القتل في لغة بعض العرب . وفي الحديث أنه صلعم أتى بأسير

يرعد ، فقال للقوم اذهبوا به فأدفوه ، فذهبوا به فقتلوه ، فوداه رسول الله

صلعم ، أراد الإدفاء من الدفء وأن يدفأ بثوب ، فحسبوه بمعنى القتل في لغة

أهل اليمن <sup>(١)</sup> ] .

أما أن الرسول من قريش وأن لهجة قومه كانت تميل إلى تسهيل الهمز ،

فهذا مما لا جدال فيه . ولكننا نتردد قليلا أمام هذه الرواية ، ونسائل أنفسنا كان

(١) ينسب صاحب المحصن هذه اللغة لجهة .



صلعم يلجأ أحياناً إلى الحديث بلهجات الخطاب ، أم كان يلتزم في كلامه تلك اللغة النموذجية التي ألفناها في الآثار الأدبية والقرآن الكريم ؟

يبدو أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمو بكلامه فوق المستوى العام لقومه ، فقد أوتي من الفصاحة في القول والبلاغة في الأسلوب ما لم يؤت غيره ، حتى يمكن أن يقال إنه كان في الذروة إذا قيس بمن حوله من فصحاء قريش ، فكان لا ينطق إلا بسحر القول ورائع البيان ، وكان مزوداً بفيض رباني جملة أقدر العرب على التعبير بما شاء تعبيراً سامياً تنزهه عن صفات اللهجات ، وخلا من كل ما يئم عن بيئة معينة . فقد سيطر على اللغة الأدبية النموذجية سيطرة تامة ، وملك زمامها حتى أصبحت له وحده لغة سليقة ، لا يعتمد إليها عمداً ولا يتكلف القول بها ، بل تنساب إليه عباراتها انسياباً ، وتواتيه منقاداً إليه كلما هم بطلبها . فكيف مع هذا يروى عنه أنه صلعم قد نطق بقول فيه صفة من صفات لهجة قومه وهي تسهيل الهمز ؟

ولكن العظماء يتنزلون أحياناً إلى مستوى الناس في خطابهم، ويتبسطن معهم في الحديث ، ويخاطبونهم على قدر مستواهم اللغوي ، وهو ما كان يقوم به صلعم في القليل من الأحيان حين يفد إليه جماعة من البدو ليكلموه ، ويشرح إلى العامة من الناس أمور دينهم ، حينئذ نستطيع أن نتصور أنه صلعم كان يعود إلى سليقته الأولى وهي لهجة قريش ، فيخاطبهم بصفاتها ، ويشتمل كلامه على بعض من خصائصها .

وليس يعقل أنه صلعم كان على علم تام بكل خصائص اللهجات العربية القديمة بحيث يكلم كل قبيلة بحسب لهجتها، ولكنه لكثرة تجوابه وأسفاره كان يعرف القليل من صفات تلك اللهجات ، أو بعبارة أدق المشهور من تلك اللهجات : فإذا وفد عليه جماعة من قبيلة اشتهرت بأمر معين في لهجتها ، كان يلتمس شيئاً مما يعرفه عن تلك اللهجة ، ويخاطبهم بها تأليفاً لقلوبهم وتنزلاً إلى ( ٨٢ - اللهجات )

مستواهم ، ولاتكاد تمدو مثل هذه المعرفة عبارات مشهورة تستعمل في التحية أ الترحيب ، أو كلمات معينة لا يعرفون غيرها في لهجات كلامهم . لا نستطيع إذن أن نتصور أنه كان يعرف دقائق تلك اللهجات ، وخصائص كل لهجة معرفة الدارس لها ، والواقف على كل شئونها. فلم يكن هذا من مهمة الرسل ، ولم يكن هذا ينتظر منه مع وجود اللغة المشتركة الأدبية التي نزل بها القرآن الكريم والتي كانت القبائل تتطلع إلى مستواها ، ويعمل الخاصة منهم على إتقانها .

فإذا تصورنا أن الذين أتوا له بالأسير كانوا من العامة وأنه صلعم رأى أن يخاطبهم على قدر مستواهم ، فكيف أتى أن يخاطبهم ، وهم من اليمن على رأى قوم أو من جبهة على رأى آخرين ، بصفة من صفات لهجة قريش ؟

إن الحادث وملابساته وماحبه من المفاجأة برجل ذليل مسكين يرتعد فرقا ، لما يحمل صاحب الرسالة ذا القلب الشفيق الرحيم ، يتأثر بمنظره وينطلق من فوره متحدثا بسليقته الأولى التي ألفها ونشأ عليها قبل الرسالة وهي لهجة قريش ، فكأنما قد نسى في مثل هذا المجال سليقته الثانية وهي اللغة النموذجية المشتركة .

أو يقال إن العظيم حين يريد النزول إلى مستوى المخاطب لا يخاطبه بصفات من لهجة هذا المخاطب ، وإنما يخاطبه بصفات من لهجة هذا العظيم : ولتصوير هذا نفترض أن وزيراً مصرياً يزور بعض جهات الصعيد في مصر ، وقد صادفه في تجواله جماعة من الناس من أهالي تلك الجهات ، فأراد أن يتبسط معهم في الحديث ، نراه حينئذ ينطق مثلا بالقاف همزة كما تعود هو النطق بها في لهجة القاهرة ، رغم أنه يسمعون ينطقون بها « جيما » غير معطشة . ولا ياجأ مطلقاً في مثل هذا المجال إلى القاف الفصيحة التي قد تظهره بمظهر المتعالي عليهم ، أو البعيد عن مستواهم .

نخلص من كل ما تقدم إلى أن البدوى كان يميل في نطقه إلى الأصوات المجهورة لأنها أوضح في السمع ، وتنسجم مع بيئته وطبيعته .

على أن الأمر ليس مقصوراً على المقارنة بين الجهور ونظيره المهموس في نسبة

الوضوح السمعى . فقد نجد صوتين مجهورين ولكن أحدهما أوضح فى السمع من الآخر ، أو صوتين مهموسين وأحدهما أوضح فى السمع من المهموس الثانى ، هنا أيضاً نلاحظ أن البدو بوجه عام يميلون إلى المجهور الأكثر وضوحاً ، أو إلى المهموس الأكثر وضوحاً . فإذا قارنا النون والياء وجدناهما مجهورين وعرفنا أن الياء أوضح فى السمع من النون . ولهذا لا ندهش أن تروى لنا الكلمة بالياء منسوبة لقبيلة بدوية ، وبالنون منسوبة للحضر . فكلمة «إنسان» قد روى لنا أنها نطق بها «إيسان» عند طيء البدوية .

كذلك إذا قارنا بين صوتين مهموسين وجدنا أحدهما أوضح فى النطق من الآخر ، تصورنا أن الكلمة حين تشتمل على المهموس الأكثر وضوحاً فى السمع تنتمى إلى بيئة بدوية مثل :

« تلم » عند تميم ، وعند غيرهم « تلفم » بالفاء ؛ وكذلك « الأثانى » روى أن بنى تميم كانوا ينطقون بها « الأثنائى » .

ولاشك أن الثاء أوضح فى السمع من الفاء رغم أنهما مهموسان .

#### ٥ - التأثير بالأصوات المتجاورة :

تحدثنا آنفاً عن ظاهرة الأصوات المتجاورة وتأثير بعضها فى بعض ، وأن مثل هذا يشيع فى البيئات البدوية بصفة خاصة ، فى حين أن البيئة الحضرية تعمل على تحقيق الأصوات، وتحول عادة دون تأثيرها بعضها ببعض فى أثناء النطق .

ولعل خير مثل يساق لتوضيح هذه الظاهرة ما روى لنا من أن « الميم » قد تقلب إلى « باء » حين تكتنفها فى الكلمة الواحدة أصوات مجراها الهم ، وأن « الباء » قد تقلب إلى « ميم » حين يكتنفها أصوات مجراها الأنف . وقد نسب

الرواة لهذه الظاهرة لقبائل معينة فى حديث طويل يتلخص فيما يلى : -

( ١ ) روى أن بعض القبائل العربية كانوا يقبلون فى لهجاتهم « الميم » إلى

« باء » و « الباء » إلى ميم ! وقد نسب الرواة هذه اللمحة إلى « مازن » من ربيعة ، كما نسبت إلى بكر بن وائل وهي من قبائل ربيعة كذلك ، ثم يروون قصة طريفة لا بأس من إيرادها هنا وهي :

« روى المبرد أن بعض أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني إمام الصرفيين في زمانه ليقرأ عليه كتاب سيويه ، وبذل له مائة دينار في تدريسه إياه ، فامتنع أبو عثمان من ذلك . قال فقلت له : جعلت فداك ، أترد هذه المنفعة ، مع فافتك وشدة إضاقتك !؟ فقال : هذا الكتاب يشتمل على ثمانمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وحل ، ولست أرى أن أمكن منها ذمياً غيرة على كتاب الله وحية له . قال فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بالله بقول العرجي :

أظلم إن مصابكم رجلا أهدي السلام تحية ظلم

فاختلف من كان بالحضرة في إعراب « رجلا » ، فممن من نصبه ومنهم من رفعه ، والجارية مصررة على أن شيخها أبا عثمان المازني لقبها إياه بالنصب . فأمر الواثق بإشخاصه . قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه ، قال : ممن الرجل ؟ قلت من بني مازن . قال : أي الموازن ، أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة . قلت مازن ربيعة . فكلمني بكلام قومي وقال : « باسمك » ؟ لأنهم يقالبون الميم بباء والباء ميم ! قال فكهرت أن أجيبه على لغة قومي كيلا أواجه بالكر . فقلت بكر يا أمير المؤمنين ! ففطن لما قصدته وأعجب به . ثم قال : ما تقول في قول الشاعر : 'ظلوم إن مصابكم رجلا ؟ أترفع رجلا أم تنصبه ؟ فقلت : بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين . فقال : ولم ذلك ؟ فقلت إن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم . فأخذ البيهقي في معارضتي ، فقلت هو بمنزلة قولك : إن ضربك زيدا ظلم ، والدليل عليه أن الكلام يعاق إلى أن تقول : « ظلم » فيتم . فاستحسنه الواثق وقال : هل لك من ولد ؟ فقلت : نعم ، بنية يا أمير المؤمنين . قال : ما قالت لك عند مسيرك ؟ فقلت أنشدت قول الأعشى :

أيا أبتا لا ترم عندنا      فإننا بخير إذا لم ترم  
أرانا إذا أضمرتك البلا      د نجفى وتقطع منا الرحم  
قال : فما قلت لها ؟ قال قلت قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك      ومن عند الخليفة بالنجاح  
قال : على النجاح إن شاء الله تعالى ، ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما .  
قال المبرد : فلما عاد إلى البصرة ، قال لى كيف رأيت يا أبا العباس ، رددنا لله  
مائة فموضنا ألفاً .

نحن هنا أمام رواية غربية لاتبررها القوانين الصوتية . فليس هناك لهجة من  
لهجات اللغات فى العالم تلتزم قلب كل ميم إلى باء والعكس ، لأنها عملية متناقضة  
لامبرر لها . بل يكون من المغالاة أن نفترض أن لهجة من اللهجات تلتزم قلب  
أحد هذين الصوتين إلى الآخر .

حقاً أن هناك علاقة صوتية بين « الميم » و « الباء » إذ كلاهما صوت شفوى ،  
ولكن مثل هذه العلاقة وحدها لا يكفي مبرراً لمثل هذه الظاهرة . نعم إن من  
لهجات العالم ماتتضمن شيئاً من هذه الظاهرة ، وذلك حين نلاحظ قلب « الميم »  
« باء » فى بعض المواضع ، أو « الباء » « ميا » فى مواضع أخرى ، ولكن  
هذا مقيد بوجود « الميم » أو « الباء » فى مواضع خاصة من الكلمات ، وأن  
يكتنفها أصوات خاصة تساعد على هذا الانقلاب .

فليست المسألة قاعدة مطردة فى كل « ميم » وفى كل « باء » .

فنحن فى تحقيق هذه الرواية بين أمرين :

١ - إما أن نشطرها شطرين : الشطر الأول وهو قلب الميم باء ، والشطر

الثانى هو قلب الباء ميا ، ثم ننسب كل شطر إلى قبيلة خاصة أو لهجة خاصة .

٢ - أو ألا ننسب هذه الظاهرة لبيئة خاصة ، وإنما ننظر إليها على أنها مما

يعرض للأصوات من تطور وتغير .

وعلى الرأى الأول وهو نسبة شطر من هذه الظاهرة إلى لهجة خاصة نرى أن القبيلة التي يمكن أن يشيع فيها قلب « الميم » « باء » ، قبيلة من القبائل البدوية التي تميل إلى الأصوات الشديدة ، والتي لم تتأثر بعنصر أجنبي عن اللغة العربية ، لأن « الباء » تختلف عن « الميم » في شيتين : أحدها أن « الباء » صوت شديد ، وثانيهما أن مجرى النفس معها من الفم ، في حين أن مجرى النفس مع « الميم » من الأنف ، وأنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين أى ليست بالشديدة ولا الرخوة .

أما الشطر الثانى وهو قلب « الباء » « ميا » فهو انتقال من صوت شديد إلى صوت متوسط هو أحد الأصوات المائئة « Ligids » ، وربما كان هذا مما ينسب إلى بيئة بدوية أخرى .

والموارن كما اتضح لنا من القصة السابقة ثلاثة : مازن ربيعة ، ومازن تميم ومازن قس .

وعلى هذا يمكن أن ننسب لمازن ربيعة قلب « الباء » « ميا » ، وأن ننسب لمازن تميم أو قيس قلب « الميم » « باء » .

على أنه حتى في هذا يجب ألا يعد هذا الانقلاب بمثابة ظاهرة مطردة ، نجدها في كل « ميم » وفي كل « باء » ؛ بل يكفى أن نقول إن مازن ربيعة كانوا يقلبون « الباء » « ميا » في بعض المواضع ، وإن مازن تميم كانوا يقلبون « الميم » « باء » في بعض المواضع أيضاً ، وبشروط خاصة في كل من الحالين ، وإلا ترتب على اطراد مثل هذه الظاهرة أن نجد لهجة من اللهجات العربية خالية من الميمات أو الباءات !

وعلى الرأى الثانى وهو الراجح فيمكن أن نفسر هذه الظاهرة على أنها لا تختص بقبيلة ما ، وإنما قد صادف أن سمعها بعض الرواة من قوم من مازن [ أيا كانت مازن هذه ] فنسبها إليها ، ثم جرى المؤلفون بعده على هذا ، دون تحقيق أو نظر في صحة هذه الرواية .

والحقيقة أن مثل هذه الظاهرة مما يمكن أن ينسب إلى أية لهجة من اللهجات المنعزلة ، لاعلى أنها مطردة بل مقيدة بشروط خاصة .

وهذه الظاهرة ليست إلا نتيجة أخطاء الأطفال في البيئة المنعزلة التي لا يجد فيها الطفل فرصة كافية لإصلاح أخطائه ، فيشب عليها وتصبح فيما بعد نطقاً جديداً في جيله .

فلنتصور بيئة منعزلة اجتماعياً أو غير مستقرة على حال ، لا يجد فيها الأطفال من رعاية الآباء ما يستحقونه ، وذلك لانشغال الرجال بأمور الحرب أو السفر في تجارة زمناً طويلاً ، كما أن النساء منصرفات عن أبنائهن بشئون الحياة العسيرة الشاقة ، ولا يجدن من الوقت مع ما هن فيه من مشقة وعسر ، ما يكفي للنظر في شئون أطفالهن والتحدث إليهن حديثاً هادئاً وادعاً يصلح من نطقهم ويرشدهم إلى طريق الصواب .

هنا نرى الأطفال ، ولما تكمل مراحل نطقهم ، يلزم بعضهم بعضاً ، ويتحدث بعضهم إلى بعض ، ونرى الطفل الكبير فيهم يأخذ مكان الأم أو الأب في تعليم الآخرين والتأثير في نطقهم . فإذا شب هذا الجيل الجديد احتفظ في لهجته ببعض أخطاء الطفولة التي تصبح فيما بعد عنصراً معترفاً به في لهجتهم ، وظاهرة من ظواهرها ، وتلك هي سنة التطور اللغوي . فما كان يعدّ بالأمس خطأ تنفر منه الأذان أصبح اليوم صواباً في جيل جديد من المتكلمين .

وليست تقتصر أخطاء الأطفال على ما يتعلق « بالميم » « والباء » ، بل هي أعم من هذا وأشمل ، ولها ظواهر كثيرة تحدثنا عن بعضها آنفاً .

فما يعرض « للميم » أو « الباء » في أخطاء الأطفال ليس إلا مثلاً منها .  
ومما أيدته تجارب المحدثين من علماء الأصوات أن الأطفال بصفة عامة يميلون إلى قلب أى صوت من أصوات الفم إلى نظيره من أصوات الأنف في بعض الأحيان ، كما أنه قد يحدث العكس عند الأطفال قبل أن تتم مراحل نمو نطقهم . لأن الطفل

في نطقه يتلمس أيسر الطرق ، وما لا يكلفه جهداً عضلياً . وهو لهذا لا يميل إلى الجمع بين صوتين أحدهما مجراه الأنف « كالميم » و « النون » والآخر مجراه الفم كباقي الأصوات . ولهذا يميل إلى جعل مجرى الصوتين اللذين من هذا النوع ، إما من الفم فقط ، أو الأنف فقط .

لهذا قد نسمع بعض أطفالنا في المراحل الأولى يقولون في « تين » « زين » . ففي هذا المثال جهر الطفل أولاً « بالباء » فأصبحت « دالا » ثم جعل مجرى الدال من الأنف فصارت « نوناً » . كما قد نسمع بعض أطفالنا يقولون في « موز » « بوس » فقد قلبت الميم هنا إلى نظيرها من أصوات الفم وهو « الباء » . ومثل هذا يمكن أن يقال في نطق بعض أطفالنا للكلمات الآتية :

دبان ، جمل ، بلكونة ، بنطلون

على الأوجه الآتية بالترتيب :

دمان ، جبل ، ملتونة ، منطلون

فإذا شب الأطفال في بيئة غير مستقرة ، ولم يجدوا من يصلح لهم مثل هذه الأخطاء ، فقد تصبح الكلمات الأخيرة مستعملة في لغتهم مقبولة في جيلهم ، تكون عنصراً جديداً في اللغة .

فمن المحتمل أن بعض كلمات اللغة العربية التي اشتملت على «ميم» أو «باء» ، قد تعرضت لمثل هذه الظاهرة من أخطاء الجيل الناشئ في قبيلة من القبائل . فلما جاء جامعو اللغة وسمعوا تلك القبيلة تنطق « بالميم » في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بها « باء » ، ظنوا أن تلك القبيلة تلتزم هذه الصيغة في كل الكلمات ، وكذلك العكس حين سمعوا قبيلة تنطق « باء » في بعض الكلمات حيث ينطق غيرها بهذه « الباء » في تلك الكلمات « ميا » ، ظنوا أن من القبائل العربية من يلتزمون قلب « الباء » « ميا » وهكذا .

وبمثل هذا الشرح يمكن أن ننظر إلى جميع الكلمات العربية المشتركة



المعاني والأصوات ، والتي لافرق بينها سوى أن مكان « الميم » في بعضها ،  
« باء » في البعض الآخر ، أو أن مكان « الباء » في بعضها ، « ميم » في البعض  
الآخر . مثل :

قامطة = قاطبة . كعج = كيج  
الطمش = الطبش . ثلمه = ثلمه

(ب) أما الظاهرة الثانية التي توضح تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض  
فهي ماسماه الرواة بالكشكشة أو الكسكسة .

فقد أجمع الرواة على نسبة صفة خاصة لقبائل ربيعة سموها أحياناً بالكشكشة  
وحيثما آخر بالكسكسة . ثم اختلقوا في تبيانها ، فقالوا مرة إنها قلب كاف المؤنثة  
شيناً أو سيناً في حالة الوقف ، وفي موضع آخر قالوا إن هذه « الشين » أو « السين »  
لا تحمل محل كاف المؤنثة ، وإنما تلحق بها في حالة الوقف . وضربوا لهذه الظاهرة  
أمثلة من نثر وشعر فقالوا :

منش = منك . عليش = عليك

وروا الشاعر هذا البيت مخاطباً به الظبية :

فعيناش عينها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق  
وحكى بعضهم أنه سمع أعرابية تقول لجارتها :

ارجعي وراءش فإن مولاش يناديش

ثم زعم بعض الرواة أن الكاف مطلقاً سواء كانت لمؤنث أم مذكر تقلب  
سيناً في لهجة ربيعة فيقولون :

منس = منك

كما نسب بعض الرواة قلب الكاف مطلقاً إلى شين في لهجة من لهجات اليمن .  
وقد سمع بعضهم في عرفة يقول :

« لبيش اللهم لبيش »

وسموا هذه الظاهرة بشنشة اليمين . ثم زعم الرواة في مواضع أخرى أن الكشكشة في لهجة ربيعة هي أن يقفوا على الكاف المؤنثة بزيادة « شين » فيقولون مثلاً : « استجرتُ بكش » .

وقال آخرون إن ما ينسب إلى ربيعة هو « الكسكسة » فيقفون على الكاف مطلقاً بزيادة « سين » !! ونقل الحريري أن « الكسكسة » لبكر لا ربيعة ، وقصرها على زيادة « السين » في حالة المؤنثة فقط . وفي موضع آخر نسبت هذه الصفة لتميم أو أسد . . . الخ .

ألا ترى معي أننا هنا أمام روايات متناقضة لما يبدو كظاهرة واحدة؟! ونحن حين ننظر إلى هذه الروايات على ضوء القوانين الصوتية نستطيع أن نستخلص أموراً :

- ١ — يظهر أن « الكسكسة » التي تنسب لربيعة ليست إلا « الكشكشة » بالشين ، وقد رويت مصحفة ، فلا يعقل أن كلا من « الكشكشة » و « الكسكسة » يمكن أن ينسب إلى قبيلة واحدة هي ربيعة .
- ٢ — أن ظاهرة الكشكشة أو الكسكسة مقيدة بكاف مكسورة لما سنذكره فيما بعد .

٣ — ليست الكشكشة أو الكسكسة مقيدة بحالة الوقف ، وإنما تصادف أن الكاف فيما روى من أمثلة كانت في آخر الكلمة أو الجملة .

٤ — لا بد في الكشكشة أو الكسكسة أن تحمل « الشين » أو السين محل الكاف ، ليمكن أن تمد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات . إذ ليس هناك ما يبرر أن تتصل الكاف بصوت آخر في حالة الوقف ، بل الأقرب إلى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحمل صوت محل آخر ، لما سنذكره من الأسباب .

• — أن ما خيل للقدماء أنه « شين » ليس « شيئاً » خالصة كتلك التي

نمدها ، وماظنوه « سيناً » ليس كالسين التي تألفها .  
الآن وقد جردنا هذه الروايات مما قد لحق بها من تشويه ، علينا أن نشرح  
هذه الظاهرة على حقيقتها في ضوء ما تقرره طبيعة الأصوات وقوانينها .  
وصل العلماء في مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية  
إلى قانون صوتي سموه « قانون الأصوات الحنكية » في أواخر القرن التاسع عشر .  
وليس يعني هنا شرح هذا القانون شرحاً مسهباً ، وإنما ينبغي الإشارة إلى عنصر  
منه يلقى ضوءاً على ما نحن هنا بصدده . فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك  
« كالكاف » و « الجيم » الخالية من التعطيش ، تميل بمخرجها إلى نظائرها من  
أصوات أمامية حين يليها صوت لين أمامي ( كالكسرة ) . لأن صوت اللين  
الأمامي في مثل هذه الحالة يجتذب إلى الأمام قليلاً أصوات أقصى الحنك فتنتقل  
إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو أصول الثنايا العليا . ولهذا وجدت بعض  
الكلمات الهندية — الأوربية التي كانت تشمل على « الكاف » ، قد  
تطورت فيها هذه الكاف فيما بعد إلى صوت وسط الحنك الذي ينطق به كما  
ينطق الصوت الأول في الكلمة الإنجليزية « Chicken » أي « نَسْ » .  
وهذا الصوت الذي قد ينجيل إلى بعض السامعين أنه مكون من صوتين ، ليس  
في الحقيقة إلا صوتاً واحداً كما برهنت التجارب الحديثة في علم الأصوات ،  
ويسمى الحدثون هذا الصوت وأمثاله « Affricative » . ويتكون هذا الصوت  
الواحد من عنصرين : أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء  
وثانيهما إلى الأصوات الرخوة وهو ما يشبه الشين .

وهذا الصوت هو نفس ما سمعه القدماء في تلك الظاهرة التي سموها  
« الكشكشة » ، كما أنه هو نفس الصوت الذي لا تزال نسمعه في بعض اللهجات  
الحديثة بمصر ، مثل لهجة بلدي شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية  
الشرقية ، حين ينطقون بمثل هاتين الكلمتين :

## كَلْب ، كِتَاب

ويبرر قلب الكاف إلى هذا الصوت أن يليها كسرة أو فتحة مرققة ،  
« أي صوت لين أمامي » يجتذب مخرجها إلى وسط الحنك . كذلك لا تزال  
نسمع هذه اللهجة في بعض جهات العراق وفلسطين وسوريا ولا سيما بين البدو .  
فالذين رووا هذه الظاهرة بين اللهجات العربية القديمة وقصروها على قلب  
كاف المؤنثة إلى « شين » كانوا أقرب الجميع إلى الصواب ، لأن الكثرة في  
كاف المؤنثة هي العامل الأساسي في هذا الانقلاب . أما جعلها في آخر الكلمة  
وقصرها على كاف الخطاب في حالة الوقف ، فليس له ما يبرره من الناحية  
الصوتية

فالكشكشة التي عاشت في بعض اللهجات العربية القديمة ليست إلاظاهرة  
لغوية شوهدت في كثير من لهجات العالم ، وهي قلب الكاف التي يليها صوت  
لين أمامي ، أيا كان موضعها في الكلمة ، إلى نظيرها من أصوات وسط الحنك .  
وقد روى هذا في غير كاف المؤنثة في بعض الأشعار القديمة مثل :

على فيها أبتغى أبغيش      بيضاء ترضيني ولا ترضيش  
وتطّبي ود بني أيش      إذا دنوت جعلت تنئيش  
وإن نأيت جعلت تدنيش      وإن تكلمت حثت في فئيش  
حتى تنقى كنفئيق الديش

وقد جهد الرواة يتحايلون بالتأويل والتخريج ليبرروا قوله « حتى تنقى  
كنفئيق الديش » أي كنفئيق الديك ، لأن هذه الكاف ليست للمؤنثة !  
ولست شنشة اليمين إلاكشكشة رببعة . ويجب نسبة هذه الظاهرة إلى  
القبائل اليمنية البدوية ، وإلى تلك القبائل من رببعة التي توغلت في البداوة  
كبكر بن وائل .

أما الكسكسة فهي أن تقلب « الكاف » حين تليها الكسرة أو الفتحة

المرققة إلى « تس » . ولا نكاد ندرى شيئاً مؤكداً عن بيئتها قبل الإسلام ، بل حين نبعث عنها في اللهجات العربية الحديثة . لا نكاد نعثر على أثر لها ، إلا في لهجة نجد ، فقد سمعت بعض النجديين ينطقون كلمة « عسكري » قائلين « عَسْتَسْرِي » .

والدليل على أن السبب الأساسي في ظاهرة الكشكشة هو وجود كسرة وفتحة مرققة بعد الكاف ، أننا لا نسمع الصوت « تش » حين تكون الكاف مضمومة ، فلا يقول أصحاب هذه اللهجة من المصريين في « كمّ النور » مثلاً « تُشَمّ النور » إلا إذا كسروا الكاف وقالوا « تُشِمّ النور » .

والذي يجعلنا نرجح أن ماسمعه الرواة ليس « شينا » وإنما هو « تش » ، شيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة « تش » . ولا يعقل أنها كانت في اللهجات القديمة « شينا » ثم تطورت في اللهجات الحديثة إلى « تش » ، فليس مثل هذا مما يبرره التطور الصوتي . ولو قدر روى لنا أن اللهجات القديمة كانت تنطق « تش » ، ثم رأينا اللهجات الحديثة تنطق بها « شينا » ، لقبنا هذا واعتبرناه تطوراً .

وهكذا ترى أننا نلمس من اللهجات الحديثة تفسيراً لبعض الظواهر في اللهجات القديمة .

## ٦ — الميل إلى التفخيم أو الترقيس :

يبدو أن القبائل البدوية بوجه عام قد مالت إلى أصوات التفخيم ، واشتهر هذا عنهم فاستمسكوا بهذه الظاهرة في نطقهم وتعصبوا لها ، في حين أن القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر قد آثرت الأصوات المرققة . ويتضح هذا مما روى لنا عن ظاهرة مشهورة سماها الرواة بالمعججة ، كما يظهر هذا بجلاء في معظم ما روى عن موقف كل من البيهتين حيال الأصوات المطبقة : —

١ — اشتهر بين صفات النهجات العربية ظاهرة أطلق عليها القدماء اسم « العجمجة » . وقالوا عنها إنها قلب الياء جيمًا .

وتعدّ هذه العملية الصوتية انتقالاً بصوت لا هو بالشديد ولا الرخو ، أوفيه بعض الرخاوة وهو « الياء » ، إلى صوت آخر أميل إلى الشدة منه إلى الرخاوة وهو « الجيم » . ولعل هذه الظاهرة من صفات القبائل البدوية التي حرصت على تفخيم « الياء » فصارت « جيمًا » .

وقد نسب القدماء هذه الصفة إلى شعب عظيم هو قضاة . ولكننا نعلم أن قضاة قد تفرعت إلى سبعة أحياء .

بلي . جهينة . بنو كلب . عذرة . بهراء . بنو سهد . جرم

وبين هذه الأحياء السبعة من تأثروا بالحياة الحضرية ، كما أن بينهم من عاشوا عيشة البداوة . وخير من يمكن نسبة هذه الصفة إليه من أحياء قضاة :

جهينة أو جرم

فالعجمجة لم تكن في الحقيقة صفة كل أحياء قضاة ، وإنما يحتمل أنها كانت صفة هذين الحيين فقط .

وقد قيد الرواة عجمجة قضاة بأن تسبق « الياء » « بالعين » !! وضربوا أمثلة لهذا مثل :

« الراعي خرج معج » أي « الراعي خرج معي » .

ويظهر أن « الياء » فيما ساقوه من أمثلة لم تكن في نطق القضاة ياء مدّ ، بل كانت صوتاً ساكناً ، أي أنه كان ينطق بها « الراعي » ، حتى يمكن أن نتصور قلبها إلى جيم .

وقد نسبت هذه الصفة أيضاً إلى « فقيم دارم » في قبيلة تميم ، وهو ما يؤيد ما ذهب إليه من احتمال وجود هذه الصفة بين البدو من القبائل . ولم تقيد هذه الصفة بأي قيد حين نسبت إلى « فقيم دارم » ، فقد أنشد أبو زيد :

يارب إن كنت قبلت حجتج فلا يزال ساجح بأتيك بحج  
وقال الحماسي :

خالى عويف وأبو عاج المطعمان الضيف فى العشج  
أما العلاقة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية فواضحة جلية ، لأن كلا  
منهما صوت مجهور ، ومخرجهما واحد ، وإنما تختلف الجيم عن الياء فى أن الأول  
صوت أقرب إلى الشدة منه إلى الرخاوة، فى حين أن ياء من الأصوات المتوسطة  
الشيبة بأصوات اللين ، وليست بشديدة ولا رخوة أو فيها بعض الرخاوة .  
وربما قد التجأت تلك القبائل إلى الانتقال بالصوت من صفة اليسر إلى  
صفة العسر قصد التفخيم فى الكلام ، وهو ما لا نستطيع تصويره إلا بين  
قبائل البدو .

علينا بعد هذا أن ننظر إلى ذلك القيد الذى قيدت به لهجة قضاة ، وهو  
أن تسبق الياء بالعين !!

فى الحق أنه ليس لهذا القيد ما يبرره من الناحية الصوتية ، اللهم إلا أن  
يقال إن كلا من العين والياء من الأصوات المتوسطة فى رأى علماء مخارج الحروف  
من العرب ، وتفخيم القول يقتضى أن يقلب أحدهما إلى نظيره شديد ، فكانت  
الجيم بدل الياء .

ولكن لم كانت العين وحدها دون باقى الأصوات المتوسطة الأخرى من  
ميم وراء ولام ؟! هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه الآن لنقص معرفتنا بكل طبائع  
اللهجات العربية القديمة .

(ب) أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية فى الآذان ، مما يلائم  
طبائع البدو وخشوتهم ، فلا عجب إذن أن تشيع تلك الأصوات فى لهجات البدو ،  
وأن تأخذ فى الانقراض من ألسنة المتحضرين .

واللغة العربية بصفة عامة قد مالت فى تطورها إلى التخلص من أصوات

الإطباق ، أى الصاد . الظاء . الضاد . الطاء . إذ نسبة شيوع هذه الأصوات في الأسلوب القرآنى ضئيلة جداً . فنسبة شيوع الصاد ٨ مرات في كل ألف من الأصوات الساكنة ، والضاد ٦ مرات ، والطاء ٤ مرات ، والظاء ٣ مرات ، في حين أن صوتاً كالنون مثلاً نسبة شيوعه مثلاً حوالى ١١٢ مرة في كل ألف من الأصوات الساكنة .

وقد مالت اللهجات الحديثة إلى التخلص من هذه الأصوات في معظم المواضع . ولقد روى عن تميم أنهم كانوا يقلبون « السين » « صاداً » مع بعض الأصوات المفخمة كأصوات الإطباق ، وكذلك مع القاف والغين والخاء إذا كنّ بعد « السين » مثل :

سراط = صراط . سخر لكم = صخر لكم  
سيقل = صيقل . سبغة = صبغة

ونحن حين نستعرض أشهر الروايات التي جاءت بالمعاجم عن موقف اللهجات القديمة من حروف التفخيم نراها تسكاد تنحصر في أمور ثلاثة :

١ — الصاد والسين : فقد روى أن بنى العنبر من تميم كانوا ينطقون بكلمة « الساق » قائلين « الصاق » . وبنو العنبر ممن توغلوا في البداوة ، ومالوا إلى تفخيم الأصوات . فإذا قارنا هذه الرواية بما روى في مكان آخر عن كلمة « الصقر » ، وأن لها نطقاً آخر غير منسوب هو « السقر » ، أمكننا أن نقسم هذه الظاهرة إلى نوعين : النوع الأول هو أن بعض الكلمات كان ينطق بها بين البدو مشتملة على صوت تفخيم ، وينطق بها في نفس الوقت بين الحضرة مشتملة على نظيره المرقق . وقد عاش النطقان جنباً إلى جنب قبل الإسلام مثل : الساق والصابق . أما النوع الثاني فهو أن الكلمة لم يكن لها قبل الإسلام سوى نطق واحد ورد في نصوص أدبية موثوق بها ، ثم تطورت بعد الإسلام وأصبح لها نطق آخر سمعه الرواة حين جمعوا اللغة . فالصقر هو النطق القديم لهذه الكلمة



ثم تطورت الصاد في بيئة حضرية وأصبحت « سيناً » .

ولاشك أن ماورد في اللسان من قوله : [ الصماخ من الأذن الخرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تميمية ، والصماخ لفة فيه ... وسمخه سمخاً أصاب سماخه فققره ، ولفة تميم الصمخ ] ، يعته من النوع الأول ، أى أن « الصماخ » بالصاد كانت تستعمل في بيئة بدوية ، جنباً إلى جنب مع « الصماخ » بالسين في بيئة حضرية .

أما ما روى عن الصراط والسراط ، فيظهر أن الأصل هو النطق بالصاد بدليل ورودها في القرآن الكريم بالصاد ، ثم تطورت حتى شاع فيها نطق آخر بالسين . فليس الأمر كما ظن بعض الرواة من أن السين هي الأصل . جاء في اللسان : [ والسراط السبيل الواضح والصراط لفة في السراط ، والصاد أعلى لمكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل ، وقرأها يعقوب بالسين . قال الفراء : ونفر من بني العنبر يصيرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء . أوقاف أو غين أو خاء صاداً ] . ولسنا نوافق صاحب هذه الرواية على أن الأصل في الكلمة بالسين ، ولكننا نوافق على أن نطقها بالصاد أفصح ، لأنه الذي ورد في القرآن الكريم ، وأخذ به معظم القراء . وكلام الفراء عن لهجة بني العنبر صحيح في جملته ، ولكنه لا يمت لهذه الكلمة بصلة ، بل ينطبق على مثل « الساق » و « الصاق » . أما قول صاحب اللسان بعد هذا : [ إن النطق بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، وعامة العرب تجملها سيناً ] ، فيجب ألا يؤخذ دليلاً على أن النطق بالصاد مما ينتمي لهجة قريش ، وذلك لأن ورودها في القرآن بالصاد لا يقوم دليلاً قاطعاً على أنها أيضاً لهجة قريش ، فهناك فرق بين لهجة قريش وبين اللغة النموذجية المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم ، ولكن الرواة قد درجوا على اعتبارها شيئاً واحداً . الأمر الذي تتردد في قبوله الآن .

ويشبه هذا ما حدث لكلمة أخرى هي حسب رواية اللسان [ وقد صخب بالكسر يصخب صخباً ، والسخب لغة فيه ربعية قبيحة ] . فالأصل هو الصخب ثم تطورت الكلمة وصارت بالسين في بعض قبائل ربعية التي تأثرت ببيئة الحيرة ، ولكن النطق « بالسخب » قد اقتصر أمره على منطقة صغيرة وبين قوم مغمورين ، ولذلك عدّه الرواة قبيحاً ، أما النطق « بالسراط » فقد شاع بين القبائل ، وجاء جامعو اللغة فوجدوه مشهوراً مألوفاً بل وجدوا من القراء من يقرأ القرآن به ولذلك لم يجعلوه في مستوى النطق « بالسخب » .

بقي بعد هذا أن نسوق ما جاء في اللسان مبرهنًا على أن « السين » قد ينطق بها صادًا حين يكتنفها أصوات معينة قال : [ وصقوب الإبل أرجلها لغة في سقوبها حكاهما ابن الأعرابي قال : وأرى ذلك لسكان القاف ، وضعوا مكان السين صادًا لأنها أفشى من السين وهي موافقة للقاف في الإطباق ليكون العمل من وجه واحد ، قال وهذا تعليل سيويوه في هذا الضرب من المضارعة ] . أليس هذا هو ما سميناه آنفًا بالمائلة أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ؟ غير أنا لا نتفق مع صاحب اللسان حين يزيد على هذه الرواية قوله : [ ومنه حديث على عليه السلام أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين حمل إلى أصقب القريتين إليه أي أقربهما ، ويروى الحديث بالسين ، بل نرجح الرواية الثانية للحديث أي بالسين ، لأن صاحب الحديث من قريش فهو ممن تأثروا بالبيئة الحضرية أكثر من تأثره بالبدو .

٢ — الطاء والتاء : فقد كانت القبائل البدوية تؤثر الطاء أحيانًا ، جاء في اللسان [ وأفطنى الرجل إفلاطًا مثل أفلتنى ، وقيل لغة في أفلتنى تميمية قبيحة ] . وجاء في المحصص <sup>(١)</sup> [ وقد أبدلت الطاء من التاء في « فعلت » إذا كانت بعد

حرف من حروف الإطباق قال وهي لغة تميم قالوا « فحطَّ برجلك » يريدون  
مغصتَ [ .

٣ - القاف والكاف : ويستخلص من روايات المعاجم أن البيئة البدوية  
كانت تؤثر القاف ، في حين أن البيئة الحضرية قد آثرت الكاف . جاء في  
اللسان قشط الجلّ عن الفرس قشطا نزعهُ وكشفهُ وكذلك غيره من الأشياء ،  
قال يعقوب : تميم وأسَد يقولون قشطت بالقاف ، وقيس تقول كَشطت ، وليست  
القاف في هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين [ . وجاء في المخصص <sup>(١)</sup>  
[ كَشطت عن جلده وقشطت ، قال أبو عبيدة : وقريش تقول كَشطت ، وميم  
وأسد وقيس تقول قَشطت ] .

فوقف « قيس » من هذه الظاهرة غامض بعض الغموض ، ولكن المناظرة  
بين تميم وقريش في رواية صاحب المخصص توضح لنا بجلاء أن المقارنة كانت  
بين يثتتين : إحداهما بدوية والأخرى حضرية ، وأن يعقوباً في رواية صاحب  
اللسان قد قصد « بقيس » بعض القبائل الحجازية .

وقد بين لنا يعقوب في كلامه أن هناك فرقا بين نطقتين عاشا جنبا إلى جنب  
في يثتتين مختلفتين ، وبين أن يتطور نطق عن آخر أصلي . وهكذا نرى أن من  
الرواة القدماء من فطنوا إلى ما ندعو إليه هنا من التفرقة بين الكلمات التي  
تروى بروايتين ، فقد شاع لبعضها نطقان قبل الإسلام وفي صدر الإسلام  
واختصت البيئة البدوية بأحد النطقتين ، واختص الحضرة بالنطق الآخر  
وعاش النطقان في زمان واحد ولكن في يثتتين مختلفتين ولا ندرى الأصل  
منهما أو الفرع . وهناك كلمات أخرى ذات نطقتين ولكن أحدهما يعتبر  
الأصل ، ويعتبر الآخر تطورا له .

( ٥ )

## السرعة في النطق

تميل القبائل البدوية إلى السرعة في نطقها ، وتلمس أيسر السبل ، فتدغم الأصوات بعضها في بعض ، وتسقط منها ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع . ولا شك أن حياة السكينة والهدوء في البادية لا تتطلب نشاطا كذلك الذي قد تحتاج إليه حياة الحضر ، لما بها من صخب وأمور دينوية معقدة تدفع المرء إلى حل تلك المشاكل التي كثيراً ما تعترض الحضري بحكم بيئته ، وخضوعه لنظام من الحكم متعدد القوانين . ولا يستطيع المرء أن يشق طريقه بنجاح في حياة الحضر إلا بأن يظهر نشاطاً في عمله ، وأن يلقي جهداً في موارد رزقه . أما البدوي الذي يقنع بالقليل ، ويخلد إلى السكينة والهدوء فحياته مليئة بالترخي ، وما يشبه الكسل حتى في نطقه . فهو يقتصد في الجهد العضلي وفي التنفس ، ويميل إلى الاختصار في القول ، لا يكاد يبدأ الكلام حتى ينتهي منه . لهذا كله صبغت لهجات البدو بصفات صوتية خاصة تخالف لهجات الحضر .

ولذلك نلاحظ في البيئة البدوية أنه حين يلتقي صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس ، يتأثر أحدهما بالآخر ليصبح الصوتان إما مجهورين أو مهموسين . ويغلب على اللغة العربية ان يتأثر الصوت الأول بالثاني ، فإذا كان الأول مجهوراً والثاني مهموساً أصبح الصوتان مهموسين . فاذا روى لنا أن من اللهجات العربية لهجة يقول أصحابها في « اجتمعوا » « اشتمعوا » ، أدركنا أن الأمر هنا لا يعدو أن يكون قاب « الجيم » المعطشة إلى صوت مهموس ، وذلك لتأثرها « بالناء » بعدها فأصبح الصوتان بهذا مهموسين . وإذا قيل لنا إن من القبائل من يقبلون « الصاد » حين يليها « دال » إلى « زاي » مطبقة كما في « أصدق ، يصدف ن » ،

علمنا أن المسألة لا تزيد على أن تكون تأثر الصوت الأول المهموس بالثاني المجهور فأصبح الصوتان مجهورين ، وهذا هو التأثر الرجعي . أما التأثر التقدمي وهو الذي يتأثر فيه الصوت الثاني بالأول فهو قابل الشيوخ بين اللهجات العربية رغم أن النحاة قد جعلوه قياسياً في صيغة « افتعل » ، حين تصاغ من بعض الأفعال التي فاؤها صوت مجهور أو مطبق : مثل ازدان واصطبر ... الخ<sup>(١)</sup> .

ويكفي دليلاً على قلة شيوع هذا النوع من التأثر ، أن النحاة قد قصره على أفعال خاصة ، يعرضون لها دائماً في كتبهم ، ولا تطرد هذه الظاهرة في كل فعل فاؤه صوت مجهور . ومع ذلك فقد روى لنا أن بعضاً من تميم يقولون في « معهم » « محم » . ويدل هذا على أن تلك الطائفة من تميم قد أسكنوا أولاً « العين » من كلمة « معهم » ، فالتقت العين والماء ، وبما أن « العين » صوت مجهور « والماء » صوت مهموس ، تأثرت العين بالماء فقبلت إلى نظيرها المهموس وهو الحاء ، وهذا تأثر رجعي شاع في اللهجات العربية ، ثم لم يقف الأمر عند هذا ، بل تأثر الصوت الثاني وهو الماء بالأول وهو الحاء تأثراً كاملاً ، وفنيت الماء في الحاء وصارت الكلمة « محم » ، وهذا هو التأثر التقدمي النادر في اللغة العربية . فهد المثال التقدمي الذي روى لنا عن بعض من تميم قد مر في دورين : أحدهما شائع بين اللهجات والآخر نادر .

هذا وقد رويت لنا بعض لهجات غير منسوبة لأصحابها ، منها عرفنا أن التأثر التقدمي قد لعب دوراً هزلياً في اللهجات العربية : فقد قيل لنا إن من القبائل العربية من كانوا يقولون في « اجتمعوا » « اجدمعوا » ، وفي « الكعبة » « الجعبة » . ففي المثل الأول اجتمعت « الجيم » وهي مجهورة بالتاء وهي مهموسة فتأثر الصوت الثاني بالأول وأصبح الصوتان مجهورين ، وفي المثل الثاني اجتمعت

(١) انظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ١٢٨ الطبعة الثالثة .

اللام وهي مجهورة بالكاف وهي مهملة، فتأثر الثاني بالأول وأصبح الصوتان مجهولين .

وقد نسب الرواة صفة الشذوذ لمثل هذه اللهجات ، وأنكروا عليها الفصاحة ، لأن الغالب الشائع في التأثر العربي هو ذلك النوع الذي نسميه بالتأثر الرجعي . والتأثر ، أيا كان نوعه ، مما يميل إليه البدو لأن فيه اقتصاداً في الجهد العضلي . على أن أظهر نتائج السرعة في النطق ، هو سقوط بعض الأصوات من الكلمات في أثناء النطق بها .

ويعد هذا أيضاً من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي ، أو إن شئت فسمه كسلاً ، ولكنه على كل حال يحقق الغرض بين التكمم والسمع ، ولا يحل بهدف الكلام وهو الفهم ، فقد ينطق البدوي دون تمهل في نطقه ودون انتظار لنهاية الكلمات ، فتصدر عنه الكلمات مبتورة الآخر . وهو لا يحفل بهذا لأن كل ما يرمى إليه هو إفهام السامع ، وقد وصل إلى غرضه مع اقتصاد في الجهد وبطريقة أيسر وأسرع . وهذا هو السر فيما روى لنا من ترخيم النداء ، وفي تلك اللهجة التي سماها القدماء قطعة طيء . ولا بأس أن نورد هنا طرئاً من تلك الروايات التي ظهر فيها سقوط بعض الأصوات نتيجة السرعة في النطق :-

١ - روى أن قبيلة طيء كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون « يا أبا الحكما » ويريدون يا أبا الحكم . وهذه الصفة تشارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة ، إلا أن الحذف في الترخيم وارد على آخر الاسم المنادى ، أما هنا فقد يرد على أي كلمة ، اسماً كانت أو فعلاً ، منادى أو غير منادى . وقد روى الق ماء البيت الآتي مثلاً لقطعة طيء .

درس المناجاة بتعالع نأبان فتقادت بالحيس والسريان

( أي المنازل )

كارووا قول الشاعر :

تضل منه إيلي بالهوجل في لجة أمسك فلاناً عن فلي  
(أى عن فلان)

(٢) ذكر القدماء في معايب الاخلخانية في لهجة الشحر، عمان أنهم قد مالوا  
إلى حذف بعض الأصوات، فكانوا يقولون في « ماشاء الله » « مشالله » !  
(٣) روى أن قبيلتي خثعم وزبيد من قبائل اليمن، كانوا يميلون إلى حذف  
نون « من » الجارة إذا وليها ما كن فيقولون « خرجت من المسجد » !  
وقال شاعرهم :

لقد ظفر الزوار أفتية العدا - اجاوز الآمال ملاسر والقتل  
(٤) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يستقنون نون « اللذين » و « اللتين »  
وعليه قول الفرزدق :

أبني كليب إن عمى اللذا قتل الملوكة فككا الأغلالا  
وقول الأخطل :

ها اللتا لو ولدت تميمٌ لقيل فخر لهمو صميم  
هذا ولا ندرى كيف وقعت مثل هذه الصفات الهمجية في شعر الأخطل  
والفرزدق مع ما نعرف من « رص كل منهما على النظم باللغة النموذجية الأدبية ؟ !  
أليس من الممكن أن يكون بيت الفرزدق كما يلي :

أبني كليب إن عمى اللذين قتل الملوكة فككا الأغلالا  
أى أن يروى الشطر الأول منتهياً بما يشبه نون الترم، ولا أظن أن الأذن  
الموسيقية تاحظ حينئذ انحرافاً في وزن البيت .

كذلك يمكن أن يروى بيت الأخطل رواية أخرى تنسجم مع صفات  
اللغة الأدبية التي نظم بها الشعراء في كل العصور، ولا تشذ في الوقت نفسه عن  
مقاييس الشعر العربي .

على أن هذه الصفة قد نسبت أيضاً إلى قبيلة بلحارث من قبائل اليمن .

(٥) نسب إلى قبيلة بلحارث حذف اللام والألف من « على » الجارة إذا وليها ساكن ، فيقولون ( ركبت علفرس ) أى على الفرس .

(٦) روى أن بعضاً من ربيعة كانوا يقفون على المنصب المنون بالسكون فبدل أن يقولوا « رأيت محمداً » يقولون « رأيت محمد » .

(٧) روى أن قبيلة طيء كانت تؤثر الوقف على تاء جمع المؤنث السالم بقبلها « هاء » . وقد سمع بعضهم يقول : « دفن البناء ن المكرمات » أى « البنات من المكرمات » !؟

وليست هذه الظاهرة في الحقيقة قلب صوت إلى آخر ، بل هي حذف الآخر من الكلمة . وما ظنه القدماء « هاء » متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل ، أو كما يسمى عد القدماء ألف المد . وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهى بما يسمى بالتمام المربوطة ، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة ، بل يحذف آخرها ، ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير ( الفتحة ) ، فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء .

ولقد تطورت تاء التأنيث في اللغات السامية على مراحل ليس هنا مجال تفصيلها ، وإنما يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

(١) الأصل في علامة التأنيث هو التاء المتطرفة ، وقد ظلت على حالها في الفعل الماضى وجمع الإناث في اللغة العربية .

(ب) تطورت في الأسماء المؤنثة المفردة إلى حال وسطى وهي : النطق بها تاء في حالة الوصل ، وحذفها في حالة الوقف .

(ج) الطور الثالث لهذه العلامة هو حذفها مطلقاً وصلاً ووقفاً في كل اسم مفرد مؤنث . وقد شاع هذا الطور الأخير في معظم اللغات السامية كالعبرية وفي اللهجات العربية الحديثة . فحين نسمع كلمة مثل « الشجرة » في لهجات



الكلام الآن يخيل إلينا أن التاء المربوطة قد قابت «هاء»، والحقيقة أنها حذفت من النطق، وامتد التنفس مع صوت اللين قبلها فسمع كالهاء .

وعلى هذا فإذا روى لنا أن من القبائل من كانوا يققون على هذه التاء المربوطة «بالتاء»، مثل أولئك الذين سمع عنهم من قال «يا أهل سورة البقرت» فأجابه آخر «ما أحفظ منها آيت». فليس هذا إلا احتفاظاً بالأصل في ظاهرة التأنيث.

وقد احتفظت بعض اللهجات العربية الحديثة بهذا الأصل . وامتداد التنفس الذي يخيل للسامع أنه هاء متطرفة هو في الحقيقة ما سماه القدماء بهاء السكت . وإننا حين نستعرض أحكام هاء السكت كما شرحها النحاة ، نراها تنحصر في الوقف على الكلمة التي تنتهي بصوت لين طويل كما في مثل «البناء والمكرماه»، أو صوت لين قصير كما في الوقف على الاسم المفرد المؤنث بعد حذف تاء التأنيث منه ، وكما في الوقف في الفعل المجزوم بحذف حرف العلة . وما الاستفهامية .

والغالب الشائع في اللغة العربية أن تلتحق هاء السكت أصوات اللين القصيرة (أى الحركات) بشرط أن تكون جزءاً من بنية الكلمة . وعلى هذا لا تلتحق هاء السكت حركة الإعراب ، لأنها لا تلزم صورة واحدة كحركات البناء<sup>(١)</sup> .

نرى كل هذا في البيئة البدوية ولا نكاد نعثر على مثله في البيئة الحضرية التي تتطلب الدقة في معظم مظاهرها الاجتماعية ومن بينها اللغة . فالحضرى يعنى بتخخير لفظه ، وحسن أدائه ، ويعمد إلى نطق كل صوت دون تداخل بين الأصوات . فالجمهور يظل مجهوراً ، والمهموس يحافظ على همسه ، لأن من مظاهر التحضر اللباقة في القول وحسن النطق ومراعاة قواعده ، وذلك هو ما شاع في البيئة الحجازية على العموم ، وفي مكة بصفة خاصة .

فلا غرابة أن وصفت قريش بالفصاحة ، ونسب إليها الإحكام في النطق وحسنه . ولا غرابة أيضاً أن اتخذت اللغة العربية التي نظم بها الشعر ، ونزل بها

(١) انظر تفاصيل الوقف في كتاب «أسرار اللغة» للمؤلف صفحة ١٤٢ .

القرآن الكريم ، كثيراً من صفاتها الصوتية من البيئة الحجازية ، أو بعبارة أدق من لهجة قريش ، فتكونت منها اللغة النموذجية التي اعترت بها كل القبائل ولا سيما الخاصة منهم ، وحافظوا على كل أثر أدبي كتب بهذه اللغة .

وليس معنى هذا أن الصفات الصوتية لهذه اللغة الأدبية هي نفسها الصفات الصوتية لهجة قريش ، وإنما تشترك معها فقط في الكثير منها .  
وتختلف اللغة الأدبية عن لهجة قريش في القليل من الصفات الصوتية ، كتحقيق الهمزة الذي لم يكن شائعاً بين الحجازيين ولكنه يعد أصلاً في اللغة النموذجية التي رويت لنا بها أشهر القراءات ، وقرأ بها أشهر القراء ، وتلقاها الرواة في عصور التدوين معترين بآثارها فخورين بخصائصها ، فوضعوا لها القواعد الدقيقة ، وجعلوها الأساس الذي ينبنى عليه ويقاس عليه ، وعدوا ما عداها شاذاً .  
ولكنهم لسوء الحظ قد خلطوا فيما بعد بين هذه اللغة وما سمعوه من قبائل بدوية تعودت أن تفد إلى مدن العراق ، وتعود الرواة أن يرحلوا إليهم . وقد كان الرواة في الأخذ عن تلك القبائل متأثرين بفكرة خاطئة وهي أن كل ما كان يروى عن البادية حتى أواخر القرن الرابع الهجري يحتج به ويرجع إليه .

### (لهجات متناثرة)

رويت لنا بعض صفات صوتية للهجات متناثرة في شبه الجزيرة . وبعض هذه اللهجات منسوبة إلى جهات معينة ، والبعض الآخر لا نعرف لها صاحباً ، بل قد رواها الرواة بمجولة النسب ، مبتورة حيناً ومشوهة حيناً آخر . فلا عجب أن قد اعترى تلك اللهجات في تفسيرها كثير من التحريف أو التصحيف .  
وسنعرض هنا طرفاً من هذه اللهجات ، دون أن نحاول تحقيق نسبتها إلى قبائلها ،

ولأنما سنكتفي بشرحها وتحليلها على ضوء ما يقرره علم الأصوات اللغوية :

أولاً : المشهور في حرف المضارعة للفعل الثلاثي أن يكون مشكلاً بالفتح في كل الحالات ، بهذا جاء القرآن الكريم ، وهذا هو المؤلف في اللغة النموذجية الأدبية . غير أن الرواة يؤكدون لنا أن كثيراً من القبائل تنطق بحرف المضارعة حين يكون « تاء » أو « نونا » أو « همزة » ، مكسوراً فيقولون مثلاً « تعلم » . وقد جاء في اللسان<sup>(١)</sup> : [ قال أبو عمرو : وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب . وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون « تعلم » بالفتح ، والقرآن الكريم عليها . قال وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا « تعلم » بالكسر ]

ويبدو من كلام اللغويين أن جميع العرب يلتزمون الفتح حين يكون حرف المضارعة « ياء » فيما عدا قبيلة بهراء التي عرفت لهجتها بكسر هذا الحرف مع الياء أيضاً ، وقد سميت هذه الظاهرة بثلاثة بهراء . وبهراء هذه قبيلة في قضاة وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام ، فهل تأثرت في هذه الظاهرة بما جاورها من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطرد فيهما كسر حرف المضارعة ؟

على أن الرواة كعادتهم يأبون إلا أن يسوقوا لنا شواهد من الشعر حتى في مثل هذه الظاهرة التي تنتمي إلى اللهجات ولا تمت للغة الشعر بصلة . فقد قالوا إن أحد الشعراء يقول :

لوقلت ما في قومها لم تيشم يفضلها في حسب وميسم

فبدلاً من أن يقول « تأثم » كسر حرف المضارعة ، ثم سهلت الهمزة فصار الفعل « تيشم » . ومع هذا لا يصح مثل هذا البيت أن يكون شاهداً على ثلاثة بهراء لأن حرف المضارعة هنا « تاء » وليس « ياء » !

هذا مثل آخر يدل على أن الرواة كانوا يتخبطون أحياناً في وصف لهجات العرب لنا .

ويظهر أن حركة حرف المضارعة قد خضعت في اللهجات إلى قانون صوتي، وأنه كان لطبيعة فاء الكلمة أثر في شكل حرف المضارعة . فحين كانت فاء الكلمة من حروف الحلق ، مال حرف المضارعة إلى الفتح ، أما في غير ذلك فقد التزم الكسر في معظم اللهجات .

وحين نستعرض اللهجات العربية الحديثة نرى معظمها يلتزم كسر حرف المضارعة ، مما يبرهن على أن هذا هو الذي شاع في معظم اللهجات القديمة أيضاً . على أننا نلاحظ أن بعض اللهجات الحديثة تؤثر الفتح حين تكون فاء الكلمة من حروف الحلق .

ولهذا كله نرجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات . وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى ، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية ، غير أن تطوره في لهجات العرب لم يشمل حالة « الياء » لأن الياء المشكلة بالكسر نادرة الشيوع في النطق العربي<sup>(١)</sup> . ولأن الياء مع الكسر أشق منها مع الفتح ، مما قد يتعارض مع حكمة التطور إلى الكسر . لذلك احتفظت معظم القبائل التي تطور في لهجتها شكل حرف المضارعة ، بفتحه حين يكون « ياء » .

أما بهراء فأغلب المظن أنها تبعت اللغات السامية المجاورة لها .

ثانياً : نسب الرواة لقبيلة حمير أنها كانت تقلب اللام في أداة التعريف « ميا » ، ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخاطب بعض الحميريين « ليس من امبر امصيام في امسفر » ، وسموا هذا طمطانية حمير .

ونسب الرواة أيضاً إلى قبائل سعد بن بكر وهذيل والأزد والأنصار أنهم

(١) أنظر أسرار اللغة للمؤلف صفحة ١٧٨ .

كانوا يقلبون « العين » في الفعل « أعطى » إلى « نون » فيقولون « أنطى » ، وقد قرئ « إنا أنطيناك الكوثر » وقد سمي الرواة هذه الظاهرة بالاستنطاء .

وفي كل من هاتين الظاهرتين قد قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف . وقد تقدم القول إن قلب صوت من أصوات الفم إلى آخر من أصوات الأنف ، أو العكس ، أمر معترف به في معظم اللهجات ، وأنه في الغالب نتيجة أخطاء الأجيال الناشئة ، حين يحاولون التوفيق بين مجرى الأصوات ، فيجعلونها إما من الفم أو الأنف فقط .

ولكننا حين نستعرض الأمثلة التي رويت لنا بصدد هاتين الظاهرتين لا نكاد نعثر على مبرر صوتي قوي ، كذلك الذي لاحظناه من قبل في مثل نطق أطفالنا للكلمتي :

« دبّان » و « بلكونة » حين يقلبونهما إلى « دمان » و « ملتونة » . فكيف تأتي إذن أن قلبت لام التعريف إلى « ميم » وهما لا يختلفان في المجري فحسب ، بل وفي الخرج أيضاً؟؟ وكذلك كيف تأتي أن قلبت العين إلى نون في « أعطى » مع اختلافهما في المجري والخرج أيضاً؟؟

لهذا كله نرجح أن الرواية مبتورة أو ناقصة ، ولا يستطيع الحكم على مثل هاتين الظاهرتين من مثل أو مثلين ردهما الرواة .

وليس هناك ما يمكن أن يبرر هاتين الظاهرتين سوى اشتراك « اللام والميم والنون والعين » في الصفة ، فكل من هذه الأصوات صوت مجهور متوسط لاهو بالشديد ولا بالرخو . على أنه إذا ما أمكن أن تنامس أسباباً أخرى في طمطانية حير ، فمن العسير أن نبرر استنطاء هذيل في فعل واحد من بين أفعال اللغة . وليس في مجاورة العين للطاء أمر غير عادي ، فقد رويت هذه المجاورة في كثير من الأمثلة ومع هذا فلم ينسب لها استنطاء . فلم اختصت « أعطى » بهذه الصفة ، في حين أنها لم تنسب لأية كلمة اشتقت من المواد الآتية :

« عطش ، عطس ، عطس ، عطل ، عطر ، عطن ، عطف » ؟ !  
ويظهر أن الأمر لم يكن مقصوراً على الفعل « أعطى » ، بل يتعاق بنطق كل « عين » سواء وليها « طاء » أو صوت آخر . ففعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقاً أنفياً ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معاً ، فسمع العين متمزجة بصوت النون وليست في الحقيقة نونا ، بل هي « عين » أنفميتة<sup>(١)</sup> . وعلى هذا فيمكن أن يقال إن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة في الفعل « أعطى » فأشكلت عليهم ، ولم يصفوها لنا على حقيقتها . ويميل بعض المستشرقين إلى أن أنفية العين كانت صفة صوتية ملازمة لها منذ السامية الأولى . ويفسر « راين » الاستثناء بأنه لا شأن له بالفعل أعطى ، بل هو فعل سامي آخر معروف في العبرية هو « نطا » بمعنى مد يده إلى ، وقد زادت عليه الهمزة أى صار على صورة أفعل<sup>(٢)</sup> .

أما في حالة طمطممانية حمير فإن أداة التعريف في اللغات السامية قد رويت حيناً « باللام » كما في العربية ، وحيناً آخر « بالنون » كما في العبرية . فقد أجمع المستشرقون على أن أداة التعريف العبرية كانت في الأصل « هـن » . واستدلوا بتشديد أوائل الأسماء المعروفة في اللغة العبرية على إدغام نون « هـن » في الحروف الأولى من الأسماء ، بشرط ألا تكون حروف حلق . فليس بغريب بعد هذا أن تروى أداة التعريف في بعض اللهجات السامية « بالميم » كما في طمطممانية حمير ، لأن العلاقة الصوتية بين « اللام والنون والميم » واضحة جلية : فهي أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات السامية ، كما أنها من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين . ولهذا كانت من أسبق الأصوات في نطق الطفل . فهذه الأصوات الثلاثة أصوات قديمة سبقت في نطق الإنسان الأول غيرها من الأصوات ، وقد استغلت في ظواهر لغوية متعددة ، فهي أحياناً تعبر عن النفي وأحياناً تفيد التعريف فهي مجموعة متميزة بين أصوات اللغة يحل بعضها مكان بعض ، وقد تنقلب جميعها إلى أصوات لين طويلة .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٦٣ .

(٢) *Oncient West Arabian*. p: 32

ثالثاً: صوت اللين المركب الذي يسميه المحدثون « Diphthong » ، «قدمرة»  
في اللغة العربية في أدوار ثلاثة: « ai » أو « au » ، ثم تطور الأول إلى : e  
والثاني إلى : o وأخيراً صار الاثنان : a .  
ففي الأفعال المعتلة الآتية :

بان . كان . رمى . سما

بدأت أولاً على الصور الآتية بالترتيب :

بَيْنَ . كَوْنٌ . رَمَى . سَمَوٌ  
Samau Ramai Kauna Baina

ثم صارت :

بَيْنَ . كَوْنٌ رَمَى ، سَمَوٌ  
Samo: Rame: Ko : na Be : na

ثم صارت جميعها بألف لين خالصة كما نعهدها الآن . على أن القبائل قد  
اختلفت في هذا ، فمنها قبائل احتفظت بالطور الأول، وأخرى وصلت إلى الطور  
الثاني ووقفت عنده ، أما الطور الأخير فهو أحدثها وأفصحها لكثرة شيوعه بين  
القبائل المشهورة ، ولأنه الصفة التي شاعت في اللغة الأدبية النموذجية ، وهذا هو  
السرفي الروايات الآتية :

روى أن قبائل بلحارث وخثعم وكنانة تلزم المثني الألف ، وعلى هذه اللهجة  
قول القائل :

« قد بلغا في المجد غايتها »

وروى أيضاً أنهم كانوا يقلبون كل ياء بعد فتحة ألفاً فيقولون في « جئت  
إليك » « جئت إلاك » . وقد قال الشاعر « طاروا علاهن فطر علاها » ، أي  
« علمهن وعليها » .

وهذه اللهجة هي الطور الثالث لصوت اللين المركب ، ولهذا تعدت من أحدث  
مظاهر اللهجات العربية . إذ يظهر أن الأصل في المثني التزام الياء ، ثم تطور هذا

الى الإمالة التي لا تزال شائعة في معظم اللهجات العربية الحديثة ، وأخيراً صار  
الثنى بالألف<sup>(١)</sup> .

وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال الثنى من لهجات مختلفة ، ثم خصص  
النحاة حالة الياء بالنصب والجر ، وحالة الألف بالرفع .

ولقد قررنا قبلاً أن اللغة النموذجية قد اتخذت بعض صفاتها من لهجات  
متعددة . لهذا نرجح أن أحكام الثنى كما رويت لنا في اللغة الأدبية النموذجية  
ترجع في الأصل إلى أكثر من لهجة واحدة .

ومثل هذا يمكن أن يقال في لهجة «فزارة» وبعض «قيس» حين يقفون  
على الألف المتطرفة بالياء فيقولون في «الهدى» «الهدى» . فلهجة فزارة هي  
الطور الأول ، أما الطور الثاني فهو الإمالة ، وأخيراً أصبحت الكلمة كما نعهدها  
الآن بألف اللين الخالصة ، وهو أفصح الجميع وأكثرها شيوعاً بين القبائل .  
وعلى هذا إذا قيل لنا إن قبيلة هذيل كانت تقول «عَصَى» بدلا من  
«عصاي» ، علمنا أن الأمر لا يعدو أن قبيلة هذيل التزمت الطور الأول  
لصوت اللين المركب ولم يتطور فيها .

وبهذا يمكن أن نفسر قول شاعرهم :  
سبقوا هوىً وأعنقوا لهواهما فتخُرموا ولكل جنب مصرعُ  
ويظهر أن الوقف على أصوات اللين المتطرفة ، كان عسيراً على اللسان العربي ،  
قليل الشيوع في معظم اللهجات العربية ، فقد روى أن بعضاً من تميم نُنوا يقفون  
على مثل كلمة «الهدى» قائمين «الهدو» ، وبعض من قبيلة طيء كانوا يقولون  
«الهدأ» بالهمزة . ولعل هذه هي اللهجة التي يشير إليها الأزهرى صاحب تهذيب  
اللغة في قوله ج ١٨ ص ١٤٠ [ ومنها همزة الوقف في آخر الفعل لغة لبعض العرب  
نحو قولهم للمرأة «قوليء» وللرجلين «قولاً» وللجميع «قولو» ، وإذا وصلوا

(١) أنظر الخصائص الجزء الأول صفحة ٤١٢ .



الكلام لم يهمزوا ، ويهمزون « لأ » إذا وقفوا عليها .  
فإذا أضيف إلى هذا مانعرفه من وقوف معظم القبائل على ما آخره صوت  
لين بهاء السكت ، أدركنا بسهولة كيف فرت معظم اللهجات العربية من الوقوف  
على أصوات اللين طوليلها وقصيرها .

رابعاً : اختلاف موضع النبر :

تخضع اللغات لقواعد خاصة في موضع النبر من الكلمة أو الجملة . والنبر  
هو الضفط على مقطع من المقاطع بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ويزداد  
وضوحه في السمع<sup>(١)</sup> .

ولم يعن المتقدمون بالبحث في مواضع النبر العربي ، وإنما هي إشارات روهها  
في ثنايا كتبهم نستطيع منها الحكم على أثر النبر فيما يعرض لبعض اللهجات من  
ظواهر صوتية . وقد اختلفت مواضع النبر في اللهجات العربية الحديثة اختلافاً  
يحملنا نرجح أن اللهجات القديمة قد اختلفت أيضاً في هذا . وحين نعتمد على  
قراءة المجيدين من المصريين في العصر الحاضر ، ونحاول استنباط مواضع النبر في  
قراءتهم ، نستطيع أن نتبينه في واحد من مواضع ثلاثة :

إما أن يكون على المقطع الأخير بشروط خاصة ، أو على المقطع الذي قبل  
الأخير بشروط معينة أيضاً ، فإذا لم تتوفر شروط هذا أو ذلك كان النبر على المقطع  
الثالث حين نعدّ المقاطع من نهاية الكلمة .

ومثال الموضع الأول « المستقر » حين نقف على قوله تعالى « إلى ربك  
يومئذ المستقر » ، « نستعين » حين نقف عليها في قوله تعالى : « إياك نعبد  
وإياك نستعين » .

ومثال الموضع الثاني :

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٩٧ .

يكتبُ ، بحرٌ ، أصغرُ  
ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الذي قبل الأخير وهو على الترتيب .

تُ ، بَحْ ، غُ  
ومثال الموضع الثالث وهو القليل الشيعوع في اللغة العربية كما نسمعها من أفواه القراء في عصرنا الحاضر :

ضربَ ، اشهرَ ، اجتمعوا  
ففي هذه الأمثلة نلاحظ أن النبر يقع على المقطع الثالث من الخلف وهو على الترتيب :

ضَ ، تَ ، تَ  
على أن هناك موضعاً رابعاً للنبر نادر الشيعوع ، يقع على المقطع الرابع حين نعدّ المقاطع من نهاية الكلمة . ونلاحظ هذا في كلمات مثل :

عربيةٌ ، بلحةٌ ، رقبةٌ  
ففي مثل هذه الأمثلة يكون النبر على المقاطع الآتية على الترتيب :

عَ ، بَ ، رَ  
والذي نلاحظه بوجه عام هو أن اللهجات العربية تميل في حالة الوقف إلى نقل النبر إلى المقطع الذي قبله ، فحين نقف على الأمثلة الآتية :

يكتبُ ، خالدٌ ، مستفهمٌ  
نلاحظ أن النبر ينتقل من المقاطع الآتية :

تَ ، لَ ، هِ  
إلى المقاطع التي قبلها وهي :

يَكُ ، خَا ، تَفُ

وذلك لأن من يريد الوقف لا ينتظر بنطقه حتى ينتهي من جميع المقاطع ،

بل يبتز غالباً المقطع الأخير أو جزءاً منه ، من آخر كلمة في جملته . وقد ترتب على هذا تلك الظاهرة التي سماها القدماء الوقف بالسكون ، ففي الكلمات المنونة يحذف تنوينها ، والكلمات المحركة الآخر سواء كانت تلك الحركة حركة إعراب أو بناء ، تحذف حركتها ، فالقبائل بصفة عامة تقف على الكلمات الآتية :

خالدٌ ، معلمٌ ، يزلُّ

هكذا :

خالدٌ ، معلمٌ ، يزلُّ

ونلاحظ في حالة الوقف انتقال موضع النبر إلى المقطع الذي قبله في معظم الحالات . على أن معظم القبائل قد اختصت النون المنصوب بحكم خاص ، وهو الوقف عليه بالألف ، لإقبيلة ربيعة التي اشتهر عنها الوقف عليه بالسكون أيضاً . وقد روى لنا أن بعض القبائل قد التزموا في لهجاتهم حكماً خاصاً في حالة الوقف مثل :

(أ) روى أن قبيلة الأزد من القبائل اليمنية كانت تقف على الكلمات المنونة بحركة من جنس حركة آخر الكلمة فيقولون : جاء خالدو ، رأيت خالداء ، مررت بخالدى .

وعلى هذا فلا شك أنهم كانوا يبقون النبر في موضعه في حالة الوقف ، وهو في كل من الأمثلة الثلاثة المتقدمة « ل » في خالد .

(ب) — كما نستنتج أن قبيلة سعد بن بكر كانت تبق النبر في موضعه أيضاً في حالة الوقف ، ولكنهم مع هذا كانوا يحذفون التنوين . ولم يكن من الممكن حذف التنوين وإبقاء النبر في موضعه إلا بتشديد الحرف الأخير من الكلمة ، وإلا خالف هذا ما عرف عن نسج المقطع الأخير من الكلمات العربية حين يكون منبوراً . فشرط المقطع الأخير حين يقع عليه النبر أن يكون أحد نوعين :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن

أو :

صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان

ففي حالة الوقف على مثل « خالد » بالسكون ، مع بقاء النبر في موضعه ،  
يجب أن تصبح الكلمة على أحد وجهين : إما ( خالد ) أو ( خالد ) .  
وقد اتخذت لهجة سعد بن بكر الوجه الأول وهو « خالد » في حالة الوقف ،  
وذلك حين يكون المقطع الذي قبل الأخير متحركاً ، أما إذا كان ساكناً فالنبر  
لا يتغير موضعه في حالة الوقف في أية لهجة من اللهجات . ولهذا روى أن لهجة  
سعد بن بكر تقول ( هذا بكر ) في حالة الوقف ، كما هو الشائع في اللهجات  
الأخرى .

هذا وقد روى أن قبيلة سعد بن بكر لا يلتزمون لهجتهم هذه في حالة الوقف  
على ما آخره همزة مثل « رشاً » ، لأن تضعيف الهمزة ثقيل على السمع ويحتاج  
إلى جهد عضلي كبير ، أو لعل السبب الحقيقي هو أن كلمة « رشاً » على صيغة  
لا يتغير معها موضع النبر حين يوقف عليها بالسكون ، فوضع النبر من هذه  
الكلمة في حالتها الوصل والوقف هو المقطع « ر » وقد سمي القدماء هذه الظاهرة  
الوقف بالتضعيف ، ولم يرو عن أحد من القراء ، إلا ما نسب لعاصم في قوله تعالى  
« وكل صغير وكبير مستطر » وما نسب لأبي عمرو « وتواصوا بالصبر » ،  
كما قرأ سلام « والعصر » .

ويظهر أن هذه القبيلة قد التزمت في معظم الأحيان نبر المقطع الأخير من  
الكلمة في حالة الوقف عليها ، مما أدى إلى تضعيف الحرف الأخير .  
وهناك قبائل أخرى يضغطون على المقطع الأخير من الكلمة في حالة الوقف  
عليها ، وأولئك هم الذين يقفون بما سماه النحاة الوقف بالنقل . ففي مثل الوقف على  
بكر وعمرو ، ينقلون حركة الراء إلى الساكن قبلها ويقولون « هذا بكر » ومررت

بيكر الخ ... وقد ترتب على التزام نبر المقطع الأخير في لهجتهم شيان : أولهما ماسمى بالنقل ، وثانيهما تضعيف الحرف الأخير . فأولئك الذين يقفون بالنقل كانوا في الغالب يضغطون في نفس الوقت الحرف الأخير من الكلمة . ولعلّ النطق الصحيح لهذه القبائل هو أنهم كانوا يقولون « هذا بكُرّ » ، ولم يفتن النحاة لهذه الصفة وظنوها الوقف بالنقل فقط .

ومما يؤيد ما نذهب إليه تلك الرواية التي رويت عن أبي عمرو في وقفه على قوله تعالى « وتواصوا بالصبر » . وقد ذكرها النحاة مرة في الوقف بالتضعيف ، ومرة أخرى حين أشاروا إلى الوقف بالنقل ، مما يدل على أن الوقف بالنقل يستازم أحياناً التضعيف ، ولكن ليس كل وقف بالتضعيف يتضمن نقلاً ، إلا في لهجة « نخم » وبعض من « طيء » أولئك الذين يلتزمون النقل ولو كان الحرف الذي قبل الأخير متحركاً . وقد مثل النحاة للهجة نخم و طيء أولاً بقول الشاعر :

من يَأْتَمِرُ للخير فيما قصدُهُ      تحمد مساعيه ويعلم رشدهُ

وثانياً بقول القائل :

« والكرامة ذات أكرمكم الله به » .

ويظهر أنهم كانوا يشددون الهاء في كل من « قصده ، رشده ، به » ، لأن النقل يصحبه في الغالب تضعيف .

على أن ما يسميه النحاة وقفاً بالنقل ليس في الحقيقة إلا تخلصاً من التقاء الساكنين حين يقعان في آخر الكلمة . فبعض القبائل قد سيطرت عليها عادة التخلص من التقاء الساكنين سيطرة تامة إلى حد أن التزموه أيضاً حين يكون الساكنان في آخر الكلمة<sup>(١)</sup> .

( ح ) اختلفت القبائل العربية في أحكام الفعل المضعف ، أى الذى فيه العين واللام من نوع واحد ، مثل « ردّ ، عدّ » . وليس لهذا الاختلاف من

(١) انظر أسرار اللغة صفحة ١٤٧ .

سر ، سوى اختلاف موضع النبر بين هذه القبائل .  
وقد نظر النحاة إلى مثل هذا الفعل من وجهين : أولاً حين يكون مجزوماً ،  
وثانياً حين يتصل بضمير رفع :

١ — روي لنا أن لهجة الحجازيين تلتزم فك الإدغام في حالة الجزم فيقولون  
« لم يردد » ، في حين أن بني تميم يقولون الإدغام ويقولون « لم يرد » . وعدّ  
النحاة كلا من الوجهين جائزاً صحيحاً .

أما السرّ في التزام الحجازيين فك الإدغام فهو أن يترتب على الجزم عادة  
نقل النبر من موضعه إلى المقطع الذي قبله ، لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات .  
ففي قولنا « يكتب » نلاحظ أن النبر على المقطع « ت » ، ولكن إذا جزم الفعل  
كما في مثل « لم يكتب » ، انتقل النبر إلى المقطع « يك » . وعلى هذا كان  
من الواجب في حالة جزم الفعل « يرد » أن ينتقل النبر من المقطع « رد » إلى  
المقطع « ي » لتصبح الكلمة لم « يرد » ، ولكن التباس هذا الوضع بوضع  
الفعل المعتل العين ، والحرص على إظهار تضعيف الفعل ، جعل العرب من  
الحجازيين يفكرون الإدغام ليجمعوا بين أمرين : نقل النبر إلى الورا بسبب  
الجزم ، وإظهار تضعيف الفعل .

وهكذا جاء الوضع « لم يردد » . ولهذا عاد الحجازيون إلى الإدغام حين  
بقي النبر في موضعه ، مثل « لم يردوا » .

أما بنو تميم فلم ينقل النبر في لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقي الإدغام . فكانوا  
يقولون في حالة الوقف « لم يرد » ، أما في الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية  
بحركة لالتقاء الساكنين ، سواءً كانت تلك الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة على  
اختلاف بين النحاة . وربما كان هذا من المواضع القليلة التي يتخلص فيها من  
التقاء الساكنين بتحريك الثاني منهما .

نحاص من كل هذا إلى أن فك الإدغام عند الحجازيين في مثل « لم يردد »

ليس له سرّ ، سوى نقل النبر من موضعه فلما جرى بالأمر من هذا الفعل كان من المقبول أن يأتي على هذا الوضع «أرددُ» ، في حين أن الأمر عند بني تميم هو «ردّ» .

أما تلك اللهجة التي رويت عن «عبد القيس» واختص بروايتها الكسائي فهي أنهم كانوا يقولون في حالة فعل الأمر «أرددُ» ، «أغضّ» . ومن المحتمل هنا أن يكون هذا الوضع من أنواع القياس الخاطيء ، رغبة في اطراد الصيغ والأوضاع في اللهجة الواحدة . وبهذا قاس بنو عبد القيس فعل الأمر هنا ، على الأمر من الفعل الثلاثي الصحيح الذي يلتزم فيه البدء بهمزة الوصل .

٢ — أما في حالة اتصال الفعل المضعف بضمير الرفع فقد أجمع النحاة على وجوب فك الإدغام في الكثرة الغالبة من اللهجات العربية . وربما لم يكن هذا إلا عن طريق قياس أمثال «ردّ» على الأفعال الصحيحة ، وبهذا يقال «رددت» كما يقال «ضربت» . وإذا أمكن قبول قول النحاة إن لام الفعل الصحيح قد سكنت حين اتصاله بضمير الرفع لكرهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، فليس من المقبول أن يلتزم هذا في مثل «ردّ» الذي لا يترتب على اتصاله بضمير الرفع أن يتوالي أربع متحركات .

فالسرّ إذن في فك الإدغام ، هو القياس على الفعل الصحيح لا أكثر ولا أقل . وعلى هذا فما روى لنا من أن ناساً من بكر بن وائل كانوا يقولون «ردتُ» ، قد جاء على الأصل . وقد ترتب على اتصال الضمير بالفعل في لهجة بكر بن وائل ، انتقال النبر إلى الأمام ، من المقطع «ردّ» إلى المقطع «د» . وانتقال النبر إلى مثل هذا المقطع قد يطيل صوت اللين فيه فيصبح «دا» . ولهذا جاءت بعض الروايات بأن لهجة قيس عيلان تزيد ألفاً بعد المدغم قبل الضمير ، فيقال «مدّاتُ» . وإذا نطق مثل هذا الوضع الأخير بالإمالة ، نتج هذا الوضع الذي التزمته معظم اللهجات العربية الحديثة والذي نلاحظه في لغة كلامنا .

هذه إشارات منها نرجح أن القبائل العربية تلتزم في لهجاتها قانوناً واحداً لمواضع النبر من الكلمات . ولعل بحوث المستقبل تكفل لنا الكشف عن صفات أخرى للنبر في اللهجات العربية القديمة . وليس اختلاف مواضع النبر فيها بالأمر الغريب ، بل هو طبيعي . وإنما لنشهد الآن آثاره في اللهجات الحديثة ، فموضع النبر في لهجة الصعيد يختلف عن موضعه في لهجة القاهريين وسكان الوجه البحري ، لا في لهجات الكلام محسب ، بل حتى في النطق بالعربية الفصيحة أيضاً .

— ٧ —

## أشهر القبائل في اللهجات العربية

حين نستعرض أسماء القبائل التي ذكرت في روايات اللهجات ، نراها تشمل طائفة كبيرة من القبائل العربية المشهورة في التاريخ والأدب . على أن روايات اللهجات قد خلت في كثير من الأحيان من ذكر أسماء قبائل معينة إليها تنسب اللهجة . وقد تفاوتت القبائل في نسبة اللهجات إليها ، فمنها قبيلة نسبت إليها صفة واحدة وأخرى نسبت إليها صفات عدة . وربما كان أشهر القبائل في روايات اللهجات قبائل ثلاث هي : تميم وهذيل وطىء ، وكلها من القبائل التي نسب الرواة لها الفصاحة وإجادة القول ، واحتجوا بأقوالهم وأخذوا عنهم في رواياتهم عصر تدوين اللغة . ولكن الغريب أن نلاحظ أن هذه القبائل الثلاثة كانت من أقل القبائل نصيباً في الشعراء الجاهليين ، إذ لم ينسب إلى واحدة منها شاعر من شعراء الطبقة الأولى ، وإنما نسب إليها شعراء مقلون ، روى عنهم القليل من الشعر الجاهلي . فقد نسب لميم : « أوس بن حجر ، والأسود بن يعفر ، والبراق ابن روحان ، وسلامة بن جندل ، وعلقمة بن عبيدة ، وعمر بن الأهم » .



ونسب لقبيلة هذيل من الشعراء الجاهليين : « المنتحل بن عويمر ، وعامر ابن حليس ، وخويلد بن خالد ، وأبو ذؤيب الهذلي » .  
ونسب لقبيلة طيء : « حاتم الطائي ، وإياس بن قبيصة ، وأبو زبيد الطائي ، والطرماح بن حكيم » .

والروايات الأدبية التي رويت لنا عن العرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام، تمثل لنا كما أشرنا آنفا لهجة واحدة منسجمة الصفات، قد ترفعت عن معظم صفات اللهجات التي رويت لنا، فقد خلت من العنفة والكشكشة والعجمجة ونحو ذلك . مما نفر منه خاصة العرب قبل الإسلام . وبعده . وقد اتخذت تلك اللغة الأدبية معظم صفاتها من لهجة قريش مع ما استحسنه خاصة العرب من صفات اللهجات الأخرى . فهي إذن مزيج من عدة صفات نسبت إلى قبائل عدة ، ولكنه مزيج منسجم القواعد والأصول، نراه في أسلوب القرآن الكريم، كما نراه في الآثار الأدبية الأخرى من شعر ونثر وصحت روايته وتحققت . وكما يسرت القراءات على العامة من العرب نطق القرآن الكريم بما تستطيعه ألسنتهم وبما يوافق لهجاتهم ، كان من الطبيعي أيضاً أن ينطقوا الآثار الأدبية نطقاً يوافق ألسنتهم وما جلبوا عليه من لهجات ، لأن تلك الآثار الأدبية وإن كتبت بلغة الخاصة ، شاع تداولها بين العامة ، وتغنوا بها واعتزوا بما اشتملت عليه من جمال الأسلوب والمعاني . فلم تكن في تداولها وفقاً على الخاصة من العرب ، بل كان يتلقفها العامة أيضاً بشغف كبير ، ويرددونها في أغانيهم ومجالسهم ، وإن لم يفهموا الكثير منها .

وإذا تصورنا تلك القبائل المتعددة اللهجات ، تردد الآثار الأدبية في أغانيها ومسامراتها ، أدركنا بسهولة أن لابد من وقوع بعض الاختلاف في النطق ، فلما جاء عصر تدوين اللغة وأخذ الرواة عن قبائل عدة ، جاءتهم أشعار الشاعر الواحد بروايات عدة في بعض النواحي . هذا هو معنى قول ابن هشام في شرح

الشواهد: [ كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكل يتكلم على مقتضى  
سجيته التي فطر عليها ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات ] .

ولنضرب هنا بعض الأمثلة التي توضح ما نرى إليه :  
تصور معى أن رجلا من القبائل التي تميل إلى الإدغام وتأثر الأصوات  
التجاورة بعضها ببعض، ينشد قول امرئ القيس :

وإذ هي تمشى كمشى الزيد      ف يصرعه بالكثيب البهر  
فلاشك أننا سنسمعه منه :

وإذ هي تمشى كمشى الزيد      ف يظارعه بالكثيب البهر

أى أنه سيقاب الشين في « مشى » إلى جيم كثيرة التعطيش ليجعلها مجهورة  
كالياء . كما أنه يشم « الصاد » صوت الزاى فتصبح تلك « الظاء » المعروفة بين  
العوام في مصر ، لأن الراء التي تليها صوت مجهور . بل قد ينطق بهذا البيت  
رجل ممن اشتهر بالعجعة فنسمع منه كلمة « كمشى » « كمشج » أى يقاب كلا من  
الياء والشين ، جيا .

وتصور أيضاً أحد العامة في قبيلة من تلك التي تؤثر الإدغام ولا تحقق  
الأصوات ، ينطق بقول امرئ القيس :

غدائره مستشزرات إلى العلا      تضل المدارى في مثنى ومرسل  
فلاشك أنه سيتلمس أيسر الطرق للنطق بتلك الكامة « مستشزرات » ،  
التي اتخذها علماء البيان مثلاً للتمعيد اللفظى ، ويقول « مستزرات » بادغام  
الشين في الزاى ، بل وربما قال « متزرات » بادغام السين في التاء أيضاً .

كذلك حين تصور رجلا من أصحاب الكشكشة ينشد بيت امرئ القيس :

أغرك منى أن حبك قاتلى      وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل  
فلاشك أنه سيقول :

أغرتش منى أن حبش قاتلى      وانتش مهما تأمرى القلب يفعل

ولا يترتب على هذا إخلال بوزن البيت ، كما قد يتبادر للذهن ، على الأقل  
في هذا البحر بالذات .

بل ويقول أيضاً في مطلع معلقة امرئ القيس :

قفا نبش من ذكرى حبيب ومنزل

فإذا أنشد بدوى ممن يميلون إلى الإدغام قول امرئ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

فنسمع منه الفعل [ يخزن ] [ يغزن ] بالغين لا بالخاء .

أو قول النابغة :

لئن كنت قد بلغت عنى وشاية لمباغك الواشى أعش وأكذب

فنسمع منه كلمة [ أكذب ] [ أجذب ] ، بجيم خالية من التعطيش .

أو قوله :

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب

فنسمع الفعل [ يعتب ] [ يحتب ] ، بالخاء لا بالعين .

أو قول طرفة بن العبد :

كالجوابى لا تنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر

ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يخزن لحم المدخر

فنسمع البيتين هكذا :

كالجوابى لا تنى مدرعة لقرى الأضياف أو للمحتضر

ثم لا يغزن فينا لحمها إنما يغزن لحم المدخر

ثم تصور شاعراً كزهر بن جناب وقد ربي في قبيلة كلب من قضاة ،

أولئك الذين اشتهروا « بالوهم » « والوكم » ، قد نظم قضيدته الحماسية التي

يقول فيها :

أبي قومنا أن يقبلوا الحق فانتهاوا إليه وأنياب من الحرب تحرق

فلما وصل إلى قوله من هذه القصيدة :

فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يعفر فيه المضرحي المذلق

سمعنا قومه ينشدون هذا البيت بكسر الهاء في رئيسهم .

\* \* \*

تلك هي أمثلة قليلة، مما قد تصنعه اللهجات في الآثار الأدبية، ومما قد يترتب عليه اختلاف في روايات البيت الواحد، بل وقد يترتب عليه نشأة مترادفات وهمية للمعنى الواحد .

## الفصل الخامس

- ١ -

### اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات

الدلالة :

روت لنا المعاجم العربية مئات من الكلمات التي اختلفت معانيها بعض الاختلاف تبعاً للهجات المتباينة . ولم يحاول أصحاب هذه المعاجم تنظيم مثل هذه الكلمات على أساس علمي يلقي ضوءاً على تطور المعاني بين اللهجات ، وعلى الحياة الاجتماعية في القبائل ، بل كان كل همهم هو سرد الكلمات ونسبة بعضها فقط إلى بيئاتها ، فكانوا يقولون مثلاً :

- ١ - وثب بمعنى جلس حميرية ، وبمعنى قفز عدنانية .
- ٢ - الشائع في معنى السرحان والسيّد هو « الذئب » ، ولكن قبيلة هذيل تستعملها بمعنى « الأسد » .
- ٣ - الشائع في معنى « الكتّع » هو ولد الثعلب ، ولكن معناه في اليمن ولد الذئب .

بل إن المعاجم لتؤكد لنا أن بعض القبائل قد اشتهرت بكلمات معينة واختصت بها دون غيرها من سائر القبائل الأخرى مثل .

- ١ - « اللجج » معناه عند طيء ، وقيل أيضاً هذيل ، السيف .
- ٢ - « غننج على شنج » معناها عند هذيل ، شيخ على جمل .
- ٣ - نِفّاح المرأة زوجها ، يمانية .

(٤) المهرج معناه القتل عند الحبشة .

وقد وردت كل الأمثلة السابقة في لسان العرب لابن منظور ..

ويروى صاحب المخصص أمثلة أخرى منها :

١ — العيش معناه الطعام عند اليمن<sup>(١)</sup> .

٢ — السدفة الضوء عند تميم والظلمة عند قيس<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ولاشك أن حصر كل تلك الكلمات وتنظيمها ، والنظر إليها على ضوء ما يقرره البحث الحديث الذي يسمى عند الأوربيين Semantics ، سيطلعنا على نواح من اللهجات جلية الشأن ، بل ويقسر لنا أيضاً كثيراً من الأمور الغامضة علينا كصلات القبائل بعضها ببعض ، ونظام حياتهم قبل الإسلام .  
وليس يتسع المقام هنا لمثل هذا البحث ، فترجو أن تحققه بحوث المستقبل<sup>(٣)</sup>

البقية :

قد تبين لنا من بحث الصفات الصوتية المختلفة بين القبائل أنه قد ترتب على معظمها تغيير في بنية الكلمات ، وتلتزم القبائل هذا التغيير في مواضعه ولا يستطيعون غيره إلا مع كثير من التكلف والعنت ، والعربي في لغة مخاطبه يطلق نفسه على سجيتهما ، وينطق كما تعود في بيئته ، فتبرز في نطقه تلك الصفات التي أشرنا إليها آنفاً .

وتغير بنية الكلمات نتيجة تغير صوت من أصواتها ، يمد في معظم الأحيان تمييزاً طفيفاً لا يصعب معه التعرف على الكلمة في صورتها الأصلية ، أو بعبارة أدق في صورتها الأكثر شيوعاً ، والأفصح استعمالاً .

ولئن نسب القدماء بعض الروايات لقبائل معينة ، فلقد أهملوا ذكر القبائل

---

(١) جزء ٤ صفحة ١١٩ . (٢) جزء ٩ صفحة ٤١ . (٣) انظر كتاب دلالة الألفاظ

في كثير من رواياتهم . فهناك صور مختلفة للكلمة الواحدة رووها على أنها كلها صحيحة جائزة ، في حين أنه من السهل اليسير الحكم على تلك الصور بأنها تنتمي إلى أكثر من لهجة من لهجات العرب . وقد ملئت معاجم اللغة بكلمات جوزوا فيها أكثر من وضع واحد أو صيغة واحدة . ولنضرب مثلا لما جاء في معظم المعاجم العربية ، حين الإشارة إلى كلمة « أصبع »<sup>(١)</sup> فقد روى فيها عشر لهجات هي :

إصْبَعُ ، إصْبِغُ ، إصْبُغُ ، إصْبَعُ ، أصْبَعُ ، أصْبِغُ ، أصْبُغُ ، أصْبَعُ ، أصْبِغُ ، أصْبُغُ ، وأخيراً أصْبُوع .  
ويظهر أن بعض هذه اللهجات كان من اختراع الرواة أمثال :

إصْبُغُ ، أصْبِغُ  
لأن الانتقال من كسر إلى ضم أو العكس مما كانت العرب تنفر منه بصفة عامة . وعلى هذا يمكن إرجاع الباقي من لهجات هذه الكلمة إلى ثلاثة أنواع من القبائل .

قوم يؤثرون البدء بالهمزة مفتوحة ، ولكنهم يختلفون في حركة الباء فبعضهم يؤثر ضمها ، والآخرون يؤثرون كسرها ، فقبيلة كانت تقول «أصْبِغُ» وأخرى كانت تقول «أصْبِغُ» ؛ ثم تطورت لهجة كل منهما إلى «أصْبِغُ» ، للانسجام بين الحركات في الكلمة .

وهناك قبائل كانت تؤثر البدء بالهمزة مكسورة ، ولهجة هذه القبائل كانت «إصْبَعُ» ثم تطورت إلى «إصْبِغُ» للانسجام بين الحركات أيضاً .  
أما القبائل الأخيرة ، فقد آثرت فيما يظهر ، ضم الهمزة فجاءت لهجتها

(١) قال أستاذنا على الجارم : ولا يصح في الرأي أن قبيلة واحدة تنطق بكلمة الأصبع إلا على صورة واحدة ، غير أن الناس شغلوا عن تحقيق هذه اللهجات وعن نسبة كل لهجة إلى قبيلتها . وهذا بحث شريف خليلي بعناية اللغويين «مجلة مجمع اللغة صفحة ٣٢١ جزء أول» .

الأصلية «أصبَع» ، ثم تطورت لانسجام الحركات إلى «أصبُع» . ولعل هذه اللهجات الأخيرة كانت من اللهجات التي تقف بالتضعيف ، أى أنها تجعل النبر على المقطع [ بُع ] . ونبر المقطع الأخير يؤدي إلى أحد وجهين إما تضعيف العين أو إطالة الحركة قبلها مما أدى إلى الصورة الأخيرة وهي «أصبوع» .

هذه هي آراء سريعة ، ترجح احتمالها فيما يتعلق بكلمة [أصبع] . أما الذى لا يمتثل الشك فهو أن ماصح من هذه اللهجات العشر ، ينتمى إل لهجات مختلفة بعضها أفصح من بعض .

ولا بأس من أن نسوق هنا بعض الروايات التى جاءت فى المعاجم مشيرة إلى اختلاف البنية باختلاف اللهجات .

جاء فى اللسان :

- ١ — مضمئ الأمر وأمضى ، والثانية تميمية .
  - ٢ — فتنته المرأة وأفتنته ، الأولى حجازية والثانية نجدية .
  - ٣ — « حزنه » لقريش ، أحزنه لميم .
  - ٤ — عقر الدار أصلها ، حجازية ، وبالفتح عند أهل نجد .
- وجاء فى المخصص :

- ١ — « هلك » يستعمل متعديا عند تميم (١) .
  - ٢ — الأيم هو الثعبان عند هذيل ، وفى الحجاز بالتخفيف ، وفى تميم أين (٢)
- ويمكن أن نلخص العوامل التى دعت إلى اختلاف بنية الكلمات فى اللهجات العربية القديمة فيما يلى :

- ١ — قبائل تميل إلى صوت لين خاص وهذا لا يكون إلا فى الاختيار بين الكسرة والضمة ، لأن كلا منهما صوت لين ضيق (٣) .

(٢) جزء ٨ صفحة ١٠٩ .

(١) جزء ٦ صفحة ١٢٧ .

(٣) أنظر كتاب الأصوات صفحة ٣٧ .



وعلى هذا إذا روى لنا أن فعلاً من الأفعال الثلاثية الصحيحة جاء من باب «ضرب ونصر» ، رجحنا أن إحدى القبائل كانت تنطق به من باب «ضرب» ، وأخرى كانت تنطق به من باب «نصر» . وأمثال هذه الأفعال كثيرة في المعاجم العربية . وقد أشرنا آنفاً إلى أن القبائل البدوية كانت تميل إلى الضم ، في حين أن القبائل المتحضرة كانت تميل إلى الكسر .

٢ — الميل إلى نسج خاص في مقاطع الكلمة . فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة ، ومن هذه قبيلة «تميم» التي روى عنها أنها كانت تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك . جاء في اللسان إن مثل : خُمُر جمع خمار ، فرش جمع فراش ، رسل جمع رسول ، ينطق بها عند تميم بتسكين الوسط أي خُمُر ، فُرُش — الخ.

ويذكر في موضع آخر أن تسكين «نخذ» وأمثالها مثل «كبد وعضد ورجل» والفعل «كرم وعلم» للتخفيف ، وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم . وإلى هذه القبيلة يمكن أن ننسب تلك اللهجة التي تجوز تسكين عين الفعل الماضي الثلاثي ، فيقولون في «كَتَبَ» «كَنَبَ» .

والحقيقة أن معظم اللهجات العربية تنفر من توالي المقاطع المتحركة ، ولكنها تختلف في نسبة هذا النفور . فإذا روى لنا أن كلمة «نخذ» يجوز في نطقها «نخِذ» ، «فخذ» ، أدركنا أن الصيغة الثانية لقبيلة مثل تميم تلك التي تؤثر المقاطع الساكنة .

٣ — سبق أن أوضحنا أن القبائل المتحضرة بوجه عام تميل إلى تحقيق كل أصوات الكلمة ، وإعطاء كل صوت حقه في النطق ، في حين أن القبائل البدوية تميل إلى تأثر الأصوات بعضها ببعض . ومثل هذا يؤدي إلى اختلاف بنية الكلمة الواحدة بين هذين النوعين من القبائل ، وفيما تقدم من الأمثلة القدر الكافي . كذلك سبق أن شرحنا أن بعض القبائل تؤثر صفات خاصة ( م ١١ — الهجاء )

للأصوات الساكنة ، فبعضها يؤثر الأصوات الشديدة المجهورة ، وآخرون يؤثرون الأصوات الرخوة المهموسة ، ومرجع كل هذا البيئة الاجتماعية .

٤ — العامل الأخير الذى يعد أهم العوامل فى تغيير بنية الكلمات بين اللهجات المختلفة هو أخطاء الأجيال الناشئة وما يترتب عليها :

(أ) فقد يصعب على الطفل تقليد الكبار فى نطقهم لكلمة من الكلمات ثم يهمل أمر هذا الطفل فينشأ على الخطأ وتصبح الكلمة ذات صورة جديدة فى لهجته .

(ب) كذلك قد يخطئ الطفل فى سمع الكلمة فيرتب أصواتها ترتيباً مختلفاً ، وتصبح فيما بعد ذات وضع مختلف عن الكلمة الأصلية .

(ج) قد يقيس الطفل قياساً خاطئاً فيشتق وضعاً جديداً غير معروف فى لهجة آبائه ، ثم يصبح هذا الوضع معترفاً به بين أبناء جيله .

إلى غير ذلك من مظاهر أخطاء الأطفال وما يميلون إليه فى النطق<sup>(١)</sup> . ولا يظهر مثل هذا إلا فى البيئات المنعزلة التى أهمل إصلاح أخطاء الأطفال فيها .

٥ — ويمكن أن يضاف إلى كل ما تقدم عامل آخر كان السبب فيما روى لنا من اختلاف فى بنية الكلمات . وهذا العامل هو احتمال خطأ الرواة فى النقل ولا سيما بعد تدوين اللغة ، ذلك الخطأ الذى سماه القدماء بالتصحيف<sup>(٢)</sup> .

واختلاف بنية الكلمات قد يكون طفيفاً ، لا يصعب معه التعرف على علاقة الكلمات بعضها ببعض . أما الكلمات التى رويت مختلفة البنية ، فبعضها جامد وذلك كأمثال « أصعب ، ونخذ » ، وغير ذلك من الأسماء الجامدة التى اختلف نطقها بين القبائل ، لعامل من العوامل السانفة الذكر ، كما أن منها كلمات اختلفت صيغ الاشتقاق فيها ، فمثلاً تشتق معظم القبائل مؤنث الصفات المنتهية بالألف

(١) كتاب الأصوات ١٤٦ . (٢) أنظر أسرار اللغة ٦٨ .

والنون الزائدين مثل « سكران » ، على وزن سكرى ، ثم يروى لنا أن قبيلة أسد ، قد شاع فيها اشتقاق مؤنث هذه الصفة ، بناء التأنيث فيقولون في مؤنث سكران : سكرانة . كذلك اتفقت الروايات على أن اسم المفعول من فعل أجوف مثل [ باع ] هو [ مبيع ] ، ولكن عرفت قبيلة تميم بأنها لا تفرق بين الفعل الأجوف والصحيح في اشتقاق هذه الصيغة ، فهم يقولون [ مبيوع ] ، [ مديون ] بدلا من مبيع ومدين .

ومن السهل تعليل تلك الظاهرة التي شاعت في أسد وتميم ، بالقياس الخاطيء الذى يلعب دوراً هاماً في خصائص اللهجات ، فقد قاسوا اشتقاق المؤنث من سكران ، على اشتقاقه من معظم الصفات الأخرى ، لأن الكثرة الغالبة في الصفات العربية تؤنث بالتاء . وليس بغريب أن يقاس على اشتقاق الكثرة اشتقاق القلة .

وكما قد يقول الطفل بيننا [ أحمره ] بدلا من حمراء ، قياساً على معظم الصفات قال الطفل الأسدى سكرانة بدلا من سكرى . ثم صار خطأ الأطفال لهجة معترفا بها بين قبيلة أسد . وكذلك قاس الطفل التميمى صيغة اسم المفعول من الأجوف على صيغته من الصحيح ، لأن الأفعال الصحيحة هي الكثرة الغالبة في اللغة .

وعلى هذا ، إذا روى لنا اختلاف في بنية الكلمات عند الاشتقاق ، فعلينا أن نحاول نسبة كل صورة من صور الكلمة الواحدة ، إلى قبيلة خاصة ، أو مجموعة من القبائل . وبذلك تتحدد خصائص كل لهجة وتتميز اللهجات بعضها من بعض ، فهناك اشتقاق المؤنث من المذكر ، وهناك اشتقاق الجمع من المفرد ، وهناك الأسماء المحسة واختلاف بنيتها بين القبائل ، وهناك اشتقاق المضارع من الماضى ، إلى غير ذلك مما نلاحظ اختلاف اللهجات في وضعه ، الاشتقاقى .

## رأى القراء في اختلاف البنية :

لعل أظهر علماء العربية في بحث هذا ، هو « ابن جنى » في كتاب « الخصائص » الجزء الأول ، إذ عقد فصولا أربعة<sup>(١)</sup> سمي الأول : « باب في الفصحیح مجتمع في كلامه لفتان فصاعدا » ، والثانى « باب في تركيب اللغات » ، والباب الثالث « في الأصلين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه » أما الرابع فسنشير فيما بعد إلى ما جاء فيه . وقد وفق ابن جنى في بعض مقال في هذه الفصول الأربعة ، ولكنه لم يوفق في البعض الآخر . فقد زعم في الفصل الأول أن الفصحیح قد يجمع بين لهجتين في كلامه ، ثم ضرب أمثلة من الشعر لا تكفى حجة لما يدعى ، فلعلها من ضرورات الشعر . وفوق هذا لم يبين لنا ابن جنى ما معنى بكلام الفصحیح ؟ ألفة تخاطبه بين أبناء قبيلته تلك التى تخضع لصفات خاصة مميزة عن غيرها من القبائل ، أم كان يعنى لغة الأدب والشعر ، وهى اللغة النموذجية التى اكتسبت معظم صفاتها من لهجة قريش ؟

ونحن نؤثر أن ننسب لكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن مجتمع في اللهجة الوحدة صفتان مختلفتان في أمر واحد ، وكل ما في الأمر أن المرء من خاصة العرب قد يلتزم شيئا في لغة تخاطبه بين أبناء عشيرته ، فإذا عمد إلى بيئة الأدب فنظم الشعر أو خطب الناس في المواسم والأسواق ، فإنه قد يلجأ إلى صفة مغايرة للهجة قبيلته . لأن اللغة النموذجية خصائص قد تخالف خصائص كثير من لهجات الكلام ونفات التخاطب .

وقد روى ابن جنى أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل :

بفداد      بقدان      مبدان .      طبرزل = طبرزن .      أيمم = أينم .  
رغوة اللبن      رغوته      رغوته = رغوته = رغوته .      رغوته .

(١) صفحات ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٨ على الترتيب .

الذَّرُوح = الذُّرُوح = الذَّرِيح - الذَّرَّاح = الذَّرَّاح = الذَّرَنُوح  
الذَّرَّاحُ حَرَحَ الحِج .

ومن السهل الحكم على أن مثل هذه الكلمات المختلفة البنية تنتمي إلى لهجات متعددة ، وقد ينتمي بعضها إلى لهجة واحدة ، ولكن في جيلين مختلفين من أبناء هذه اللهجة . وقد اختتم ابن جنى هذا الفصل بقصة رويت عن الأصمعي قال :  
اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما الصقر بالصاد وقال الآخر بالسين ، فتراضيا بأول واردا عليهما فحكيا له ماها فيه ، فقال لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقرا !

وليس من المعقول أن هؤلاء الرجال الثلاثة من أبناء لهجة واحدة ، بل إنهم ينتمون إلى لهجات متعددة ، وقصة ابن جنى لهذا تقوم حجة عليه لاله . وقد نلتبس العذر لابن جنى لأنه ممن لا يفرقون بين لهجة وأخرى في الاستعمال ، ويرون جميع اللهجات صحيحة يحتج بها ، وقد عقد فصلا خاصاً بهذا في الخصائص سماه [ باب اختلاف اللهجات وكلها حجة ] .

ثم انتقل ابن جنى في الفصل الثاني إلى ما سماه ( تركيب اللغات ) ، فزعم أن قبيلة كانت تقول قِنَطَ يَقِنَطُ ، وأخرى تقول قِنَطَ يَقِنَطُ ، ثم تداخلت اللغتان فقال من قال ( قِنَطَ يَقِنَطُ ) .

على أن ابن جنى لم يحدثنا عن كيف تتداخل اللغات ، ولا عن الدوافع التي قد تدعو لمثل هذا التداخل .

ويظهر أن ابن جنى قد مال إلى الناحية الصناعية البحتة في تفسيره أفعالا مثل ( قِنَطَ ، يَقِنَطُ ) و ( نَعِيم ، ينعُم ) و ( فِضْل ، يفضُل ) وأمثالها مما أعيا القدماء تعليقه في ضوء تلك المقاييس التي وضعوها لأبواب الثلاثي .

ولكن ابن جنى كان موقفاً كل التوفيق حين عرض في هذا الفصل إلى قانون المغايرة ، الذي اعترف به المحدثون وأشاروا إلى أهميته في الاشتقاق . فقد

قال مانصه : [ وقد دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع ]  
ثم قال : [ وإنما دخلت يفعل في باب فعمل يفعل ، من حيث كانت كل واحدة  
من الضمة والكسرة <sup>(١)</sup> مخالفة للفتحة ] .

وليس تداخل اللغات الذي زعمه ابن جنى إلا نوعاً من الصناعة لا تبرره  
تلك الأمثلة التي رواها . وإنما الواجب أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ، ماضيها  
ومضارعها ، ثم تبوب وتنسق وينظر إليها على أنها تنتمي إلى لهجات متعددة .  
فإذا قيل إن المراد بتداخل اللغات استعارة بعضها من بعض ، واستعارة اللغات  
بعضها من بعض أمر معترف به بين المحديثين من علماء اللغات ، قلنا إن اللغات  
قد تستعير الكلمات لا الصيغ ، وليس هناك من مبرر يمكن معه أن تنتقل القبيلة  
أو الرجل منها ، من قوله ( نعيم ينعم ) إلى ( نعيم ينعم !!

وعما يؤيد ما نذهب إليه أننا نلاحظ في اللهجات الحديثة ، أن الرجلين من  
أبناء لهجتين مختلفتين ، قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زماناً طويلاً . وكل  
منهما يلتزم لهجته ، وما نشأ عليه ، فإذا تأثر أحدهما بالآخر ؛ وأخذ يقلده في  
لهجته لسبب من الأسباب ، تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة  
لهجة واحدة . أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة ، فليس مما يقره  
المحدثون من الباحثين في اللغات <sup>(٢)</sup> .

وقد ذكر ابن جنى في هذا الفصل بعض القصص التي تقوم حجة عليه لاله .  
فمن ذلك ما روى عن أبي حاتم قال : [ قرأ على أعرابي بالحرم طيبي لهم وحسن  
مآب ، فقلت طوبي . فقال : طيبي . قلت : طوبي . قال طيبي ، فاما اشتد على  
قلت : طوطو . فقال : طي طي ] .

وقد تعرض ابن جنى في الفصل الثالث إلى كلمات رويت مختافة البنية ،

(١) أظن كتاب الأصوات صفحة ٣٧ .

(٢) إلا في حالة الغزو .

وذلك بأن اختلف ترتيب الأصوات فيها مع آحوا معناها . وقد فرق ابن جنى بين هذه الكلمات ، فجعل بعضها مقولوباً عن نظائرها ، والبعض الآخر كلمات مستقلة بعضها عن بعض وكل منها أصل مستقل بذاته .

ومثل للكلمات المقلوبة عن نظائرها بمثل ( امضحل ) فهى مقلوبة عن ( اضحل ) ، ومثل ( اكرهف ) مقلوبة عن ( اكفره ) ، ولكنه قال إن كلا من ( جذب وجبذ ) أصل مستقل بذاته وليس أحدهما مقلوب الآخر .

والحقيقة أن مثل هذه الكلمات متى كانت تنتمى للغة واحدة ؛ يجب أن ينظر إليها على أن بعضها أصل والبعض الآخر مقلوب عنه ، ولا معنى للترفة بينها . وتكاد هذه الظاهرة تشترك فى معظم لغات العالم التى اشتملت على كلمات متحدة المعنى والأصوات ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف . وهذه الظاهرة هى فى الأصل من أخطاء السمع بين الكبار ، أو من أخطاء الأطفال ، ثم صار الخطأ صواباً .

وأخيراً تعرض ابن جنى فى الفصل الرابع إلى أن بعض الكلمات قد تختلف بنيتها ، وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ، ثم ضرب أمثلة لهذا مثل :

طبرزل : طبرزن . دهمج : دهنج . خامل : خامن . بنات مخر : بنات بخر .

ومثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى إلى لهجات متعددة ؛ أو إلى لهجة واحدة ولكن فى جيلين مختلفين من أبنائها .

على أن ابن جنى لم يحدثننا فى هذا الفصل عن معنى تقارب الصوتين ، ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية . وقد ملئت المباحم العربية بهذا النوع من الكلمات ، وسنفرد فصلاً مستقلاً لما جمعناه منها .

## أبواب الثلاثي :

وربما كان أظهر المواضع التي توضح اختلاف البنية في اللهجات ، هو اشتقاق مضارع الفعل الثلاثي من الماضي ،

وقد جاءتنا كتب النحاة بعلاج مضطرب لما سموه بأبواب الثلاثي، خلصوا منه إلى أن تلك الأبواب سماعية ، ولا تكاد تخضع لقاعدة مطردة ، بل كل ما يمكن عمله بصدها هو استنباط قواعد غالبية شواذها كثيره جداً . ولعمري كيف تصور القدماء أن لغة منسجمة مطردة كاللغة العربية يمكن أن تتضمن كل هذه الأبواب في اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي ، في حين أنهم يرون أن جميع الصيغ الأخرى للفعل تلتزم حالة واحدة مطردة في جميع المواضع .

يجب إذن أن ننظر إلى أبواب الثلاثي كما رواها النحاة ، على أنها تنتمي إلى أكثر من لهجة واحدة ، وأن الذي رووه ، إن هو إلا مزيج من لهجات عدة ، لأن أساس الفهم في أية لهجة من اللهجات هو الخضوع لقاعدة مطردة نادرة الشذوذ .

والذي نستطيع أن نتصوره هو أن كل لهجة من اللهجات ، أو مجموعة منها قد التزمت اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي على هيئة خاصة ، لا تشذ عنها إلا في النادر . فأبواب الثلاثي تنتمي إلى عدة لهجات كل منها كانت تلتزم باباً أو بايين من بينها ويؤيد ما يذهب إليه اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي في كل اللغات السامية الأخرى شقيقات اللغة العربية .

ولن نحاول هنا فصل تلك الأبواب بعضها عن بعض ونسبة كل منها إلى قبيلة خاصة أو مجموعة من القبائل ، لأن هذا يتطلب جمع كل ما ورد في المعاجم العربية من أفعال ثلاثية والبحث فيها بعد تبويبها وتنظيمها في مجموعات متناسقة على أننا قد جمعنا كل ما ورد في القرآن الكريم من أفعال ثلاثية صحيحة غير



مُعْتَلَةٌ ، ماضياً ومضارعاً ، لئري ما يمكن أن تكون قد خضعت له قراءة حفص ، التي لا نشك في أنها تمثل لهجة واحدة منسجمة مطردة في اشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي .

ورد في كل القرآن الكريم من الأفعال الثلاثية الصحيحة مستعملة في الماضي مرة وفي المضارع مرة أخرى ( نحو ١٣٤ فعلاً ) ، وقد تركنا تلك الأفعال التي استعملت في الماضي فقط أو المضارع فقط .

وحين استعرضنا تلك الأفعال التي جاءتنا في قراءة حفص في الماضي مرة والمضارع مرة أخرى ، اتضح لنا أنها لا تشمل على ذلك الباب الذي سماه النحاة ( فِعْلٌ يَفْعِلُ ) ؟ بل لقد خلت أيضاً من ذلك الباب الذي سموه ( فَعْلٌ يَفْعُلُ ) ؛ إلا فعلين اثنين هما : « كَبُرَ يَكْبُرُ ، وَبَصُرَ يَبْصُرُ » في مثل قوله تعالى : [ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ] وقوله [ فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ] .

ولا شك أننا نلاحظ في مثل هذا الفعل معنى من معاني المبالغة ، أو شدة في الحدث ، يرجح عندنا أن مثل هذه الصيغة متفرعة عن [ فَعَلَ ] ، وأنه لا يلجأ إليها إلا حين يراد المبالغة في معنى الحديث الذي تتضمنه الصيغة الأصلية [ فَعَلَ ] . فليست إذن من أبواب الثلاثي ، بل يجب أن ينظر إليها على أنها فرع مستقل ، زاد معناه بتحول الصيغة الأصلية [ فَعَلَ ] إليه .

أما باقي الصيغ الثلاثية التي وردت في القرآن الكريم ، فهي أحد وجهين لا تخرج عنهما وهما : [ فَعَلَ ] ، [ فَعِيلٌ ] .

والصيغة الأولى هي أكثر شيوعاً في الأسلوب القرآني ، لأن به حوالى ١٠٧ فعلاً ماضياً صحيحاً صيغته [ فَعَلَ ] ، وحوالى ٢٤ من صيغة [ فَعِيلٌ ] .

والقاعدة التي خضعت لها قراءة حفص في اشتقاق المضارع من هذه الأفعال ، هي المغايرة التي أشرنا إليها آنفاً . فصيغة [ فَعَلَ ] في الماضي يناظرها صيغة [ يَفْعِلُ ] أو [ يَفْعُلُ ] في المضارع ، لأن الفتحة كما قال ابن جني تقابل الضمة

أو الكسرة . إذ الفتحة صوت متسع ، في حين أن كلا من الضمة والكسرة صوت ضيق<sup>(١)</sup> . أما صيغة [ فعِل ] في الماضي فقد قابها دائماً [ يفعل ] في المضارع ، لم يشذ عن هذا فعل من الأفعال التي جاءت في قراءة حفص .

تلك هي القاعدة التي يمكن استنباطها من أفعال القرآن ، وهي واضحة جلية . لا تعقيد فيها ، ومن الطبيعي أن تكون كذلك .

أما تلك الأفعال التي وردت من صيغة [ فعَل ] في الماضي و « يفعل » في المضارع ، فقد دعا إليها عوامل صوتية في بنية الفعل نفسه ، وذلك أن عين الكلمات أو لامها من أصوات الحلق ، تلك التي تؤثر في كل اللغات السامية ، الفتحة على غيرها من الحركات .

وقد فطن الأقدمون من علماء اللغة إلى ميل الأصوات الحلقية إلى الفتحة ، وأقرم على هذا المستشرقون . وقد ظهر هذا الميل بصورة أوضح في اللغة العبرية . أما السريانية ، فهو أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلق ، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا الجرى في زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً ، وتلك هي الفتحة . ولم يشذ عن هذه القاعدة بين أفعال القرآن الكريم إلا أفعال قليلة هي :

نكح ينكح ، نزع ينزع ، رجع يرجع ، بلغ يبلغ ، قعد يقعد ، زعم يزعم ، نفخ ينفخ ، وأخيراً قنط يقنط .

وكان حق مضارع الأفعال السبعة الأولى أن يكون بالفتح ، وأن يكون مضارع الفعل الأخير بالكسر أو الضم .

وقد أثار الفعل « قنَط يقنَط » دهشة بين القدماء ، وبدأوا يتأولونه على أنه من تداخل اللغات .

والحقيقة أن اللهجة الواحدة يجب أن تخضع لقاعدة مطردة في الكثرة الغالبة

(١) كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٣٧ .

من صيغها ، ولكن قد يتخللها القليل من الصيغ التي تسمى عادة بالشاذة .  
وفي مثل هذه الحالة يجب أن تدرس هذه الصيغ على افراد ، وأن يبحث  
عن مصدرها أو سر شذوذها .

ويقال أن يعزى هذا الشذوذ إلى انحدار الفعل من لهجة أخرى لها قواعد  
أخرى تخضع لها .

وليس معنى هذا استعارة الصيغة ، وإنما معناه استعارة الفعل بصيغته . ولهذا  
نرجح أن الأفعال :

[ نزع ينزع . نكح ينكح . رجع يرجع . قنط يقنط . نفتح يفتح . بلغ  
يلغ . قعد يقعد . زعم يزعم . ]

تنتمي إلى لهجة أخرى غير اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم .  
وربما كان يعبر عن معاني هذه الأفعال قبل استعارتها في لغة القرآن  
الكريم ، بمثل الأفعال الآتية على الترتيب :

قلع يقلع . تزوج يتزوج . عاد يعود . الخ  
أو أن هذه الأفعال فيما عدا [ قنط يقنط ] قد غلبت عليها المغايرة لظروف  
لغوية خاصة باستعمالها .

ولا بأس بعد هذا من أن نورد الأمثلة القرآنية من أفعال بابها «فعل يفعل» :  
عقل يعقل . ظلم يظلم . عرف يعرف . فرض يفرض . عزم يعزم . ضرب  
يضرب . حرص يحرص . ربط يربط . قبض يقبض . سبق يسبق . بطش  
يبطش . كسب يكسب . ملك يملك . حلف يحلف . لبس يلبس . كذب  
يكذب . صبر يصبر . صدق يصدق . صرف يصرف . نبذ ينبذ . غلب يغلب  
كذب يكذب . نقر ينقر . سرق يسرق . حمل يحمل . قدر يقدر . كشف يكشف  
خسف يخسف . فصل يفصل . غفر يغفر . ختم يختم . قن يفتن . قذف يقذف  
عدل يعدل . تقم ينقم . قسم يقسم . هلك يهلك . نكص ينكص . نزل ينزل .

وها هي ذى الأفعال التي بابها « فعلل يفعل » :

خلف يخلف . كتم يكتم . مكث يمكث . عمر يعمر . حسد يحسد .  
نكث ينكث . سكن يسكن . سلك يسلك . شكر يشكر . طرد يطرد .  
نظر ينظر . ترك يترك . سجد يسجد . حشر يحشر . مكر يمكر . درس يدرس .  
عبد يعبد . بسط يسط . خرج يخرج . حكم يحكم . حضر يحضر . ذكر يذكر .  
فسق يفسق . نقض ينقض . نصر ينصر . دخل يدخل . خلق يخلق . رزق  
يرزق . قتل يقتل . كتب يكتب . كفر يكفر .

أما الأفعال التي جاء مضارعها مفتوح العين بسبب حرف من حروف

الحلق فهي :

ذهب يذهب . نفع ينفع . لعن يلعن . فعل يفعل . بعث يبعث .  
قطع يقطع . طبع يطبع . فتح يفتح . جحد يجحد . نصح ينصح .  
سحر يسحر . خشع يخشع . جمع يجمع . رفع يرفع . ذبح يذبح .  
جعل يجعل . صنع يصنع . ظهر يظهر . جهر يجهر . زهق يزهق .  
شرح يشرح . منع يمنع .

وها هي ذى الأفعال التي لاشدوذ في أمثلها القرآنية والتي جاءت من

باب « فعلل يفعل » :

نفذ ينفذ . عجل يعجل . شرب يشرب . رحم يرحم . سمع يسمع . شهد يشهد  
علم يعلم . حسب يحسب . عمل يعمل . فشل يفشل . بخل يبخل . عهد يعهد .  
ركب يركب . ثقب يثقب . حبط يحبط . خطب يخطب . سخط يسخط . سخر  
يسخر . ابث يابث . ضحك يضحك . عجب يعجب . حفظ يحفظ . كره يكره .  
طعم يطعم . فرح يفرح .

من كل هذا نستطيع أن نرجح أن اللهجات العربية القديمة قد خضعت

لتواعد مختلفة فيما يتعلق باشتقاق المضارع من الماضي الثلاثي . ولعل من القبائل

من كانوا يؤثرون صيغة «فَعِلَ يَفْعَلُ»، أو لعل منها من كانوا يقولون «فَعُلَ يَفْعَلُ» إلى غير ذلك من الاحتمالات التي ستكشف عنها بحوث المستقبل .

وكل الذي نستطيع أن نؤكد هـنا ، هو أن كل لهجة كانت تخضع لقواعد خاصة بها لا تحيد عنها إلا فيما تستعيره من لهجات أخرى . وقد لاحظنا في كل ما تقدم من تغيير في بنية الكلمات أن التغيير طفيف لم يمنعنا من التعرف على أكثرها شيوعاً وأفضلها استعمالاً<sup>(١)</sup> .

---

(١) أنظر استيعاب هذا البحث في أسرار اللغة صفحة ٣٣ .

## الفصل السادس

### الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد

- ١ -

#### المترادفات

شهد القرن الرابع الهجري خلافاً بين علماء اللغة في فكرة الترادف ، منهم من ينكرون الترادف في ألقاظ اللغة ، ويلتمسون فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات لا تخلو في بعض الأحيان من التكافؤ والتعسف ، ومنهم من ينادون بالترادف أو يترفون بوقوعه في الألقاظ ، وبعض هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف ، يقولون في رأيهم إلى حد أن سمحوا بمئات الكلمات المعنى الواحد في بعض الأحيان .

وقد تلخص السيوطي في كتابه المزهر رأي هؤلاء وهؤلاء . ويبدو من كلام السيوطي أن رواة اللغة وجامعيها كانوا في القرن الثاني الهجري يسامون بقضية الترادف ولا يرونها محللاً لنزاع أو جدال ، فقد روى أن أبا زيد سأل أعرابياً : ما المحببطيني ؟ قال هو المتكأكيء ، قال أبو زيد وما المتكأكيء ؟ قال هو المتأزف ! قال وما المتأزف ؟ فسمم الأعرابي من مساءلته وقال له : أنت أحمق ! !

من هذا نرى أن عالماً جليلاً كأبي زيد الأنصاري كان لا يرى غضاضة في أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ بل كان فيما يظهر يؤمن أن الأعرابي قد يحتفظ في ذاكرته بألقاظ عدة للتعبير عن معنى واحد .

على أن بعض العلماء في أواخر القرن الثالث الهجري بدأوا يلتمسون فروقاً بين الكلمات التي عدّها من سبقوهم من المترادفات مثل « ثعلب » . ثم جاء

القرن الرابع الهجرى ونسب الجدل بين علمائه : فانتصر ابن فارس لرأى شيخه « ثعاب » وأنكر الترادف ، كذلك أنكره معه أبو على الفارسي . ولكن ابن خالويه وآخرين كانوا يؤمنون بفكرة الترادف ، ويعتزون بما جمعه من كلمات كثيرة ذات معنى واحد . وكثر بعد هذا العصر أنصار الترادف ، وإن مال بعضهم إلى الاعتدال في حصر الكلمات الترادفة . فالإمام الرازي كان يرى وجوب تقييد الترادف بعدم التباين في المعنى وبعدم الإبتاع ، فليس من الترادف : « السيف والصارم » ، لأن في الثانية زيادة في المعنى ، وليس منه « عطشان نطشان » ، لأنه لا معنى للكلمة الثانية . ولكنه مع هذا اعترف بفكرة الترادف ونعى على الاشتقاقين تعسفاتهم .

كذلك يروى أن التاج السبكي قال : لا معنى لإنكار الترادف ، والقول إن الإنسان من النسيان ، وإن البشر من البشرة . بل إن من هؤلاء المؤيدين لفكرة الترادف من قسم هذه الظاهرة إلى فرعين ، فقد ذكر السيوطي « أن ألكيا قال : هناك ألفاظ متواردة مثل : سبع وأسد وليث ، أما الترادف ففي العبارات والجل مثل : أصلح الفاسد ولمّ الشمث ورتق الفتق » .

ونحن لا يعنيننا هنا إلا البحث في الكلمات ، ولا ننظر إلا إلى ما سماه في تقسيمه بالألفاظ المتواردة ، وهي التي اصطاح معظم العلماء على تسميتها بالترادفات . وكان الأصفهاني يرى الترادف في اللهجة الواحدة ، وينكره في لهجتين مختلفتين . وهذه وجهة نظر سليمة تتجه إلى ما يتجه إليه المحدثون في نظرهم إلى الترادف .

أما هؤلاء المؤيدون لفكرة الترادف فكانوا يرون أن الاستعمال يؤيدهم ، فمثلا : « لاريب » لاتعنى شيئا أكثر من « لاشك » . وكان ابن خالويه يفخر بأنه يعرف خمسين اسما للسيف ، وعشرات في أسماء الأسد ، كما ألف لنا

الفيروز بادى كتيباً فى أسماء العسل .

أما الذين أنكروا الترادف فكانوا يفرقون بين معانى الألفاظ ، فيقولون مثلاً : [ جلس وقعد ] يختلفان بعض الاختلاف ، لأن فى « قعد » معنى ليس فى « جلس » ، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذهُ المقيم المقعد ، ثم نقول : كان مضطجماً فجلس . فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ! وكانوا يصفون تلك الكلمات الكثيرة التى قيل عنها إنها أسماء للجمل ، أو للشعبان ، أو للأسد ، أو للعسل ، بأنها صفات يلحظ فى كل منها أمر معين . تلك كانت حجة أبى على الفارسى فى جدله مع ابن خالويه ، فقد روى عن أبى على الفارسى أنه قال : [ كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسّم أبو على وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف ، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ قال أبو على هذه صفات ] .

ويروى أصحاب الترادف قصصاً وأحاديث للبرهنة على رأيهم ، منها :

١ — أن أبا هريرة لقي النبى صلعم وقد وقعت من يده السكين ، فقال له ناولنى السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذا اللفظ . فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل ذلك . ثم قال : « ألمدبة تريد ؟ » ، فقيل له نعم . فقال أو تسمى عندكم سكيناً؟ . ثم قال والله لم أكن سمعها إلا يومئذ ! . على أننا نتردد فى قبول هذه القصة لأن كلمة « السكين » وردت فى سورة يوسف وهى مكية ، أى كانت موضع مدارس وحفظ قبل الهجرة وبعدها ، ولا تغيب عن ذهن أحد من المسلمين الذين اتصلوا بالرسول وتآدبوا بأدبه . والقصة فيما يظهر قد تمت وقائعها فى المدينة لأن أبا هريرة أسلم فى السنة الثامنة للهجرة . ولا نستطيع أن نتصور أن رجلاً مثل أبى هريرة وهو من هو فى رواية الحديث ، والاتصال بالنبى ذلك الاتصال الوثيق ، لم يكن على علم بما نزل من سور مكية



كانت محفظ وتدرس ويتعبد لها بين المسلمين في المدينة .

هذا إلى أن أناهيريرة كان من « دوس » وهي بطن من قبيلة بلعارت التي عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة ، وكان أهلها على اتصال بالبيئة الحجازية قبل الإسلام ، فكيف غاب عنه مثل هذا اللفظ الشائع هناك .

٢ — كذلك يسوقون قصة أخرى أجمعت عليها كتب الأدب وهي : أن رجلا من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة ، خرج إلى ذي جدن من ملوك اليمن فاطلع إلى سطح والملك عليه . فلما رآه الملك اختبره فقال له : « ثب » يريد أقمده . فقال الرجل : ليعلم الملك أني سامع مطيع ، ثم وثب من السطح ودقت عنقه . فقال الملك ما شأنه ؟ فقالوا له : أبيت اللعن ، إن الوثب في كلام نزار الطمر « أي الوثوب إلى أسفل » . فقال الملك : ليست عريبتنا كعريبتهم ، من دخل ظفار حمر « أي من دخل مدينة ظفار اليمنية فليتكلم الحميرية ! » ويستدلون من هذا على أن « وثب وقعد » يعبران عن معنى واحد ، وتشير إليهما المعاجم على أنهما مترادفتان ! .

وهنا تبدو مبالغة أصحاب الترادف ، لأن البيئتين مختلفتان ، وشرط الترادف كما يقول الأصفهاني أن يكون في بيئة واحدة كما سنرى .

٣ — كُتِبَ النبي صلعم إلى القبائل قد اشتملت على كلمات لم تكن مألوقة بين قومه . ويتخذ أصحاب الترادف من هذه الكتب دليلا على وقوع الترادف في اللغة لأن الكلمات التي استعملها صامم كانت لها نظائر في لهجة قريش . فهي مع نظائرها تعتبر من المترادفات . ومن ذلك كتابه لوائل بن حجر أحد ملوك حمير : [ إلى الأقبال العباهلة والأرواع المشايب <sup>(١)</sup> ... الخ ] .

وعلى هدافني رأى أصحاب الترادف أو الذين ضالوا فيه ، أن الأقبال والوزراء

(١) القبر ولهجة نعيم كالوير و لهود الإسلامه . واماهلة الدين استقر مدكهم ، والأرواع الساداب ، والمشايب الأدكيا .

مترادفتان ، وأن الأرواح والسادات مترادفتان أيضاً وهكذا ... فإذا تذكرنا أن من شروط الترادف أن تنتمي الكلمات المترادفة إلى بيئة واحدة ، استطعنا بسهولة استبعاد هذا النوع من الكلمات .<sup>(٢)</sup>

### أدلة الترادف لدى المحررين:

يجمع المحذون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف في أى لغة من لغات البشر ، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة . ولكهم يشترطون شروطاً معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً :-

١ - ومما يشترطونه الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً ، على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة . ويكتفى اللغوي الحديث بالفهم العادى لمتوسطى الناس حين النظر إلى مثل هذه الكلمات . فإذا تبين لنا بدليل قوى أن العربى كان حقاً يفهم من كلمة « جلس » شيئاً لا يستفيدة من كلمة « قعد » ، قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف .

٢ - الاتحاد في البيئة اللغوية ، أى أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات . ولذلك أعجبنا برأى الأصفهاني الذى أشرنا إليه آنفاً . يجب إذن ألا نلتبس الترادف من لهجات العرب المتباينة ، فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة ، الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر في معنى واحد . يختار هذه حيناً ، ويختار تلك حيناً آخر ، وفي كلتا الحالين لا يكاد يشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول .

ولم يفتن المغالون في الترادف إلى مثل هذا الشرط ، بل اعتبروا كل اللهجات وحدة مباسكة ، وعدو كل الجزيرة العربية بيئة واحدة . ولكننا نعتبر

اللغة النموذجية الأدبية بيئة واحدة ، ونعتبر كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة .

٣ - الأتحاد في العصر : فالحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين ، وتلك هي النظرة التي يعبرون عنها بكلمة Synchronic ، لا تلك النظرة التاريخية التي تتبّع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة ، ثم تتخذ منها مترادفات ، وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها Diachronic . فإذا بحثنا عن الترادف يجب ألا نلتزمه في شعر شاعر من الجاهليين ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع إلى اليهود المسيحية مثلاً . هذا هو ما جعل ابن خالويه وأمثلة يرون للسيف ونحوه أسماء عدة . فالتنبى حين استعمل « الصارم والبتار والهندي واليماني » ، لم يكن يعمد إلى كلمة « الهندي » وفي ذهنه صفات خاصة تتصل ببيئة الهند التي صنع فيها ، ولم يكن يعمد إلى كلمة « الصارم » وفي ذهنه اعتبار آخر لا يراه في كلمة أخرى كالبتار مثلاً .

٤ - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ الآخر : فحين نقارن بين « الجئتل والجفّل » بمعنى النمل ، نلاحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلاً والأخرى تطور لها ، فإذا كان الأصل هنا هو الكلمة الأولى قلنا إن « الجفّل » صيغة حضرية نشأت في بيئة تراعى خفوت الصوت والتقايل من وضوحه ، أما إذا كانت الثانية هي الأصل رجحنا أن « الجئتل » قد نشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحاً في السمع . وسنورد فيما بعد مجموعة كبيرة من أمثال هذه الكلمات التي يعدها الحدثون مترادفات وهمية . « فالجئتل والجفّل » ليست في الحقيقة إلا كلمة واحدة . وهكذا يتبين لنا مغالاة أولئك الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات من المترادفات .

فإذا طبقت هذه الشروط على اللغة العربية ، اتضح لنا أن الترادف لا يكاد يوجد في اللهجات العربية القديمة ، وإنما يمكن أن ياتمس في اللغة النموذجية

الأدبية . ففي القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة ، والذي نطق به الرسول للمرة الأولى ، نرى الترادف في بعض ألفاظه . ولا معنى لمغالاة بعض المفسرين حين يلتصقون في كل لفظ من ألفاظه شيئاً لا يروونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى . ولا بأس هنا أن نسوق بعض الآيات الكريمة التي ترهن على وقوع الترادف في كلمات القرآن :

١ - « تالله لقد آترك الله عليا » : وأنى فضلتكم على العالمين ،

١ - حتى إذا حضر أحدكم الموت : حتى إذا جاء أحدكم الموت ،

٣ - بمث فيهم رسولا : فأرسلنا فيهم رسولا ،

٤ - البلد : القرية .

٥ - وماوهم النار وبئس مئوى الظالمين : فإن الجحيم هي المأوى .

٦ - فلا تأس على القوم الكافرين : ولا تحزن عليهم .

٨ - وأقسموا بالله جهد أيمانهم : ثم جاءوا يخلفون بالله .

٨ - فتوبوا إلى بارئكم : قل الله خالق كل شيء .

ويظهر أن السّر في إنكار الترادف ، أن أصحاب هذا الرأي كانوا من الاشتقاقيين الذين أسرفوا في إرجاع كل كلمة من كلمات اللغة إلى أصل اشتقت منه ، حتى الأسماء الجلامدة والأسماء الأجنبية عن اللغة العربية ، أبوا إلا أن يجعلوا لها أصلاً اشتقت منه . فنراه يقولون إن « إبليس » مشتق من كيت ، « جهنم » مشتقة من كذا !!!

ويقولون إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه ينسى ، وسمى الشيطان شيطاناً لسبب تلمسوه هم واخترعوه !

ولعلّ ابن دريد في كتابه الاشتقاق ، هو المسئول الأول عن هذه المدرسة ، فقد حاول إرجاع جميع أسماء القبائل والأمكنة المشهورة إلى أصل اشتقت منه أو سميت من أجله . فكان يقول إن قضاة إمام من قولهم انقضع الرجل عن أهله إذا بمد

عنهم ، أو من قولهم تقضع بطنه إذا أوجعه !!  
ثم جاء ابن فارس فبلغ بهذا الاشتقاق الذروة ، وألف معجمه الذى سماه  
مقاييس اللغة ، واضعاً نصب عينيه أن يجمع أكثر ما يمكن جمعه من كلمات يمكن  
أن تشتق لها أصول .

فإذا قلت لهم إن « التمعح والبر » كلمتان مترادفتان ، فربما قالوا لك : إن  
« التمعح » من قحمة أى استفته ، ولكن البر من أصل آخر معناه الصلة والخير !!  
هذا إلى أن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين  
يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراها  
غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ويرعونها رعاية  
كبيرة ، ينقبون عما وراء المدلولات ، ساجدين فى عالم من الخيال يصور لهم من  
دقائق المعانى وظلالها ، ما لا يدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم . وفى كل  
هذا من المبالغة والمغالاة ما يبابه اللغوى الحديث فى بحث الترادف .

فإذا أبعدت من المترادفات تلك الكلمات التى تحايل عليها من أثبتوا  
الترادف ، وخلقوا بينها مماثلة المعنى ، كما أنه إذا أبعدت تلك الكلمات التى  
لم ترد فى نص لغوى صحيح النسبة ، وجدنا أنفسنا أمام عدد مقبول من المترادفات  
فى اللغة العربية :

ويجدر هنا أن نشير إلى أهم الأسباب التى ولدت الترادف فى كلمات اللغة  
العربية ولدى علماء العربية :

(١) إيثار بعض القبائل لكلمات خاصة تشيع بينها وتكاد تكون مجهولة  
فى القبائل الأخرى ، كما لاحظنا فى الروايات التى أشرنا إليها آنفاً مثل :

١ - شلحاء = السيف عند أهل الشَّحْر .

٢ - قحح الشىء = سفه عند أهل اليمن .

٣ - نفاح المرأة روحها يمانية .

٤ — إبل صحصح بمعنى كثير عند هديل .

وتولد مثل هذه الكلمات ترادفاً في اللغة العربية على أساس أن الجريرة العربية كلها بيئة لغوية واحدة؟ أما حين نطبق عليها شروط المحدثين في الترادف فإنها تستبعد من بين الكلمات المترادفة .

(ب) استعارة كلمات من لهجة من اللهجات ، أو لغة من اللغات ، بسبب الغزو أو لهجات ، أو الاحتكاك بين القبائل ، فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة ، وفي هذه الحالة لا تتساوى نسبة الكلمتين في الشيوخ ، بل ينظر عادة إلى الكلمة المستعارة نظرة أرقى وأسمى في الاستعمال ، وذلك لأنها احدثت من قوم أرقى في الناحية الاجتماعية أو السياسية ، أو لأنها أخف على السمع وألطف في الجرس .

وقد أجمع الرواة على أن قريشاً كانت تتخير من كلمات القبائل في مواسم الحج والأسواق ، ما خف على اللسان وحسن في السمع ، حتى لطفت لهجتهم ، وحاد أسلوبهم :

كالخيزر مع السندس والاستبرق ، وكاليم مع البحر . وقد ذكر صاحب شفاء الغايل أن [ الأسطول بمعنى سفن القتال ، مما استعارته العرب وقد وقع في أشعارهم بعد العصر الأول . وأن البند بمعنى : « العلم » تكلمت به العرب قديماً . وأن « الجؤذر » معرب ، وتكلمت به العرب قديماً . ] .

هذا إلى الفردوس مع الجنة ، والصراط مع الطريق والسبيل ، قال الجاحظ في البيان والتبيين : أهل المدينة نزل فيهم ناس من الفرس فعلقوا بأقلامهم فيسمون السوق الزار .

(ج) هناك صفات تفقد عنصر الوصفية مع مرور الزمن ويصبح أسماء لا يلاحظ الكاتب أو الشاعر ما كان عليه ، ويؤدى هد إلى الترادف ونحن نلاحظ هذا بصفة خاصة ، في تلك الالامات العربية التي تعبر عن أشياء ذات

اتصال وثيق بالبيئة البدوية ، والحياة الاجتماعية فيها .  
وفما روى للجمل والسيف والعسل من كلمات عربية كثيرة ، خير شاهد  
على ماقول ، ولا سيما حين يراعى مفهومها بين الناس في عصر معين . فالسيف  
كان يمانياً وكان هندياً وكان لكل من النوعين سمات خاصة تميز هذا من ذلك ،  
ولكن مثل هذه السمات قد تنوسيت وأصبح الشاعر فيما بعد يستحل لنفسه استعمال  
كل من اليماني والمهند ، ولا يعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السيف .  
(د) من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء ، وتختلف في البعض  
الأخر ، ويمكن تشبيهها بدوائر متحدة المركز ، ومختلفة في جزء من سطوحها ،  
أو مشتركة في جزء من السطح فقط . فإذا مر عليها زمن طويل ، ودعت عوامل  
تغير المعاني أن تنطبق الدوائر بعضها على بعض ، أصبحت تلك الكلمات  
مترادفة . لأن المعاني لا تبقى على حالة واحدة ، فقد يصبح الخاص عاماً أو يصبح  
العام خاصاً .

فإذا قارنا بين الكلمة [ هلك ] في العربية ، وجدنا معناها في العبرية  
لكل نوع من الذهاب ، في حين أن معناها في العربية قد تحدد فأصبح مقصوراً  
على نوع واحد من الذهاب وهو [ الهلاك ] ، وقد أدى مثل هذا التطور إلى  
الترادف بين الموت والهلاك .

(هـ) المجازات المنسية قد تولد نوعاً من الترادف في الكلمات ، فقد تستعمل  
بعض الكلمات استعمالاً مجازياً ، يطول العهد عليه ، فيصبح حقيقة . وهنا نرى  
كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية ، جنباً إلى جنب مع تلك التي أخذت  
معانيها عن طريق المجاز .

والمعاني الأصلية الحقيقية ، هي المعاني الحسية ، التي يتفرع عنها عادة عن  
طريق المجاز ، ما يشيع من معنويات . فالرحمة مثلا قد اشتقت من [ الرحيم ]  
موضع الولد ، والمكان الذي يلد الأبناء والأحوات ، فتنشأ بهم صلة من الحب

والمطف . ففعل الرحمة في الأصل هي عملية النسل من الأرحام ، ثم استعملت في قديم الزمان عن طريق المجاز في الصلة بين الذين يولدون من رحم واحد . وقد تقدمت المهود على هذا المعنى المجازي حتى أصبح حقيقة ، وبهذا نشأ الترادف بينها وبين كلمة مثل ( الرأفة ) .

لا نريد بعد هذا أن ننساق مع بعض العلماء حين عددوا فوائد المترادفات للكاتب والشاعر والخطيب ، لأن مثل هذا البحث قد يخرجنا عما نهدف إليه في هذا الكتاب ، وإنما نريد الإشارة إلى ذلك النوع من الكلمات التي ظنها بعض العلماء من المترادفات ، في حين أن اختلاف الصورة بينها ، ليس إلا ظاهرياً ، وأنها كلمات ذات أصل واحد ، وتطورت صورتها لعامل من عوامل تطور الأصوات .

وليست هذه الكلمات بمترادفات على حسب المعنى الدقيق للترادف . وقد مثل القدماء لقليل من هذه الكلمات ، دون أن يشرحوا لنا العلاقة الصوتية بينها . لهذا قمت بجمع عشرات من تلك الكلمات ، وأوردها هنا مبوبة مع شرح العلاقة الصوتية بينها ، وكيف تطورت إلى صور متعددة .

## الشدة والرخاوة

### ١ - الهمزة والهاء :

- هلبت السماء قوم مطرتهم مطراً متتابعاً : ألبت السماء دام مطرها .
- أته بالحجة : ألت سرد الكلام ، والتهات الكثير الكلام .
- الأرّ ، رمى السلاح : هرّ سلاحه استطلق .
- الأصر العطف : المصّر عطف شيء رطب .
- أزّ : هزّ الألسي اختلاط العقل : مهتلسي العقل مساوبه ،



- الأبش الجمع : الهبش . يأش : يهش .  
أضه كسره : هضه وطئه فشدخه . أضّ كسر : هضّ .  
أراق : هراق . أزم القوم استأصلهم : هزم .  
بدهه بأمر : بدأه به . درأ الرجل خرج فجأة : دره هجم وطلع .

### ٢ — الهمزة والعين :

- بدأ الله الخلق خلقهم : بدعهم . الخباء : الخباع .  
دع الصبي خضع وذل ولؤم : الدىء . شنأه كرهه : شنيع كرهه .  
الأزر التقوية : التعزيز . ألك الفرس اللجام : علكه .  
الآثم زيتون البر . العُثم .

### ٣ — الباء والجيم :

- كبح الدابة : كبحها . الطّيبش الناس : الطمش .  
رأيته عن كئيب : رأيته عن كئيم . ثلّبه : ثلّه . اطبان : اطبان .  
المبخور : المخمور .

### ٤ — الباء والقاء :

- ناقة زفون : زبون . إفانة : إبانة . القسكل : البُسكل .

### ٥ — الضاد والقاء :

- عظّته الحرب : عضته .  
ظجّ : صاح في الحرب صياح المستغيث وبالضاد في غير الحرب .  
فاظّهات : فاضت روحه .

٦ - الدال مع الزاي أو الزاي :

ذشّ الرجل سار : دشّ . الدغدغة : الزغرغة  
فشرذ بهم : فشرذ بهم (قراءة) .

٧ - الجيم والباء :

شجرات : شيرات

٨ - التاء مع السين :

آخذ : استخذ

## الجهر والهمس

١ - الدال والتاء :

المدّ : المت .  
هرد اللحم أنعم إنضاجه أو طبخه حتى يهراً : المرّت الطبخ البالغ .  
فدغه شرحه : فتفة . فدرّ الفعل : فتر .

٢ - الذال والتاء :

مثّ الخبز نشره وفرقه : البذمن التمر المنتثر . الجثّ القطع : الجذ .  
المثّ الوعد لانية الوفاء : المذّ الكذب . تعلمم : تعلمم .  
جذوة : جنوة . جذا : جثا .

٣ — الجيم والسبن :

جزر قطع : الشرز القطع . حظه طرده : شطّ القوم طردهم .  
الجفن : شفن نظر بمؤخر عينه .

٤ — المين والحاء :

الفلح الشق وفتح الأرض شقها : فلعه شقه .  
لطحه ضربه ببطن كفه أو ضرباً ليناً على الظهر : اللطع أن تضرب مؤخر  
الإنسان برجلك .  
أمتع النهار ارتفع : متع النهار ارتفع قبل الزوال . حطب سمن : عذب  
الجوس الجوس : العوس الطوفان بالليل .  
حنشه عن الشيء عطفه : عنش . الحبكة : العبكة .

٥ — الفين والحاء :

زاغ في المنطق جار : زاخ . الخود الناعمة الراقية : الفيد .  
خرز الجلد بالحورز ثقبه : غرز الإبرة . الأخن : الأغن .  
الحنّة : الفنة .

٦ — الزاي والسبن :

الحورز الموضع الحصين : حرس الشيء . غرس : غرز .  
سبخ الدهن : زبخ . زرد الدرع : مردها .  
الزلع شقاق في ظاهر القدم وناطنه : السلع الشق في القدم .  
زفت الريح السحاب طردته واستخفته : سفت الريح التراب . الزفت : السفت .

## الاطباق والاستفال

### ١ — الصار والسين :

- الدخيس اللحم المكتنز : دخضت الجارية امتلأت شحماً .  
الرْعَس الارتعاش والانتفاض : الرعص النفص والهز وارتعص انتفض .  
الْمَغْص : المغس . ما ينبس ما يتكلم : ما ينبص .  
السَّقْب ولد الناقة : الصقب .  
سَفَح الجبل عُرْضَه المضطجع : صفح الجبل مضطجعه .  
الصراط : السراط . الصموط : السعوط .  
السَّنْط : الصنط . سلطه : صلطه . سفغ : صفع .  
صلفت الشاة : صلفت . السَّخَب : الصَّخَب . البساق : البصاق .

### ٢ — الطاء والزال :

ذاته خنقه : ظأته

### ٣ — الطاء والتاء أو الدال <sup>(١)</sup> :

- غته في الماء : غطه . هتلت السماء : هطلت .  
الفلت : الفلظ . دلغ لسانه أخرجه : طلغ .  
دحه دفعه شديداً : الطَّحوم الدفع .

(١) الطاء كما تنطق الآن هي الصوت المطبق للتاء ولكن يظهر أنه كان ينطق بها قديماً كطبطي الداه . أنظر كتاب الأصوات اللغوية صفحة ٣٣ .

## نسبة الوضوح في السمع

هناك أصوات اتحدت في الصفة ولكنها اختلفت في نسبة وضوحها في السمع وهذه الأصوات، يحل بعضها محل بعض ، كالراء مع اللام ، فإن الأولى أوضح في السمع من الثانية ، مع أن كلا منهما من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين . وكذلك السين مع الفاء ، والحاء مع الهاء ، والتاء مع الفاء .

### ١ - الراء واللام .

الرَّخْفُ الزَّيْدُ : اللَّخْفُ . رمقه لحظه : اللmq النظر .  
رَبِّكَ خَلَطَهُ : اللَّبِّكَ الْخَلَطُ . الرمز واللمز : الإشارة .  
رتب رتوباً ثبت : اللَّتْبُ اللَّزُومُ وَالثَّبَاتُ .  
الخيزرى مشية خاصة : الخيزلى . رَبَدَ أَقَامَ : لَبَدَ .  
الركود السكون : لكد عليه الوسخ لزمه . جرفه : جلفه  
رعلاً : لعل . تبرص : تهلص .

### ٢ - التاء والفاء .

جدث : جدف . الجثل التمل : الجفل .  
ثار : فار . ائجر الماء : انفجر .  
الثغر الفم : فغر الفم بابه . ثلع رأسه شدحه : الفلغ الشق .  
مغفور : مغثور . نجل عظم بطنه واسترخى وغلظ .

### ٣ - السين والفاء .

رجست السماء رعدت شديداً : رجف الرعد ترددت هدهدته في السحاب .

وارتجس البناء : رجف .

الشوس النظر بمؤخر العين تكبيراً أو تغيظاً : الشَّنْف النظر إلى الشيء  
كالعترض عليه أو كالكاره له .

الوجس الفزع : وجف يحف اضطرب خوفاً . سطح فطح .  
السلع الشق في القدم : الفلع . السحَم : الفحَم .

#### ٤ — الحاء والهاء .

التحريش بين الناس الإفساد : التهريش .

ويمكن أن نعزو معظم ماتقدم من أمثلة ، إلى الاختلاف بين البيئة البدوية  
والبيئة الحضرية ، كما أشرنا في موضعه . على أن منها ما يمكن أن يعزى إلى  
أخطاء الأطفال ، أى أنها كانت تستعمل في البيئة الواحدة ولكن في أجيال  
مختلفة منها .

أمَّا الكلمات التي سنوردها فيما بعد فهي تختلف إما في مجرى الصوت من  
الفم أو الأنف مع الاتحاد في الصفة ، أو تختلف في مخرج الصوت ، وذلك بانتقاله  
من موضعه إلى موضع آخر أيسر في النطق ولا يحتاج إلى جهد عضلي ، أو قد  
تختلف في ترتيب أصواتها .

#### اختلاف المجرى

الشتل غلاظ الأصابع : الشثن . نَعْمَل الجلد : غممه .

امتقع لونه . التقع . لعلَّ . لمنَّ .

أصيلالا : أصيلانا .

## اختلاف المخرج

### ١ - الطَّف والنَاء .

بتسكه قطعه : بتَّه . عرَّتْ أنفه ذلكة وحكه : عرك ذلكه وحكه .  
الأعفت الأحق : عِفِكَ حَمَقَ جداً .  
تخ زجر للدجاج : كخ كخ زجر للصبي .

٢ - القاف التي كان ينطق بها في الأصل كالعين<sup>(١)</sup> ، حلت الفين محلها في بعض الكلمات ، ثم همست كما نطق بها الآن فحلت الكاف محلها في بعض الكلمات :  
غم له من المال دفع له دفعة جيدة : قَم .

الغمس الفوص : القمس . قرته الأمر : كرته .  
الدك : الدق . الدعكة : الدعقة .

حزقه صغفه وشده : حزكه عصبه وضمغه .  
القُح : الكح . القهر : الكهر . القحط : الكحط .  
الفسق : الفسك .

### ٢ - السين والسين .

الرُعس : الرعش . الغبس الظلمة . الغبش .

معسه ذلكه شديداً : المعش ذلك الرقيق .

النسّ السوق والزجر : النشّ السوق الرقيق .

مهشه : أخذه بأضراسه وبالسين أخذه بأطراف أسنانه .

سئفتْ يده تشقت وتشتت ما حول الأظافر : شفتْ أصابعه تشتت

ماحول أظافرها .

## اختلاف ترتيب الأصوات

- اللجيز : الزج . جذب : جيد . ربص : رصب .  
صاعقة : صاعقة . عميق : معيق .  
لبكتُ الشيء : بلكته . سحب مكفر : ومكرب .  
اضحل : امضحل .

- ٢ -

## المشترك اللفظي

لا بد في الحديث عن اللهجات العربية من التعرض لنوع من الكلمات ، رويت لنا متحدة الصورة مختلفة المعنى . وقد تعود القدماء أن يسموا هذا النوع من الكلمات بالمشترك اللفظي ، لأن الكلمة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها ، تعبر عن أكثر من معنى واحد .

وقد عرض القدماء في مبحثهم لهذه الكلمات ، فأنكروها بعضهم ، وتناول ما ورد منها بأن جعل أحد المعنيين حقيقياً والآخر مجازياً ، وعلى رأس هذا الفريق ابن درستوريه . ولكن الكثرة من علماء اللغة ، قد ذهبوا إلى ورود المشترك اللفظي ، وضربوا له أمثلة كثيرة ، وعلى رأس هؤلاء الأصمعي ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو عبيدة ، وغيرهم . بل لقد أفرد بعض هؤلاء مؤلفات خاصة سردوا فيها أمثلة المشترك اللفظي<sup>(١)</sup> .

ويظهر أن كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه . وبعد عن جادة الصواب في عنده ، إذ لا معنى لإسكار المشترك اللفظي مع ما روى لنا في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة . لا تتطرق إليها الشك . كذلك لا معنى

(١) انظر دلالة الألفاظ ٢١٢ - ٢١٥ .



للمعلاة في رواية أمثلة له مع ما في هذا من التمسك والتكلف . ولكن كما اختلف القدماء في ورود الترادف اختلفوا أيضاً في ورود المشترك اللفظي ، وذلك لأن كل فريق قد نظر إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة ، فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة والمجاز ، قد نظروا إليها نظرة تاريخية ، وتبعوها في عصورها المختلفة ، وتلك هي الطريقة التي سميها آنفاً Diachronic . أما الآخرون فنظرتهم وصفية واقعية ، إذ بحثوا في الكلمات ومعانيها في عصر خاص ، وتلك النظرة التي سميها Synchronic .

وليس الأمر من البساطة بالقدر الذي تصوره القدماء من علماء اللغة ، إذ وقع المشترك اللفظي في كل لغة ، وقد دعت عوامل متعددة لوقوعه . فكما تتطور أصوات الكلمات وتتغير ، قد تتطور معانيها وتتغير ، مع احتفاظها بأصواتها . وتطور المعاني وتغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات ، هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة واختلفت في المعنى .

ولعل أهم عامل في تغيير المعنى هو الاستعمال المجازي ،<sup>(١)</sup> وليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازي مقصوداً متعمداً ، كما نلاحظه في بعض الأساليب الشعرية والكتابية ، بل قد يقع من عدة أفراد في البيئة اللغوية في وقت واحد . ودون مواضع أو اتفاق بينهم . فالناس في لغة تخاطبهم قد يلجأون إلى مجازات لتوضيح معانيهم وإبرازها في صورة جلية ، دون أن يعمدوا إلى هذا عمداً ، أو يرغموا في إظهار براعة في الكلام . فكما تعودوا أن يقولوا رأس الانسان ، قد يقولون أيضاً رأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيراً رأس الحكمة ! ولا يفتنون بكلمة (رأس) في كل استعمال من هذه الاستعمالات سوى الجزء الأعلى البارز من كل شيء ، وإن اختلفت هذه الأجزاء في تفاصيلها . ونحن في فهمنا لمعاني الأشياء لا نتطلب الدقائق والتفاصيل فيها ، بل سكتني عادة بفكرة سريعة ذات ارتباط بتجاربنا السالفة .

(١) انظر دلالة الألفاظ ١٢٨ - ١٣٣ .

فحين نسمع للمرة الأولى استعمالاً مثل رأس الجبل لا نحاول تحليله إلى دقائقه، وإنما نربطه ربطاً سريعاً بتجاريبنا السابقة التي منها فهمنا أن رأس الإنسان هو أعلى جزء فيه وأبرزه، فنقبل هذا الاستعمال الجديد متى كان يمت بعلاقة ما لاستعمال قديم، وهكذا تنتقل معاني الكلمات من محيط إلى آخر. وقد يكون الاستعمال الجديد من عمل فرد ممتاز في البيئة اللغوية كشاعر أو كاتب، كما قد يكون من عمل مجموعة من الناس دون مواضع أو اتفاق بينهم. وانتقال الكلمات من محيط دلالي إلى محيط آخر هو الذي اصطاح على تسميته بالمجازات. على أن المجازات تخضع عادة للذوق العام، فإذا أسرف الشاعر في مجازاته، أو غالى فيها أو بعد بها عن يئسه لم يقبلها الذوق العام: ولا تلبث أن تموت. وحين تمر الأيام على تلك المجازات، ويكثر استعمالها، لا تلبث أن تنسى الناحية المجازية فيها، وتصبح معانيها حقيقية. والبحث عن تلك المجازات المنسية أمر ليس باليسير، لأنه يتطلب التوغل في العصور التاريخية للبحث عن نصوص قديمة فيها استعملت الكلمات بشكل مجازي واضح؛ أو يتطلب البحث في تاريخ الحياة الاجتماعية لأمة من الأمم لنستطيع الوصول إلى أن المعنى الذي يبدو لنا الآن حقيقياً، كان في بدء استعماله مجازياً، لما كانت عليه تلك الأمة من تقاليد كذا وكذا. وكل تغير في الحياة الاجتماعية يستتبع تغيراً في معاني بعض الكلمات التي قد تحتفظ بصورتها، وينشأ من هذا ما نسميه بالمشارك اللفظي. فمثلاً الكلمة التي تعبر في كل اللغات الأوربية عن [الكهرباء] قد اشتقت من كلمة إغريقية قديمة كانت تعني ذلك الحجر المسمى بالكهرمان؛ وذلك لأن الكهرمان كان معروفاً منذ القدم بأنه يجذب بعض المواد الصغيرة بعد حكه. ولسنا الآن نشك في أن الكلمتين اللتين تعنيان في اللغات الأوربية كهرباء، كهرمان، من أصل إغريقي واحد، رغم أنهما عربتا بصورتين مختلفتين بعض الاختلاف.

وشرط المجاز في رأيي، أن يثير عند سماعه دهشة أو غرابة، أي يحس

السامع أو القارى أن فى استعمال الكامة بهذا المعنى أمراً غير عادى ينبعد قليلاً أو كثيراً عن مألوف الناس وفهمهم لمثل هذه الكلمة . فليس من الجازم ما يحدثنا به علماء البلاغة من أن فى قول القائل « حكمت المحكمة » مجازاً ، ولاقى « جرى النيل » ، « طلعت الشمس » ، « ركب الخاطر » ، ونحو ذلك من أساليب تنوسيت فيها الناحية المجازية ، وأصبحت من الشيوخ والدوران بحيث لا تشير فى الذهن دهشة أو غرابة .

أما حين تجمل مثل هذه التراكيب وينظر إليها النظرة التاريخية فيمكن أن يقال إنها حين استعملت للمرة الأولى — ولاندرى متى كان هذا — قد أثارت فى أذهان الناس تلك الدهشة أو الغرابة التى تتطلبها فى الجازم .

المعنى إذن لا تبقى على حال واحدة بل هى دأمة التغير ، وإن كان تغيرها بطيئاً ، يمر فى أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه ، وكما يصيب التغير بعض الأصوات دون البعض الآخر ، كذلك نرى تغير المعانى مقصوراً على بعضها دون البعض الآخر ، وذلك لتلك الظروف اللغوية الخاصة التى قد تطرأ على بعض الكلمات فقط . وكما قد تحافظ بعض الكلمات على أصواتها ولفظها ، كذلك قد تحافظ بعض الكلمات على معانيها .

أما أهم العوامل التى تسبب تغير المعانى فيمكن أن نلخصها فيما يلى :

( ١ ) الانتقال من الحقيقة إلى الجازم : وهذا هو أهم العوامل ، وإليه يمكن أن يعزى معظم اختلافات المعانى وتغيرها .

والجازمات قد تكون من عمل الأفراد الموهوبين فى شعر أو نثر ، كما قد تكون من عمل جماعة من الناس فى البيئة اللغوية . ومجازات الشعراء والكتاب حين يعمدون إليها فى أساليبهم للمرة الأولى ، تصدر منهم عمداً ، ولغاية خاصة ، أما الجازمات الأخرى فإنما يدعو إليها تغير فى الحياة الاجتماعية ، أو تقدم فى الحياة العقلية . وهنا قد ينتقل المعنى الحسى إلى مجال المعنويات .

(ب) سوء فهم المعنى : قد يسيء الطفل فهم معنى الكلمة في البيئة المنعزلة ثم ينشأ هذا الطفل دون أن يصلح له ما فهم ، فتراه يستعمل الكلمات في معنى جديد ، إن لم يكن مخالفاً للمعنى الأول كل مخالفة ؛ فلا أقل من أن نرى بين المعنيين بعض الاختلاف ؛ فتغير المعاني قد يكون من أخطاء الأجيال الناشئة .

وليس من السهل التمييز بين الكلمات التي اختلفت معانيها بسبب استعمال مجازي ، وبين تلك التي تعددت معانيها بسبب أخطاء الأطفال ، على أنه لا يمكن بوجه عام أن ننسب تغير المعاني في كلمة من الكلمات إلى عبث الأطفال حين لا نلاحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد . وحكمنا في هذه الحالة مرجح لا مؤكد ؛ لأن بعض المجازات المنسية قد نشأت في ظروف لغوية خاصة ، ومضى عليها زمن طويل فأصبح من الصعب الكشف عنها .

(ج) قد تستعير اللغة كلمات تماثل صورتها كلمات أخرى فيها ، وإن اختلف معناها . وهنا قد نرى كلمتين متحدتين في الصورة ، مختلفتين في المعنى ولكن كلا منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مستقلة . ومثل هذا النوع من الكلمات نادر وهو وليد المصادفة ، ولكنه قد يولد لنا المشترك اللفظي <sup>(١)</sup> .

« فالبرج » بمعنى الحصن قد استعارته اللغة العربية من اللغة اليونانية ، فليست بلاد العرب بيئة للحصون والأبراج ، ومع هذا تشتمل اللغة العربية على هذه المادة « برج » وتتخذها في عدة معانٍ لا تمت للحصون بصلة ما ، فهي مادة عويبة أصيلة . فإذا تصادف أن كان بين كلمات اللغة العربية كلمة مشتقة من هذه المادة للتعبير عن صفة خاصة في العين ، أو للتعبير عن الزينة والتزيين وجاءت على صيغة « البرج » . ولد هذا في اللغة ما يسمى بالمشترك اللفظي .

ويظهر أن صاحب شفاء الغليل قد فطن إلى إمكان وقوع هذه الظاهرة في لغة . بدليل قوله : [ لا يضرب المرعب كونه موافقاً للفظ عربي « كسكر » فإنه

(١) خير مثل لهذا في اللغة الإنجليزية كلمة Race بمعنى سباق من أصل جرمانى وبمعنى جنس من أصل لاتيني .

معرب وإن كان عربي المادة بمعنى أغلق . قال تعالى « سكرت أبصارنا » .  
كذلك لا يضر ما صحت عربيته موافقته لفظاً فارسياً أو قربه منه كضنك وتنك  
وجناح وكناه ] .

(د) قد يتغير معنى الكلمة في لهجة من اللهجات ، ثم يمر زمن طويل  
خلاله ينسى المعنى الأصلي ، وتلتزم تلك اللهجة استعمال هذه الكلمة في معناها  
الجديد دون سواه . وهنا نرى لهجات اللغة الواحدة تستعمل كلمات متحدة الصورة  
في معان مختلفة . ويظهر أن هذه الظاهرة قد لعبت دوراً هاماً في اللهجات العربية  
إذ تغيرت معاني بعض الكلمات في بعض اللهجات دون البعض الآخر لظروف  
لغوية خاصة . فلما جمعت اللغة خيل لجامعيها أن إحدى القبائل تستعمل هذه  
الكلمة في معنى من هذه المعاني . في حين أن قبيلة أخرى تستعملها في معنى  
آخر . والحقيقة أن معنى هذه الكلمة قد تغير في لهجة من اللهجات دون أن  
يقرأ عليه تغيير في اللهجة الأخرى .

فحين تذكر لنا المعاجم القديمة أن « الهجرس » تعني القرد في الحجاز .  
وتعبر عن الثعلب عند تميم ، لانشك في أن الكلمة كانت تطلق على أحد  
الحيوانين وحده لأن البيئة الصحراوية تناسبه ويكثر فيها أمثاله . ثم تغير هذا  
المعنى لظرف من الظروف المجهولة لنا فأصبح يعنى عند قبيلة من القبائل شيئاً  
آخر غير الشائع المألوف . ثم جاء جامعو اللغة وذكروا لنا معنيين لهذه الكلمة الواحدة .  
(هـ) هناك كلمات كانت تستعمل في الأصل مختلفة الصورة والمعنى . ثم  
تطورت صورة بعض منها حتى ماثلت البعض الآخر . وهكذا رويت لنا متحدة  
الصورة مختلفة المعنى . فاشترك الصورة في مثل هذه الكلمات لم ينشأ عن  
اشتراكها في المعنى الأصلي . وإنما نشأ عن تغير في أصوات بعضها ؛ ترتب عليه  
مماثلة في اللفظ . واختلاف أصلي في المعنى .

ونحن حين نستعرض أمثلة المشترك اللفظي . كما رويت لنا في المعاجم العربية  
ونحاول إرجاعها إلى العوامل المتقدمة . نراها من الكثرة والاضطراب في روايتها

بحيث تعي الباحث المدقق عن الحكم عليها حكماً قاطعاً . وكيف يمكن القطع فيها برأى مع جهلنا بالحياة العربية قبل الإسلام . هذا إلى أن تلك الكلمات مرت في أحقاب بعيدة ، وفي ظروف اجتماعية مجهولة ، قبل أن تروى لنا على هذه الصورة التي نشهدها في المعاجم . وكل الذي نستطيع تأكيده بصدد هذا ، أن معانيها قد تغيرت مع احتفاظها بصورتها ، أو أن صورتها قد تغيرت مع الاحتفاظ بمعانيها ، أما سبب التغيير فأمر أقرب إلى الترجيح منه إلى مرتبة اليقين .

وليس هناك ما نستدل به على تغير المعاني في بعض الكلمات خير من تلك الأخطاء الإنشائية الشائعة بين تلاميذنا ، وفي بعض صحفنا حين تستعمل بعض الكلمات في معان لم ترد في المعاجم .

وكلنا يعلم أن مدرس اللغة العربية في صراع مستمر مع تلك المعاني الجديدة لكلمات قديمة ، ينكرها حيناً ويقبلها حيناً آخر ، دون أن يعلم الظروف التي أدت إلى مثل هذا التغيير في المعنى . فقليل من التلاميذ من يستعملون كلمة مثل [ العتيد ) أو ( عيال ) في معناها الذي روته المعاجم . وقد اشتملت لغة كلامنا على كلمات كثيرة عربية الأصل ، احتفظت بصورتها فقط ، دون معناها الأصلي . وكان أسانذتنا يابون عليها استعمال « التكاتف » بمعنى التعاون ، ويرفضون قبول « كرس حياته لكذا » ، كما علمونا أن الثوب المهلهل هو الرقيق النسج الذي يكاد يشف عما تحته ، وليس الخلق المرزق كما قد يتبادر لبعض الأذهان . هذا إلى ما شاع في لهجات كلامنا الآن من استعمال « السبع » مقصوراً على الأسد ، وبصيّبص بمعنى نظر ، والتبجّح بمعنى المغالاة في الجرأة مع وقاحة واستهتار ، وطبّ عليه أي فاجأه ، وباش يبوش أي ذاب .

بقى أن نلقى نظرة سريعة في بطون المعاجم اللغوية لنتلقت منها بعض الأمثلة العربية التي توضح لنا اضطراب الرواية في معاني الكلمات وصعوبة الكشف عن العلاقة بينها :

١ — فالليث من معانيه : الأسد ، وضرب من العنكبوت ، واللسن البليغ !! فكيف عبرت هذه الكلمة عن كل هذه المعاني ، وما هي الظروف اللغوية التي ترتب عليها مثل هذا الاختلاف ؟؟

٢ — وما العلاقة بين المعاني التي رويت لكلمة الفخّت : ضوء القمر ، نشل الطباخ الفِدرَة من القدرة ، ثقب مستديرة في السقف ! ؟

٣ — وكيف عبر بكلمة ( البلد ) عن :

مكة ، كل قطعة من الأرض مستحيرة عامرة ، التراب القبر ، الدار ، الأثر ! ؟

٤ — وكيف التقت المعاني الآتية في كلمة النجم ؟

الكواكب . نبات نجم على غير ساق ، الوقت المضروب والأصل الخ ! غير أننا نلاحظ العلاقة واضحة جلية بين معاني بعض الكلمات مثل :

١ — الجبل : ما علا من الأرض . سيد القوم . عالمهم .

٢ — التفاحتان : رموس الفخذين في الوركين .

٣ — العنبة : بثرة تخرج بالإنسان .

والذي نلاحظه بصفة عامة أن كثيراً من الكلمات التي تسمى بالمشترك اللفظي تجمع بين معنيين . أحدهما حسي والآخر معنوي . ولا شك أن المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسي ، وأن المعنوي فرع عنه بطريق المجاز .

وقد عنى الزمخشري في معجمه أساس البلاغة بتبيان المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات ، ولكنه لم يوفق في كل حالة ، فقد ضل الطريق حين حاول اشتقاق معنى حسي ، من آخر معنوي ، مع أن الذي أجمع عليه المحدثون من علماء اللغات هو أن المعاني الحسية أسبق في الوجود . وأجدر بأن تمد المعاني الحقيقية . وغيرها فروع لها عن طريق المجاز . وقد وقع في نفس الزلل بعض الرواة المشهورين مثل : أبي عمرو بن العلاء حين روى قصة اشتقاق الخليل من الخيلاء . وقال لصاحبه

مؤيداً هذا الزعم ألا تراه يمشى العِرضنة ؟

وليت شعري كيف يمكن هذا مع أن الناس قد عرفوا الخليل قبل أن يعرفوا الخيلاء ! فإذا صح أن هناك علاقة بين الخليل والخيلاء . فالأولى أن يقال إن الخيلاء من الخليل لا العكس .

ولا بأس هنا أن نورد بعض الأمثلة التي وردت في أساس البلاغة . لنؤيد ما نذهب إليه من أن المعاني الحسية ، أسبق في الوجود ، وأنها مصدر الاشتقاق لغيرها من الكلمات : -

١ - ألبن مشتق من الجبّانة والجبّان أى الصحراء .

٢ - جثم الطائر مشتق من الجثمان .

٣ - دبح بمعنى زين مشتق من الديباج .

٤ - جدثوه غيبوه في الجدث .

٥ - خيم الظلام من الخيمة .

ولهذا لا تتجنى على اللغة حين نرجح أن معظم المعنويات التي لا ندرك لها مصدر اشتقاق ، والتي تبدو لأول وهلة حقيقية المعاني ، ليست في الحقيقة إلا مجازات منسية .

على أن البحث والتنقيب يوقفنا في معظم الأحيان على المعاني الحقيقية الأصلية لتلك المعنويات فانظر مثلاً :

١ - الرطانة وهي العجمة في النطق قد اشتقت أصلاً من معنى حسي هو :

إذا كثرت الإبل وكانت رفاقاً ومعها أهلها فتسمى الرطانة . والعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي هي الجلبة مع الإبهام .

٢ - وكذلك البطلان التي منها الباطل ضد الحق جاءت من كلمة الباطل

بمعنى إبليس . وقد ورد المعنى الأصلي في القرآن الكريم ( وما يبدىء الباطل وما يعيد ) .



٣ — الطمع في الأصل معناه رزق الجند.

٤ — السفاهة في الأصل من سفهت الطعنة أسرع منها الدم وجف .

ولكن حين يسائل المرء نفسه عن المعاني الأصلية للجوع والعطش والرعب والفرح ، لا يكاد يعثر على معان حسية تعدّ مصادر الاشتقاق لها . ولعلّ هذا لأن مثل تلك المعنويات قديمة بعيدة القدم ، ولا سبيل إلى التوغل في تاريخ الإنسان لتعرف كيف عرف الجوع والعطش ، أو الخوف والفرح أول الأمر ، وكيف بدأ يشتق كلمات تعبر عنها ؟

وقد يكون من العبث أن نسرف معنا في ذكر أمثلة لما يسمى بالمشترك اللفظي ، لأن المعاجم العربية قد ملئت بها ، ومن اليسير الوصول إليها بمجرد الكشف في القواميس ، ومن اليسير أيضاً إرجاع تلك الأمثلة التي يعثر عليها إلى عامل من العوامل الآتفة الذكر .

غير أنا سنغني هنا بالعامل الأخير من عوامل المشترك اللفظي ، لأن القدمات لم يثيروا إليه ، أو لم يفظنوا الإمكان حدوثه ، وهو أن بعض الكلمات لم تشترك في اللفظ إلا بعد تطور في أصوات بعضها ، وأن هذا الاشتراك في اللفظ لم يكن في الحقيقة إلا وليد المصادفة ، فانظر مثلاً إلى الكلمات الآتية :

١ — روت المعاجم أن [التغَب] لها معنيان غير ظاهري العلاقة، وهما الوسخ والدرن ، والقحط والجوع . ثم في موضع آخر نجد أن «السغَب» معناه الجوع ! ويظهر أن كلمة «السغَب» قد تطورت في لهجة من اللهجات ، ولظرف من الظروف الخاصة ، حتى أصبحت [التغَب] من المشترك اللفظي . وقد يستأنس لهذا الرأي بما روى عن بعض قبائل اليمن من ميلها إلى قلب السين تاء، فيقولون (النات) بدلا من [الناس] . فلعل كلمة (السغَب) قد نطق بها في القبائل اليمنية (التغَب) ، مع احتفاظها بمعناها وهو الجوع ، ثم جاء جامعو المعاجم ونسبوا معنيين مختلفين لكلمة (التغَب) ، وعدوها من المشترك اللفظي .

٢ — حربه حرباً سلبه ماله ، وحرب حرباً اشتد غضبه ، وعلى هذا فكلمة

( الحرب ) من المشترك اللفظي في رأى أصحاب القواميس !

والحقيقة أن المعنى الأول لهذه الكلمة هو نفس معنى الفعل [ حرمه ] فلما

١ بت الميم « باء » في لهجة من اللهجات العربية كلهجة مازن مثلاً ، التبس الفعل

( حرمه ) بمعنى سلبه ، بالفعل حرب حرب بمعنى اشتد غضبه .

٣ — « قطب » زوى ما بين عينيهِ وكلح كقطب ، والشئ قطعهُ ! فحل

نلاحظ علاقة ما بين التقطيب في الوجه وقطع الشئ ؟ اللهم لا ! على أن أصحاب

المعاجم قد عدوا هذا من المشترك اللفظي ، ولو أنهم رجعوا إلى الفعل ( قطم )

لأوه بمعنى قطع ، ولما قبلت الميم منه إلى « باء » ، ظهر لهم فعل ظنوه جديداً

وهو ( قطب ) بمعنى قطع ، ونسبوا له الاشتراك اللفظي .

٤ — جاء في مادة [ سحب ] أن لهذا الفعل معنيين هما :

( أ ) جرّه على وجه الأرض .

( ب ) أكل وشرب أكلاً شديداً .

فهل هنا علاقة ظاهرة بين المعنيين بحيث نقول أن أحدهما فرع عن الآخر ؟

أليس الأصوب أن نبحث عن المعنى الثانى في مادة ( زعب ) التي فيها ( تزعب )

في أكله وشربه أكثر ، فلما همست الزاى والعين أصبحتا سينا وحاء ؟

وهكذا التبس لفظ الفعلين ، وحسب القدماء الفعل ( سحب ) من المشترك اللفظي .

٥ — وقد خلطت المعاجم بين مادتي ( لزب ) و ( لسب ) فنسبت لكل

منهما معنيين هما : اللصوق ولدغ العقرب أو الحية : فقد جاء في قاموس المحيط

اللزوب : اللصوق ، لزبته العقرب لدغته ، لسب به لصق ، لسبته الحية لدغته !!

وكان الأولى أن ينسب أحد المعنيين إلى المادة الأولى ، والمعنى الثانى إلى المادة

الأخرى . ولا يمكن التطور الصوتي في إحدى اللادتين وذلك بهمس الزاى لتصبح

سيناً ، أو بجر السين لتصبح زايًا. قد أوقع القدماء في اللبس ، وجعلهم يخلطون بين معنيين بعيدى العلاقة .

٦ — أليس من الإسراف والمغالاة أن نجارى المعاجم العربية فنقول إن مادة ( نسب ) من المشترك اللفظى لأن من معانيها : نسبة ذكر نسبه . وأنسبت الريح اشتدت ؟ فى حين أنا نرى فى موضع آخر [ أنشبت الريح اشتدت ] ! أو ليس الأقرب إلى الصواب أن نقول إن التطور الصوتى فى الفعل ( أنشبت الريح ) ، قد أدى إلى قلب الشين سيناً ، فالتبس الأمر على جامعى اللغة ؟

٧ — الخبث : المتسع من بطون الأرض ، والخبث الحقير ! هذا هو مارواه صاحب قاموس المحيط . ولعمري كيف استباح انفسه أن ينسب لهذه الكلمة شيئاً من ظاهرة الاشتراك اللفظى مع وجود كلمة (الخبث) بالثناء وشهرتها، واحتمال قلب التاء إلى التاء مما أدى إلى اللبس بين المادتين .

٨ — الحث : الشديد ، اليوم الحار ، والخالص !

قد يعدّ بعض الناس مثل هذه الكلمة من المشترك اللفظى دون علاقة واضحة بين هذه المعانى ، فى حين أننا نعلم أن كلمة (البحث) معناها الخالص ، وأن قلب الباء منها إلى ميم ، قد أدى إلى نسبة معنى الخالص إلى ( الحث ) ، مع ما لها من معان أخرى .

٩ — فحث عنه كنع فخص ، والفحّ حية عظيمة لا تؤذى !

فليت شعري ما العلاقة بين هذين المعنيين حتى نجعلهما من مشتقات مادة واحدة؟ أليس الأجدر أن نقول إن المعنى الأول متفرع عن الفعل ( بحث عنه ) ؟ فلما قلبت الباء إلى الفاء ، وكلاهما من الأصوات الشفوية ، أدى هذا إلى اللبس بين المادتين ؟

تلك هى أمثلة قليلة ، أردنا أن نوردّها لتوضيح ما نعى من أن ظاهرة

الاشتراك اللفظي ، قد تكون في بعض الأحيان نتيجة تطور صوتي في بعض الكلمات .

ولا شك أن الباحث في بطون المعاجم العربية سيعثر على مئات من أمثال تلك التي أوردناها هنا .

## التضاد

لا يتم الحديث عن المشترك اللفظي إلا بالتمرض لتلك الكلمات التي رويت لنا متضادة المعاني، والتي اصطاح القدماء على تسميتها بالأضداد . وأشهر من عنى بتلك الكلمات وجمعها بين مؤلفي العرب ، هو ابن الأنباري في كتاب له سماه الأضداد ، أحصى فيه ما ينيف على أربعائة كلمة ، ولكنه تمسك في اختياره، وتناول كثيراً من معاني الكلمات .

ويجدر بنا أن نسوق بعض الأمثلة التي وردت في كتاب ابن الأنباري، ومنها نرى إلى أي حد بلغ التكلف والتعسف بالمؤلف ليجعل منها كلمات متضادة .

١ — يذكر ابن الأنباري أن « عسوس الليل » معناه أقبل أو أدبر !! ثم يسوق بعض الشواهد الشعرية للبرهنة على ما يقول ، وليس من بين هذه الشواهد ما هو منسوب لصاحبه إلا بيتان أحدهما لامرئ القيس والآخر لعلمقة ابن قرط . على أن الفراء قد وصف ما نسب لامرئ القيس بأنه موضوع مصنوع ، أما بيت علمقة فمعنى « عسوس » فيه هو أدبر ، إذ قال :

حتى إذا أصبح لها تنفسا وأنجاب عنها ليلها وعسوسا

فإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وجدنا الكلمة قد وردت فيه مرة واحدة ومعناها في الآية هو « أدبر » فقط ، قال تعالى : [ والليل إذا عسوس ، والصبح إذا تنفس ] .

٢ - يزعم ابن الأنباري أن « الندّ » معناه المثل والضدّ ، وقد حاول أن يفسر « أندادا » في القرآن الكريم على المعنيين ، وفي هذا من التكلف ما فيه ، ذلك لأن الآيات القرآنية لا تحتل إلا معنى واحداً ، قال تعالى :  
« فلا تجملوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » .

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » .  
وما رواه من شعر منسوب للبيد ولحسان ، لا يستفاد منه إلا معنى واحد  
لكلمة الندّ « وهو المثل . قال لبيد :

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعل  
وقال حسان بن ثابت :

أتهجوه ولست له بندّ فشرّ كما لخير كما الفداء

٣ - أليس من التكلف والتعسف أن تجعل « الإسرار » بمعنى الإظهار ، كما يقول ابن الأنباري ، مفسراً الآيتين الكرّيمتين : [ وأسروا النجوى الذين ظلموا ] ، [ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب ] على هذا المعنى ! ؟  
إن الآيات الأخرى التي وردت بالقرآن مشتملة على هذه الكلمة لا تحتل إلا معنى واحداً وهو ضد الإظهار :

« ثم إنى أعلنت لهم وأسرت لهم إسراراً » .

« فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم » .

« والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

إلى غير ذلك من آيات كثيرة .

٤ - نرف أن المعنى الشائع لكلمة « البين » هو الفراق ، ولكن ابن الأنباري يزعم أن لها معنى آخر هو الوصل ، ويستشهد على هذا بقراءة من قرأ :  
« لقد تقطع بينكم ! » ولكن القراءة المألوفة والمشهورة هي « لقد تقطع بينكم »  
أى ما بينكم من صلة ، فلا تحتل الكلمة تضاداً أو ما يشبه التضاد .

٥ — المشهور في معنى « عفا المكان » هو درس ونسى أمره . ولكن ابن الأنباري يتصور لها معنى ضدياً بجانب المعنى الأصلي ، ويستشهد بقوله تعالى : « ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء . » ويفسر « حتى عفوا » هنا قائلاً : أى كثروا !

ويظهر والله أعلم أن المعنى : حتى اندرس أمرهم ونسى ، وحينئذ لا تضاد . أما حديث ( أن تحفى الشوارب وتعفى اللحي ) فليس معنى إعفاء اللحي تكثير شعرها كما يزعم ابن الأنباري ، وإنما يكون بتركها وإعفاءها من الإحفاء والقص .  
٦ — حتى الكلمات المصحفة يتخذ منها ابن الأنباري كلمات متضادة ، فيقول : إن « سمل » لها معنيان : أصاح بين القوم وفقاً عين فلان !! ويظهر أن « سمل » بمعنى أصاح بين القوم ليست في الحقيقة إلا « شمل » بالشين ، وقد جاءت إلى المؤلف مصحفة في شاهد من الشواهد .

كذلك قوله في « برد » بمعنى سخن مستشهداً بقول الشاعر :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا برديه تصادفيه سخينا

ورواية البيت يجب أن تكون :

عافت الشرب في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

٧ — مادة « قسط » تفيد معنى العدل ، وقد استعملت في القرآن الكريم

أكثر من عشرين مرة ومشتقاتها بهذا المعنى . ولكنها استعملت اسم فاعل من الثلاثي في سورة الجن للتعبير عن معنى مضاد للعدل ، قال تعالى :

« وأتانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما

القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . »

على أن القرآن قد ورد فيه آيتان في كل منهما « أقسط » بمعنى أعدل :

« ذلكم أقسط عند الله وأقوم » ، « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله . »

وأفضل التفصيل لا يكون إلا من الثلاثي ، فكيف تأتى أن يقول اللغويون

إن الثلاثي من هذه المادة لا يبيد معنى العدل !  
ويظهر والله أعلم أن استعمال « القاسطين » بمعنى الظالمين ، ليس إلتادباً  
في الخطاب أمام الله ، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه وتعالى . ويمكن أن  
تؤول الشواهد التي ساقها المؤلف للبرهنة على أن « قسط » بمعنى « ظلم » على  
هذا النحو من التأويل ، فمن بينها « قسطوا على النعمان » ، ومقام الكلام  
عن علاقتهم بملك عظيم كالنعمان يقتضى هذا الاستعمال .

٨ - وأخيراً يقال لنا إن « الجلل » معناه العظيم والقليل ، ويستشهد عادة

للبرهنة على هذا بقول الشاعر :

كل شيء ما خلا الموت جليلٌ      والفتى يسمى ويليه الأملُ  
فالمعنى هنا : قليل حقير .

ويقول الآخر :

قومي همو قتلوا أميم أخي      فإذا رميت يصيبني سهمي  
فلئن عفوت لأعفون جلالاً      ولئن سطوت لأوهن عظمي

فدل الكلام على أنه أراد فلئن عفوت لأعفون عفواً عظيماً لأن الإنسان

لا يفخر بصفحة عن ذنب صغير !

ولكننا حين نتأمل الظرف الذي قيل فيه هذان البيتان وما اكتنف قولهما  
من ملا بسات ، نرى أن الشاعر يريد أن يعتبر العفو عن قتل أخيه أمراً بسيطاً  
إذا قيس بما سترتب على وقوع الشحنة بين قومه ، من حرب أهلية توهنهم جميعاً  
وتذهب بقوتهم .

أما ابن سيده والسيوطي فقد اعتدلا في اختيار الأضداد ، ولم يسرفا في  
تمس العلاقة بين الكلمات ، فجاء ما أحصياه نحواً من مائة كلمة .

والصدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من  
أية علاقة أخرى . فجرد ذكر معنى من المعاني ، يدعو ضد هذا للفتى إلى الذهن ،

ولا سيما بين الألوان. فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد . فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني . فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما ، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين ، لأن استحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر . فالتضاد فرع من المشترك اللفظي ، وعوامل تكوّن المشترك اللفظي في اللغات وقد أشرنا إليها آنفاً ، تصلح أيضاً أن تكون عوامل الأضداد . فكلمة « الماجد » معناها النائم والساهر ، وجاء في القرآن الكريم « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » ، ولا يحتمل الفعل هنا إلا معنى واحداً وهو السهر ، غير أنه قد روى لنا أن المرقش يقول :

سرى ليلا خيال من سلمي فأرقتي وأصحابي هجودُ

فمعنى هجود في شعر المرقش هو « نيام » لا نزاع في هذا . فكيف نفسر وقوع هذا التضاد إلا عن طريق الأخطاء التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة . فقد كان للكلمة معنى واحد . ولكن لقلّة شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر ، ونما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ ، ثم أصبح معترفاً به في اللغة النموذجية الأدبية ، فاستعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى ، واستعملها المرقش بمعنى مضاد المعنى الأصلي . وقد تم مثل هذا التطور في عصور الجاهلية قبل نشأة اللغة النموذجية وازدهارها . غير أنه من الممكن أن يضاف إلى تلك العوامل ما يأتي :

(١) التطير :

إن غريزة التفاؤل والتشاؤم من غرائز الإنسان التي تسيطر على عاداته في التعبير إلى حد كبير . فإذا شاء المرء التعبير عن معنى سيء . تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة به ، وفر منها إلى غيرها . فجميع الكلمات التي تعبر عن الموت



والأمراض ، والمصائب والكوارث ، يفر منها الإنسان ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى ، قريبة إلى الخير . وأوضح ما تكون هذه العريضة بين النساء وفي الأوساط التي نالت حظاً ضئيلاً من الثقافة . وأقرب المعاني إلى كلمات التشاؤم ، هي أصدادها من كلمات التفاؤل . لهذا عبّر في اللغة العربية عن الأسود بالأبيض ، تجنباً لذكر لفظ السواد ، وعبّر عن المكان المحفوف بالمخاطر ، بالمفازة . ومن ذلك ما جاء في اللسان من أن [ العبد الكثير عند تميم والقليل عند بكر بن وائل ] . ولا تختص بهذا قبيلة دون أخرى ، بل قد يجوز أن تعبر اللهجة الواحدة بلفظ واحد أساسه الخير ، عن الخير والشر . ويتوقف الأمر على قوة غريزة التطهير بين أفراد القبيلة ، وما أصابوه من ثقافة .

### (ب) التهكم :

ويلحظ هذا بصفة خاصة بين الشباب ، فهم لرغبتهم في الخروج عن القواعد المألوفة في التعبير ، وحبهم للتجديد في الكلام ، وإظهار مهارتهم في تخيير الكلمات ، يلجأون أحياناً إلى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة ، هازئين ساخرين . ويغلب أن يكون هذا النوع من التعبير بين الخاصة من الناس ، القادرين على التفنن في القول ، وعلى كل حال يؤدي آخر الأمر إلى وقوع كلمات متضادة المعنى . ويعزى إلى هذه الظاهرة ، وقوع كلمات متضادة مثل ( القشيب ) التي تعبر عن « الجديد » في غالب الأحيان ، وعن « الخلق » في القليل من الأحيان ، ومثل يا « عاقل » التي قد تقال للمجنون ، وكلمة « سليم » التي قد تقال لللدوغ ، وكذلك « لقت » الشيء بمعنى كتبت في لهجة عقيل ، وبمعنى محوته عند قبائل قيس .

ولاشك أن عاملي التطهير والتهكم مرتبطان أحدهما بالآخر بعض الارتباط ، وأن التضاد في معنى الكلمة قد يفسر تبعاً لعامل التطهير مرة ، ويفسر تبعاً لعامل

( ١٤ م - الهجيات )

التهم مرة أخرى ، لأن الظروف الاجتماعية التي مهدت لتطور معاني الكلمات ، كثيرة ومعقدة ، وليس من السهل تعيين الملابس التي اكتنفت هذا التطور في كل الحالات فمثلاً :

١ - يقول ابن الأنباري إن « المسجور » معناه الملوء والفارغ . وقد استعملت هذه المادة في القرآن الكريم مرتين وفي كل منهما كان معناها الامتلاء ، قال تعالى :

( وإذا البحار سجرت ) ٢ ( والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ) . ويظهر أن المعنى الأصلي هو الملوء ، ثم اتخذت الكلمة للتعبير عن الفارغ تقادياً لذكر ما يشير إلى الفراغ وانقطاع الخير ، مما يؤدي إلى الحاجة والموز . ولنا في الاستعمال العامي حين ينادى عمال المقاهي قائلين ( خذ المليون ) ، ما يوضح هذا بجلاء .

ومع هذا فقد يكون مبعث استعمال الملوء في الفارغ ، التهم والسخرية .

٢ - ويمكن أن يقال مثل هذا في ( الناقة الحافل ) التي قيل لنا عنها إنها تستعمل إذا ذهب اللبن من ضرعها فلم يبق منه إلا اليسير ، وكذلك إذا امتلأ ضرعها باللبن . ويبدو أن المعنى الأصلي هو امتلاء الضرع باللبن ، وأن ( الناقة الحافل ) حين تستعمل في القليلة اللبن ، تهدف إلى التفاؤل والتماس الخير . على أنه من الممكن أن نعكس الأمر ونقول إن المعنى الأصلي المشهور هو قلة اللبن ، ثم استعمل في كثرة اللبن درءاً للعين ومنعاً للحسد . وقد كان العرب يصفون الفرس أحياناً بأنها شوهاء مع أنها في الواقع جميلة . ويشبه هذا ما نسمعه أحياناً من أفواه العامة حين يتجنبون وصف الطفلة بالجمال خوفاً من الحسد فيقولون ( يابت يا وحشة ! ) .

٣ - استعمل الفعل ( عزّر ) في القرآن الكريم ثلاث مرات بمعنى يناصر ويقوى ويؤيد ، ومع هذا فيستعمل الفقهاء مصدر هذا الفعل وهو

« التمزيق » كنوع من العقوبة . ويظهر أن معنى الفقهاء أحدث، وهو من قبيل التفاؤل ، ومثله استعمال كلمة « التأديب » في العقاب . وذلك لأن من فلسفة العقوبة أن تعد نوعاً من التهذيب والتأديب لا الانتقام أو الشماتة ، فكأن في العقاب طريقاً لنصرة المرء على نفسه الأمانة بالسوء ، وفيه مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، وفي هذا من النصرة والتأييد ما فيه .

٤ - ثبت المعجم لكلمة « المولى » عدة معان منها : السيد والعبد وابن العم والحليف والجار والصحير . . . إلخ .

ولذلك نشهد في هذه الكلمة مثلاً طيباً لتطور المعنى إذ يظهر أن المعنى الأصلي لهذه الكلمة هو السيد المنتعم صاحب الفضل ، ثم أطلق على العبد المخلص المتفاني في خدمة سيده ، وذلك من قبيل التفاؤل والفرار من وصف العبد المخلص بصفة خسيصة قد يشتم منها الرق والعبودية .

ولاشك أن العرب في الجاهلية والإسلام كانوا يفرقون بين العبيد والموالي في معاملتهم والنظرة إليهم . ولسنا نعلم نصاً قديماً استعمل فيه كلمة « المولى » في مجال الذم أو الخط من قدره .

ثم تفرع من معنى السيد ، تلك المعاني الأخرى كإبن العم الذي هو عصبية ومصدر نفوذ وقوة في الأسرة ، وتفرع عن فكرة الخادم المخلص للسوء به في بعض الأحيان إلى مرتبة الحليف والجار والصحير .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة « المولى » بمعنى السيد فقط ، ولكنه استعمل الجمع « الموالى » بمعنى التابعين الملحقين بالمرء من إماء وحلفاء .

(ج) الإبراهيم في المعنى الأصولي وعمومه :

قد يؤدي إلى التضاد أن المعنى الأصلي للكلمة يكون عاماً غير محدود ، ثم يتحدد معناه مع الزمن ، ولكن في تطوره وتحدد معناه قد يتخذ طرفين متضادين ،

ويترتب على هذا أن نجد الكلمة الواحدة يتخصص معناها في لهجة من اللهجات بشكل خاص يضاد الشكل الذي اتخذته الكلمة في لهجة أخرى .  
وخير مثل لهذا قصة الملك الذي قال للأعرابي « ثب » يريد اجلس ، فوثب الأعرابي ودق عنقه لأنه لم يكن يعرف معنى « لوثب » إلا طفر .  
فالتضاد هنا بين « وثب » في لهجة أهل الشمال ، ومعناها في لهجة حمير ، نشأ عن تحدد المعنى وتخصصه بشكل خاص في كل لهجة . والكلمة العبرية التي تناظر الفعل (وثب) هي « يشب » ، وإيس لها إلا معنى واحد ، وهو جلس أو أقام ، فلعل المعنى العام الذي كانت تدل عليه هذه الكلمة في السامية الأم ، هو الانتقال من حال إلى حال ، وتغير الوضع .

وقد تخصص هذا المعنى العام في اللهجات الشمالية فأصبح يعبر عن القفز ، في حين أنه أصبح يعبر عن الجلوس في غيرها من اللهجات .  
ولعل كلمة « السدفة » التي روى أنها كانت تعبر عن الظلمة في لهجة تميم ، وعن الضوء بين قبائل قيس ، كانت شيئاً من هذا . فقد كان معناها العام أن تعبر عن حالة بين الظلمة والنور ، ثم تحدد معناها في تلك اللهجات فأدى إلى التضاد .  
ومن الكلمات المشهورة التي كان لها معنى عام ثم تخصص في بيئتين مختلفتين فأتخذت في البيئة الأولى معنى خاصاً ، وفي البيئة الثانية معنى مضاداً لذلك الذي شاع عند أبناء البيئة الأولى :

١ - « الصريم » يعنى الليل والنهار ، لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ، فأصل المعنيين واحد وهو القطع والفصل .

٢ - « القرء » بمعنى الطاهر عند أهل الحجاز ، والحيض عند أهل العراق .  
وقد بنى الفقهاء أحكاماً مختلفة تبعاً لاختلاف المعنى ، مما هو مشهور في كتب الفقه .  
ويظهر أن المعنى العام للكلمة هو « الوقت » ، ثم تخصصت في البيئتين على معنيين مختلفين . ومن هذا المعنى العام اشتق « القرأة » بمعنى وقت المرض

فيقال للمسافر: « ذهب عنه الحجاز أو قرته » ، أى تبين أنه خالٍ من مرض الحجاز ، وقد قدروا هذه المدة بنحو ١٥ يوماً .

٣ - يثبت معظم اللغويين للفعلين « باع واشترى » معنى التضاد ، فيقولون إن « باع » قد تستعمل بمعنى اشترى ، وإن اشترى قد تستعمل بمعنى باع .  
والحقيقة أن هذين الفعلين من الكلمات المترادفة ، وأصل معناهما «المبادأة» ، وهو معنى عام ينطبق على الشراء والبيع ، ثم تحدد المعنى مع الزمن لكل من الفعلين ، فقلب استعمال الشراء في معناه المألوف ، والبيع في ضد هذا المعنى .  
ويمكن أن نفسر الشواهد التي يشتم منها أن « باع » بمعنى اشترى ، وأن اشترى بمعنى باع ، على هذا المعنى العام الأصلي . ويتضح لنا رجحان هذا الرأي حين نذكر طريقة البيع والشراء عند العرب القدماء ، فلم تكن على الصورة التي نألفها الآن في غالب الأحيان .

ولسنا بحاجة إلى كثير من التأويل أو التخريج حين نقصر « باع » على المعنى المعبود لنا ، واشترى على ضد هذا المعنى ، في جميع الآيات القرآنية التي ورد فيها هذان الفعلان ، وليس هناك من صعوبة حين نفسر تلك الآيات على هذا الأساس .

هذا ولا ننسى أن للمصادفة دخلاً في تكون بعض الأضداد ، فقد يترتب على التطور الصوتي في كلمة ما ، أن تصبح مماثلة في لفظها لكلمة أخرى مضادة في المعنى . فكلمة ( الجون ) التي تعبر عن الأبيض ، قد انحدرت من أصلين لإعلاقة بينهما ، إذ يظهر أن ( الجون ) التي تعبر عن السواد ، قد اشتقت أولاً من الفعل ( جن ) بمعنى ستر ، وهو الذي يستعمل في مثل ( جن الليل ) أى أظلم فهذه المادة تعبر أساسياً عن معنى الظلمة . ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل المخالفة ( Dissimilation ) فقلب أحد النونين إلى صوت مشابه وهو الواو (١) .

وبذلك التيسر الجون المنحدر من مادة « جن » ، بلجون التي تعبر أصلاً عن النور .

وانظر أيضاً إلى كلمة ( أ كمت ) التي روت المعاجم أنها تعبر عن معنيين متضادين هما : انطلق مسرعاً ، وقعدا

ويظهر أن تطور الفعل « قعد » في أصواته بأن انتقل مخرج القاف إلى الأمام قليلاً ، فصادف مخرج الكاف ، وبأن همست الدال فأصبحت تاء . كل هذا أدى إلى أن صار الفعل ( قعد ) ( كمت ) ، دون تغير في معناه ، ثم التيسر هذا الفعل بفعل آخر من أصل مختلف وهو ( أ كمت ) بمعنى انطلق مسرعاً (١) .

وبما يبرهن على أن التطور الصوتي قد يوقع اللغويين في اللبس ، ويجعل بعضهم ينسب للكلمات التضاد في المعنى ، ما ذكره ابن الأنباري من أن « القانع » معناه الراضى بما هو فيه والسائل المحتاج ، ثم يحتج بقوله تعالى :

« وأطمعوا القانع والمعتر » مفسراً القانع هنا بالسائل ا

ويظهر والله أعلم أن معنى الآية : أطمعوا من لا يسأل حياء منه ، لأنه قنع بما هو عليه وما قسم له ، وأطمعوا أيضاً من يسأل بتلميح دون تصريح وهو المعتر .

أما ما يذكره اللغويون من تفرقة بين القنوع والقناعة ، مؤكدين لنا أن الأولى تعنى الخضوع ، والثانية تعنى رضا المرء بما قسم له ، فليس له من سبب

سوى التطور الصوتي في مادة « خنع » إلى « كنع » أى أن الصوت الرخو وهو انحاء قد تطور إلى نظيره الشديد وهو الكفاف في بيئة بدوية . ثم جاء جامعو

اللغة وذكروا لنا أن كلا من « خنع » و « كنع » يفيدذل وخضع . ومصدر « كنع » هو « الكنوع » بمعنى الذلة والخضوع . ثم اختلط الأمر بين القاف

(١) انظر مقالا مسبقاً من الأضداد للدكتور منصور فهمى صفحة ٢٨٨ الجزء الثانى

والكاف . وترتب على هذا اختلاط الفعلين «قنع» ، «كنع» ، والحقيقة أن مصدر «قنع» هو القناعة ، ومصدر «كنع» هو الكنعون . فقول القائل «أعوذ بالله من الخنوع والزنوع» ، لا يبدو أن يكون تكراراً للفظ الواحد . وبهذا يمكن أن نفسر كل الشواهد التي يشتم فيها أن «الخنوع» بمعنى الذلة والسؤال .

نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الأضداد لأن ماروى عنها من الشواهد يعوز أ كثره النصوص الصريحة القوية . وحين نحلل أمثلة التضاد في اللغة العربية ، ونستعرضها جميعاً ، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف والتعسف في اختيارها ، يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمى الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة . ومثل هذا المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا ، لاسيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة ، وذلك بأن تشهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن .

## افضل السابع

### هل اللغة العربية لغة بدوية<sup>(١)</sup> ؟

حين عرض لي هذا التساؤل للمرة الأولى تذكرت كلمة رئيس المجمع الدكتور طه حسين في افتتاح أحد المؤتمرات إذ يقول مداعباً وزير التعليم العالي : ( ومن الحق أن لغتنا العربية قد بدأت لغة بدوية ، ولكن من الغريب أن يظل مجمع اللغة العربية في القرن العشرين بدوياً أيضاً لا يستقر ، يجتمع في مكان مرة ، وفي مكان آخر مرة أخرى ) ١١

ولما رددت أمامكم نفس التساؤل كأني بمن يهمس إليّ في لهفة وإشفاق عليّ ويقول :

بدأت يا أخى بدوية قبل الإسلام ، ثم انتهت إلى حضرية بعد الإسلام ، وبلغت ذروة حضارتها في عصور العباسيين . ألم تدرس أو يدرّس لك أن شعراء ما قبل الإسلام كانوا يقفون على الأطلال ، ويكون الدمن ، ويصفون النوق في إسهاب أو إسراف كالذي كان من طرفة في معلقته ، كما حدثونا عن الصحراء رمالها وكشبانها وجبالها وحرّاتها وأوديتها وآبارها ومنتجع الكلاب فيها ؟ ألا تذكر قول أحدهم مع أنه كان ملكاً في قومه :

ترى بعير الآرام في عرصاتها      وقيعانها كأنه حب فلفل  
وقول الآخر :

أنا في سفعا في معرّس مرجل      ونؤيا كجذم الحوض لم يتلم

(١) بحث ألقى في مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٨ .



فأى بداوة فوق هذا تريد؟ ثم ثار الشعراء على كل ذلك في العصر العباسي  
وتزعمهم في هذه الثورة أبو نواس إذ يقول فيما يقول :

صفة الطلول بلاغة القدمِ فاجعل صفاتك لابنة الكرمِ

ويقول الشاعر الشعبي :

عيننا بالطبول عن الطلولِ وعن عنس عذافرة ذمولِ

وأستمع لمثل هذا الممس ، ثم أجد أن من واجبي قبل أن أعرض رأيي  
في سؤال « هل اللغة العربية لغة بدوية ؟ » أن أبين أولاً حدود ما أعنيه باللغة  
العربية ، ثم دلالة الوصف « بدوى » حين يخلعه الدارس الحديث على اللغة .

أما اللغة العربية التي أعنى فهي تلك التي تتمثل في نصوص تراثنا الأدبي  
قبل الإسلام وبعد الإسلام ، تلك اللغة المشتركة الأدبية النموذجية التي نظم بها  
الشعراء وخطب بها الخطباء وكتبت بها الرسائل والوصايا قبل الإسلام ، تلك  
اللغة التي انتظمت كل أو جل أنحاء شبه الجزيرة ، والتي اصطنعت في الأمور  
الجدية من القول ، وهي التي نمت وازدهرت قبل الإسلام ؛ وفوق ذلك كله  
هي التي نزل بها القرآن الكريم ، ثم التي ظلت بعد الإسلام أداة القول في  
كل تراثنا الأدبي الرائع .

وقد يقال وماذا نستبعد بعد هذا كله ؟ أستبعد ما لم يصح من تراثنا الأدبي ،  
وأستبعد بعض أو ربما كل ما ينسب لرؤية وأمثال رؤية كآبيه المعجاج وابن أحمز  
الباهلي ، وأستبعد كثيراً مما جاء في معاجنا العربية القديمة من لهجة خاصة لقبيلة من  
القبائل ، أو نصوص مبتورة مجهول قائلها ، أو ربما ما أنزل الله بها من سلطان .  
وأما الوصف « بدوى » فأمره عجب ، إذ تقول عنه المعاجم القديمة إنه  
منسوب إلى البدو ، وأن نسبه على هذه الصورة أمر نادر ، وفي الحق أن  
الندرة غير مقصورة على النسبة ، بل إن استعمال الوصف بدوى في نصوص

الأدب الجاهلي وصدر الإسلام أمر نادر أيضا . وكذلك المشهور من هذه المادة كالبدو ، والبدواة ، والبادية . فليس في القرآن الكريم إلا كلمة « البدو » في قوله تعالى « وجاء بكم من البدو » ، وتفسر هنا على أن معناها البادية .

وكلمة البدو في الاستعمال القرآني فريدة وحيدة وردت مرة واحدة ، أي من الكلمات التي يسميها المستشرقون *Hapax legomena* . وأما وروجها في قول ابن أحرر :

جزى الله قومي بالأبلة نصرة . وبدوا لهم حول الفراض وحضرا

فيحتاج إلى إعادة الفهم ، وليس كلام ابن أحرر على كل حال مما يدخل في نطاق مانسيه باللغة العربية .

ولم ترد في القرآن الكريم الكلمات « بدوى و بدواة و بادية » . أما ما يقال لنا إن « الباد » في قوله تعالى « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » معناه القادم من البادية ، فعند التأمل نجد أن معناه الطارئ على مكة كما يقول القرطبي في تفسيره ، « أي سواء وفد من البادية أو من الأمصار » . فالتعريف يراد به الشمول ، ومثله مثل التعبير الفقهي « المقيم والمسافر » ، بل ومثل « الغائب والحاضر » . أما « البادى والحاضر » في شعر حسان وعمر بن أبي ربيعة فلا يعنى كذلك إلا مجرد الشمول ، فلا يفيد في أصل دلالة بدواة أو حضارة ، وإن اشتهر في العصور الإسلامية بهذا المعنى .

وأما الجمع « بادون » في قوله تعالى « وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب » ، ففي رأبي أن معناه مجرد مسافرين أو راحلين ، ولعله اكتسب هنا دلالة البدواة من المناسبة التاريخية ومن كلمة الأعراب . ذلك لأن الاستعمال المألوف في القرآن الكريم لما اشتهر بعد ذلك بالبدو ، هو الأعراب

في عشر آيات ، ولما اشتهر في المصور الإسلامية بالحضر هو أهل القرى .

ويكفي للاستدلال على ندرة الكلمات : بدوى ، وبدو ، وبدواة ، وبادية في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام أن معجنا الكبير مع وفرة إمكانياته لم يجد شاهداً للوصف بدوى إلا ذلك الخبر العجيب ونصه ( وفي الحديث لا تجوز شهادة بدوى على صاحب قرية ) ، ولا أدري كيف ينسجم هذا مع الروح الإسلامي في الإخاء والمساواة ؟

ومن يمن الطالع أن ابن الأثير يعقب عليه بقوله ( وإليه ذهب مالك والناس على خلافه ) ، هذا إلى ما نعرفه من موقف القدماء من الاستشهاد بالحديث في مسائل اللغة . فع التسلیم بصحة المعنى في هذا الخبر لا يستلزم ذلك أن تكون كل ألفاظه من النص الأصلي .

ويسوق لنا معجنا الكبير شاهداً فريداً أيضاً لكلمة « البداة » هو ( وفي الحديث أنه أراد البداة مرة ) ، ولا حاجة للوقوف عند هذا الشاهد طويلاً بعد الذي قلناه عن سابقه .

وأما كلمة « البادية » فيورد لها معجنا الكبير ثلاثة شواهد اثنين منها لشاعرين أمويين ، أى بعد صدر الإسلام ، هما القطامي والفرزدق ، والثالث لحسان بن ثابت هو :

وشر من يحضر الأمصار حاضرها وشر بادية الأعراب باديها

وفي رأي أن كلمة الأعراب في البيت هي التي أوحى بما يراد منا أن نفهمه من كلمة « بادية » في بيت حسان ، إن كان مفهوماً حقاً .

وتسائل بعد الذي تقدم هل الكلمات « بدوى وبدو وبدواة وبادية » بمعناها المألوف لنا الآن من الكلمات التي نشأت مع ظهور الإسلام ، وشاعت بهذا المعنى بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية ؟ أما الذي نستطيع أن

تؤكد هنا فهو أنه ليس لهذه الكلمات نظائر في اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ما عدا الحبشية فيما يبدو، ففيها «بدو» بمعنى مكان قفر، و«بدو» بمعنى أفقر المكان .

نكتفي بهذا القدر في التأسيس الاشتقاق للوصف «بدوى»، ونعود إلى دلالاته حين نحلّمه الدارس الحديث على اللغة وهو ما يعنينا هنا . فاللغة البدوية لديه هي تلك التي لم تنتج لها فرص كافية من التطور من حيث الأصوات والصيغ وتركيب الجمل، أو التي تمثل مرحلة قديمة من مراحل تطور اللغة الإنسانية، ومن أوضح أمثلتها لغة الرعاة الرحّل الذين عرفوا في أوروبا باسم Nomads، ويسميهم الأوروبيون في بلاد الغرب بالكلمة العربية الأصل، Bedouins . وقد تبينت للغويين المحدثين بعد دراسات مستفيضة معالم وسمات اللغة البدوية، وأخرى للغة الحضرية، ولا يتسع المجال هنا إلا ما يتصل بالناحية الصوتية، بل ومع الإيجاز أيضاً .

فند أن اكتشف اللغوي الدينمركي «راسك» في أوائل القرن التاسع عشر ما سماه بالتطور الصوتي بين أفراد المجموعة الجرمانية، وهو ما عرف بعده بفانون (جريم) الصوتي، واللغويون يحاولون تفسير هذه التطورات وبيان السر فيها . وقد دعم (جريم) اللغوي الألماني آراء (راسك)، وجعل بحثه أشمل وأكمل بحيث يشمل كل اللغات الجرمانية، ويتضمن من الأمثلة والشواهد قدراً كبيراً لم يرد في بحث معاصره (راسك)، ولذلك ينسب عادة هذا القانون الصوتي (لجريم) وحده . ويتلخص هذا القانون الصوتي في أن استقرار الصور المختلفة للكلمات في اللغات الجرمانية خلال العصور التاريخية دل على ظاهرتين متميزتين: إحداهما انتقال أصوات شديدة إلى نظائرها الرخوة مثل ال P أصبحت باء، والتاء أصبحت ثاء، والكاف أصبحت هاء .

قال ( P ) في Paternal التي في اللاتينية Paternus أصبحت فاء في الكلمة الأنجلوسكسونية Fatherly ، والتاء في الكلمة Trinity التي في اللاتينية Trinitas أصبحت تاء في الكلمة الأنجلوسكسونية Three ، والكاف في الكلمة Century التي هي في اللاتينية Centuria أصبحت ( هاء ) في الكلمة الأنجلوسكسونية Hundred .

أما الظاهرة الثانية فهي انتقال أصوات مجهورة إلى نظائرها المهموسة ، فالباء أصبحت P ، والدال أصبحت تاء ، والجيم غير المعطشة أصبحت كافا . ولا أريد أن أثقل عليكم بذكر أمثلة لهذه الظاهرة الثانية . والمهم هو أن نذكر أن الأصوات في تطورها على حسب قانون ( جريم ) قد واجهتنا بقضيتين متميزتين : قضية الانتقال من شدة الصوت إلى رخاوته ، وقضية الانتقال من جهر الصوت إلى همسه .

هذا هو ملخص قانون « جريم » في التطور الصوتي بين لغات المجموعة الجرمانية ، ذلك القانون الذي يفسر عادة بأن انتقال المجتمع الإنساني من مرحلة الرعاة الرحّل إلى حياة الاستقرار في المدن هو الذي أدى إما إلى انتقال الأصوات الشديدة إلى نظائرها الرخوة ، أو انتقال الأصوات المجهورة إلى نظائرها المهموسة .

وفي ضوء ما تقدم نظرنا إلى لغتنا العربية فرأينا أن حياة العرب قبل الإسلام كانت تتنازعها بيئتان متميزتان : بيئة بدوية بين القبائل الرحّل ، وأخرى حضرية في مدن الحجاز واليمن . وقد اختلفت البيئتان في كثير من النواحي الصوتية تبعاً لاختلافهما في بعض العادات ومظاهر السلوك الاجتماعي العام . فالقرآن الكريم يصف لنا الأعراب المتوغلين في البداوة في عشر آيات مدنية ، بالنفاق والعمود عن القتال وضمف الإيمان . كما يصف لنا سلوك هؤلاء

الأعراب في آيات أخرى مدنية أيضا وإن لم ينص عليهم فيها ، ولكن يبدو من أسباب النزول أنها نزلت في هؤلاء الأعراب حيث كانوا يندون إلى المدينة ويتصايحون في الحديث رافعين عقائرهم في جلبه وضوضاء ، مثل ما كان من وفد بنى تميم - بين قدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقت الظهر وأخذوا يصيحون : اخرج إلينا يا محمد . فدعاهم الإسلام إلى آدابه السامية في الخطاب والسلوك ، فيقول سبحانه في سورة الحجرات ( يا أيها الذين آمنوا لا ترموا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ) .

وكان هؤلاء الأعراب يفخرون بجهارة الصوت ، بل بجهارة أى شيء ، فيقول شاعرهم في مجال الفخر :

جهير الكلام جهير العطاسِ      جهير الرواء جهير النَمِّمِ

وكان لهذا السلوك العام في الحديث أثره الواضح في نطق هؤلاء الأعراب . تبين لنا هذا في كثير من الأمثلة التي تناسب إليهم ، فبينما يقول الحجازي الحضري « حتى » يقول البدوي « عتي » ، وبينما يقول الحجازي الحضري « الناس » يقول البدوي « النات » ، أى أننا حين نطبق قانون « جريم » على ما ساد في شبه الجزيرة في بيئتها قبل الإسلام من ظواهر النطق ، نجد حقا أن البيئة الحضرية المثلة في مدن الحجاز كانت بوجه عام تؤثر الصوت المهوس والصوت الرخو ، في حين أن البيئة البدوية في وسط الجزيرة وشرقيها كانت تؤثر النظير المنجهور والنظير الشديد .

ونحن نضيف إلى قانون « جريم » ظاهرة أخرى لاحظناها في بعض اللغات البدائية مثل الدنكا والشيلوك في جنوب السودان ، هي أن هذه اللغات تتضمن أمجديتها عدداً كبيراً من الأصوات الشديدة ، وعدداً قليلاً من الأصوات الرخوة ، أى على عكس لفتنا العربية كما نألفها في النصوص القرآنية وفي تراثنا الأدبي . فليس في الأمجدية العربية إلا ستة أصوات شديدة ، تلك الأصوات التي تتميز بها لغات البيئات البدائية أو البدوية .

لا جدال إذن في أن اللغة العربية التي نشأت ونمت وازدهرت في المدن الحجازية قبل الإسلام ثم نزل بها القرآن الكريم ، كانت من حيث الأصوات لغة حضرية . ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة ما لاحظناه أيضاً بصدد قضية اليائية والواوية ، فقد أصبحنا الآن نطمئن إلى أن الكلمة مع الأصل الواوي وما تفرع عنه من ضم وواو مد صورة بدوية ، وأنها مع الأصل اليائي وما يتفرع عنه من كسر وياء مد صورة حضرية . فبينما كان الحجازي الحضري يقول : « حيث » يقول البدوي « حوث » ، وبينما يقول الحجازي « صِيَام » يقول البدوي « صَوَام » ، وبينما يقرأ الحجازي « سُخْرِيَا » يقرأ البدوي « سُخْرِيَا » ، وبينما يقول الحجازي « الذين » يقول البدوي « اللذون » وهكذا . وقد دلت البحوث الصوتية الحديثة على أن الواو وما يتفرع منها أقرب إلى الطبيعة البدوية ، في حين أن الياء وما يتفرع منها أقرب إلى الطبيعة الحضرية .

هذا كله من الناحية الصوتية ، ولما طبقنا المعالم والصفات الأخرى التي اهتدى إليها اللغويون المحدثون للغة الحضرية من حيث الصيغ وتركيب الجمل ظهر لنا بوضوح أن اللغة العربية حين جاء الإسلام كانت لغة حضرية كثير ما كانت عليه لغة حضرية في القرن السادس الميلادي من حيث الأصوات والصيغ ونظام الجملة .

لكن مأساة لغتنا إنما كانت على أيدي بعض اللغويين في القرنين الثاني والثالث من الهجرة حين حاولوا — بحسن نية طبعاً — صبغها بالصبغة البدوية . فقد كانوا يؤمنون إيماناً قوياً بأن الفصاحة العربية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبدواة ، كما لو أن بين رمال الصحراء وأخبية الأعراب ومنتجعات الكلاب وبين الملكة اللسانية عرى وثقى ، أو كما لو أن هؤلاء الأعراب قد أرضعوا الفصاحة مع لبان الأمهات ، أى أنهم كانوا يتصورون أن إتقان اللغة مرجعه إلى الوراثة ، ولم يكونوا يدركون كما يدرك اللغوى الحديث أن إتقان أى لغة عملية مكتسبة لا أثر للوراثة أو الجنس فيها . ولم يجد علماء الأمصار مع علمهم وفضلهم أى غضاضة فى الاحتكام إلى الأعرابى الجلف فى مسائل اللغة . وكلنا يذكر تلك المناظرات التى كانت تعقد فى حضرة الأمراء والخلفاء بين هؤلاء العلماء الأجلاء ويحتكم فيها إلى الأعراب الوافدين على الأمصار . فإذا قضى الأعرابى بالأمصار شهوراً انصرفوا عنه وقالوا له : هيهات ، لأن جلدك يا أبا فلان ، أى لم تعد أهلاً لتلقى اللغة عنك . وكان مما افتخر به البصريون على الكوفيين قول أحدهم ( إنا نحن البصريين نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، أما أنتم أيها الكوفيون فقد أخذتم اللغة عن أكلة الشوايرز والكوامخ !! ) .

ونظرنا فإذا بعالم جليل هو يعقوب بن السكيت فى القرن الثالث الهجرى يحيط نفسه بمحاشية من هؤلاء الأعراب تتألف من خمسة عشر أعرابياً ، وبلغ من اعتزازه بصحبتهم أن نص فى كتابه « إصلاح المنطق » على أسمائهم واحداً واحداً !! وفى رأيه أن مثل هذا العدد من المعلمين الأعراب المختلفين القبائل والناجم يكفى لبيلة الفكر والذهن حتى مع أنبغ العلماء من أمثال ابن السكيت .



وهنا نقسأل هل نجح علماء الأمصار في صيغ اللغة العربية بالصيغة البدوية والجواب نعم ، ولكن لحسن الحظ في نطاق ضيق . فملت العربية في معظم ظواهرها من السمات البدوية ، واحتفظت بطابعها الحضري الذي ساد قبل الإسلام ونى صدر الإسلام من حيث الأصوات والصيغ والتراكيب .

فإذا أردنا أن نضرب مثلاً محددًا لما نجح فيه هؤلاء العلماء لم أجد خيراً من مسألة تحقيق الهمزة التي هي بإجماع الآراء من صفات البدو . فيقول عيسى ابن عمر الثقفي ( ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا ) . ونقول له من حقت أن تأخذ بما نشاء ، ولكن ليس من حقت أن تفرض على اللغة العربية الحضرية صفة بدوية . ويحضرني هنا ما جاء في اللسان ( قال رجل النبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله ، فقال : لا تنبر باسمي ، أي لا تهمز ) . وفي رواية فقال : إنا معشر قريش لا تنبر والنبر همز الحرف ، ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حج المبدئي قلم الكسائي يصني باندبنة فهمز ، فأنكر أهل المدينة وقنوا تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بآقرآن ؟

وخير ما نستأنس به في هذا الصدد: نصوص القرآن الكريم ، إذ تلح علينا موسيقى الفواصل في سورة الرحمن أن نقرأ ( كل يوم هو في شان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ) . وكذلك في سورة مريم التي وردت فيها كلمة ( شبتاً ) في رهوس أربع آيات ، وفي كل هذه الآيات لو قرئت الكلمة بالتسهيل أي « شتياً » لكانت أكثر انسجاماً مع الفواصل الأخرى في السورة ، وكذلك كلمة « رثياً » من نفس السورة . فقد بدأت السورة بفاصلة تمد بمثابة إرهاب للفواصل التي تلتها ، فيقول تعالى ( ذكر رحمة ربك عبده زكرياً ) وجاء بعدها ( حنياً ، شقياً ، ولئياً ) من الفواصل الموسيقية ذات الوقع الحسن

في الآذان . والتزم هذا في الآيات الإحدى وثلاثين الأولى من السورة ماعدا الآية الثامنة التي تنتهي بكلمة « شينا » ، ثم استؤنفت نفس الفصلة عند الآية الأربعين ، وظلت ملتزمة إلى الآية الثالثة والسبعين . فلو قرئت الآيات التي تنتهي بكلمة « رثيا » بالتسهيل لكانت القراءة أقرب إلى الترتيل الموسيقى .

ومن يمن الطالع أن يروى لنا أن بعض القراء السبعة مثل أبي عمرو بن العلاء قد قرأ ( كل يوم هو في شان ) ومعه أيضاً قارئ المدينة أبو جعفر . كذلك يروى أن أبا جعفر قرأ كلمة « شينا » في سورة مريم بالتسهيل ، ويشاركه في هذا قالون وابن ذكوان<sup>(١)</sup> . أما كلمة « رثيا » فقد قرأها بالتسهيل نافع وابن عامر وهما من القراء السبعة .

وهكذا نرى أن اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم والتي اصطنعت في ترائد الأدي قبل الإسلام كانت تؤثر تسهيل الممز ، وهو صيغة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الممز مؤثرين هنا الأداء البدوي ، فشح بيننا الآن أن تحقيق الممز هو الأوضح .

أما بعد : فإني أدعو الله مخلصاً أن يوفق مجتمعا الموقر إلى العمل على أن تستكمل هذه اللغة العربية الحضارة ، أسباب الحضارة في العصر الحديث .

---

(١) قالون هو راوى نافع ، وابن ذكوان هو راوى ابن عامر .

## الفصل الثامن

### اللهجات الحديثة

تحدثنا في مقدمة هذا الكتاب عن أهمية اللهجات الحديثة ، في دراسة اللهجات القديمة . وهنا سنعرض طرفاً من خصائص اللهجات المصرية ، ولاسيما اللهجة النموذجية فيها ، وهي اللهجة القاهرية ، موضعين بمض ما احتفظت به هذه اللهجات الحديثه من صفات قديمة ، وما ظهر فيها من صفات خاصة ، نمت واستقلت مع الزمن . وسنقتصر في هذه الإشارة العابرة على بعض التطورات الصوتية في هذه اللهجة ، وعلى تطور معاني بعض الكلمات . ولسنا نطمع من هذا الفصل إلا في أن يوضح ما يمكن أن تكشف عنه دراسة اللهجات الحديثة ، فعمل في مراحل تطورها ما يلقي ضوءاً على ما غمض من تطورات اللهجات القديمة وخصائصها .

— ١ —

### الناحية الصوتية

(١) فقدت معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية القديمة ، أمثال : التاء ، والذال ، والظاء ، والقاف ، واستبدلت بها على الترتيب : التاء ، والذال ، والضاد ، والمهزة أو الجيم . وقد اطردها هذا اطراداً يدعو إلى الدهشة في كل الكلمات والتي يلاحظ في هذا التغير بصفة عامة ، هو الانتقال ببعض الأصوات الرخوة القليلة الشروع في اللغة القسيحة ، إلى نفاؤها من أصوات الشدة

(ب) مالت الأصوات المطبقة إلى الاستفال في لغة الكلام المصرية في معظم الأحيان ، إذ نلاحظ أن المصريين بصفة عامة ، ينطقون الصّادسيناً ، والطاء تاء ، والضاد دالا ، والظاء زايًا مفتحة ، وهكذا مثل :

صعق : « سقع فلاناً قلماً »

(غضر عنه ) أى انصرف : « غدر على البيعة »

« لدعه قلماً » : ربما جاءت من اللطم بمعنى الضرب . « مدغ » : مضغ .

والذى نتصوره بصددهاتين الظاهرتين ، أنهما من التطورات الحديثة التى تمت بعد انتشار اللغة العربية في يثاات مختلفة نائية ؛ أور بما تمّ بعضها فى المصور الإسلامية الأولى .

على أننا نترك البحث فى علة هذا التطور لدراسة أوفى فى اللهجة المصرية ، ونكتفى هنا باستعراض بعض تلك التطورات التى تمت فى العصور المتأخرة ، التى كونت صفات خاصة باللهجة المصرية ، تميزها عن غيرها من اللهجات الحديثة ، وتلك هى الصفات التى تكونت بعد مرور أجيال كثيرة على اللغة العربية فى البيئة المصرية ، وحين أصبح للبيئة المصرية كيان مستقل . فقد جاء زمن على لهجة الكلام بمصر ، تركت فيه دون نظر فيها أو عناية بها ، يتحدث بها الناس فى حديثهم العادى ، وفى خطابهم العام ، دون تدوين لها أو تسجيل لما يعرض لها من تغير أو تطور . وقد صرفت اللغة الفصحى أنظار الناس عن لغة كلامهم ، فلم يعنوا بما يعرض لها من تطور مع الزمن ، ولهذا اتخذت فى الأفواه أشكالاً وصوراً تباينت باختلاف الأجيال والمصور . والناس لا يشعرون ولا يلحظون تلك الفروق وإنما وجهوا كل عنايةهم إلى لغة الكتابة وهى اللغة الفصحى ، فإذا انحرف الطفل فى الكلام بلهجة أبيه ، لم يجد من يعنى بتصحيح هذا الانحراف ، والإبقاء على صورة معينه فى الكلام . فأخذت اللهجة مجراها الطبيعى ، وتغيرت جيلاً بعد جيل ، وقد أدى كل هذا إلى ما نلاحظه من فروق عظيمة بين لهجة الكلام

واللغة الفصحى . واتسع لهذا ، البون بين لهجة الحديث ، وبين لغة الكتابة ، مما لا نظير له في أية لغة من لغات العالم . فلم تجد اللهجة المصرية رقيباً عليها أو حسيباً ، فانابت خفية عن الأنظار تتغير في أفواه الناس ، دون أن يلفت هذا نظر أحد ، وقد ساعد هذا التطور الخطير أنها لم تكتب ولم تسجل ، لأن الكتابة في بعض الأحيان من عوامل استقرار اللغات ، ومنعها من أن تقع نهباً لهوامل التطور اللغوي ، تفعل بها ما تشاء ، وهذا هو السر فيما نلاحظه من أن التغييرات في اللهجة المصرية ، يمكن أن تعزى في غالب الأحيان إلى أخطاء كلامية بين الناشئين ، تركت دون إصلاح ، أو لفت نظر ، فتراكت وبعدت عن الأصل ، بحيث أصبح من الصير إرجاعها إلى ذلك الأصل إلا بجهد ومشقة . فنحن الآن نتذكر كثيراً من كلمات اللهجة المصرية ، غير مدركين أن لها أصلاً عربياً صحيحاً وأنها تطورت في الأفواه دون عناية بإصلاحها من بادي الأمر . إذ أتجهت كل العناية إلى افة الكتابة ، وكان المشتغلون بها قائلين جداً ، وتركت الكثرة الغالبة من الناس يتعبطون في حديثهم ، فننتقل الكلمات من صورة إلى أخرى دون أن تستقر على حال ، كل بنطق كما يهوى ، ويقيس ما لم يعرف على ما عرف ، وتوارث الأجيال أخطاء من سبقوم .

فانظر مثلاً إلى كلمة « ألتع » التي تطورت فيها التاء أولاً إلى « تاء » كمعظم التاءات وصارت « ألتع » في عصر من العصور ، وأخيراً جهر بهذه التاء فأصبحت دالا ، وصارت الكلمة على الصورة التي نالها الآن وهي « ألدع » .

نشير بعد هذا إلى أم الاتجاهات الصوتية في لهجة الكلام المصري ، فنلخصها في العناصر الآتية :

(١) الميل إلى هلاس كثير من الأصوات ، وهو أمر طبيعي في بيئة مستقرة كالبيئة المصرية ذات الحضارة منذ القدم .

فانظر مثلاً إلى كلمة مثل « اتكرع » ، التي لانثك في أنها انحدرت من

« تجرّع » بعد أن همست الجيم فأصبحت كافاً. ومثل « دمس » التي أصلها من « الدمس » وهو شدة الوطء . ومثل « شعت » التي أصلها من « شعد »، فرت في مرحلتين قبل أن تصل إلى الصورة التي نهدحها— إذ قلبت أولاً الذال ككل القالات إلى دال ، وأتى عليها عهد في لهجة الكلام كانت « شعد » ثم همست الدال فأصبحت « تاء » . ومثل « نكش » التي ترجع أنها من « نبش » الصيد أو كل شيء مخبوء بمعنى استتاره . وهكذا نجد كلمات كثيرة قد همست بعض أصواتها في لهجة الكلام . على أننا في القليل من الأحيان نلاحظ في اللهجة المصرية عكس هذه الظاهرة مثل « اتمتع » التي هي من « التمتعة » بمعنى الحركة ، ومثل « غفير » التي هي في الأصل « خفير » ، ففي هذه الكلمات نجد اللهجة المصرية قد جهرت ببعض الأصوات المهموسة في الكلمات العربية الفصيحة ، ويظهر أن هذا النوع الأخير من التطور قد جاء إلى اللهجة المصرية مع بعض النازحين إليها من البدو الذين يميلون إلى جهر الأصوات ، أو أن بعض الطبقات من الناس في مصر كانوا أميل إلى صفات البداوة وإلى البعد عن الحضارة كأوساط العوام في المدن ورعاعها .

(ب) أخطاء تبدأ مع الأطفال والناشئين ، ثم تنمو بينهم وتكون جزءاً من لهجاتهم وهم كبار ، ثم يورثونها من بعدهم . وربما كان هذا المنصر أوضح العناصر في تطور الكلمات وأصواتها في اللهجة المصرية<sup>(١)</sup> : —

١ — فهناك كلمات قلبت فيها الباء ميما مثل « تبختر » ، أصبحت في لهجة الكلام « اتمختر » ، وهناك العكس من هذا مثل « متاع » صارت تلك الكلمة الشائمة « بتاع » ، ومثل « حلق » صارت « بخلق » مع تغيير في ترتيب الأصوات ، ومثل « خمش » التي جاءت منها « خربش » بملء زيادة الراء .

وهناك كلمات قلبت فيها « الفاء » إلى « باء » في لهجة الكلام ، مثل

(١) أنظر كتاب الأصوات القوية ص ١٤٥ .

« سفظ » التي صارت « سبت » ، ومثل « قف شعره » نقولها الآن في الكلام « قب شعره » ، ومثل « فرطش » التي تستعمل في الفصحى بمعنى « فرطش الجمل » أي تفجع للبول ، صارت في لهجة الكلام « برطش » .

٢- من بين الأخطاء التي قد تعرض للناشئين ، تغير في ترتيب أصوات

الكلمات ، وهو ما وقع بين العربية الفصحى ولهجة الكلام المصرية مثل :  
بحلق : حلق . « بعزأ » : جاءت من ترعيق<sup>(١)</sup> الشيء من يدي تبرد وتفرق .  
« الزعل » جاءت من العلز بمعنى الضجر . ومثل « فمص » : التي انحدرت من فصع الرطبة إذا أخذها بأصبعه فمصها حتى تنقشر . ومثل « أهبل » : أبله .  
جنزبيل : زنجبيل . جوز : زوج . خفس : خفف .

٣- كذلك يميل لأطفال في نطقهم إلى تكرار المقاطع أو الأصوات

وقد أدى هذا إلى أن جاءت الكلمة المولدة « القشويش » من « التهبوش »<sup>(٢)</sup> .  
وجاء الفعل « جر جر » من جر .

٤- وكذلك قد يخطئ الطفل في تقسيم العبارة إلى أجزائها الصحيحة ، ويحدث

هذا عادة في العبارات الكثيرة الشيع . وقد لوحظ هذا في لهجات كثيرة من لهجات اللغات الأوربية . ويمكن أن نمزو لهذا الخطأ في تقسيم العبارة ، ما جاءتنا به لهجة كلامنا من أمثال الفعل « جاب » الذي لانثك في أنه انحدر عن الاستعمال الصحيح « جاء بكذا » ، فحيل للطفل أن « الباء » جزء من الفعل « جاء » ، ولا سيما أنه كان ينطق به في لهجة الكلام بغير المهزة . ومثل « عقبال » التي لانثك في أنها من الاستعمال « عقي لكم » ، فالتبس الأمر على السامع وجعل « اللام » في « لكم » جزءاً تنتهي به الكلمة « عقي » وبهذا أخرج لنا « عقبال » .

(١) هذا ما جاء في لسان العرب . أما التبر وزابادي فيذكر [ بيزق الشيء . زهقه ] ثم بعد ذلك في نفس الباب يقول [ زعيق القوم والشيء فرقه وبدهه كعزله ] .  
(٢) جاء في القاموس المحبط [ والقشويش والمهوش والقشوش كلها من ووه الجوهري ، والصواب التهبوش ] .

٥- هذا وقد يصعب صوت «الراء» على كثير من الأطفال فيقلبوها إلى «اللام» في كثير من الأحيان . وقد ترتب على هذا وجود كلمات عربية صحيحة متعده المعنى رويت مرة «بالراء» وأخرى «باللام» .

وقد حدث مثل هذا في لهجة الكلام المصرية ، إذ تطورت فيها بعض الكلمات العربية الصحيحة التي اشتملت على «الراء» مثل :  
« الخدر » بمعنى الشلل أو نوع منه ، نسمها الآن في لهجة الكلام « خدل  
وخللان » .

ومثل « سرط » اللقمة بمعنى ابتلعها ، أصبحت الآن في لهجتنا « زلط » ،  
بعد أن قلبت «الراء» «لاماً» وجهر «بالسين» فأصبحت « زايًا » .  
ومثل « رهط الطعام » صارت في لهجة كلامنا « لهط » .

ومثل « دحرج » التي تطورت في اللهجات القديمة إلى « دعلج » ، بأن  
جهر « بالحاء » فأصبحت « عينًا » وبأن قلبت «الراء» «لاماً» ، وهكذا  
رويت لنا الكلمتان في المعاجم العربية على أنهما صحيحتان ، ثم تطورت الأخيرة  
منهما في لهجة كلامنا إلى « دألج » .

٦- قد يخطئ الطفل في قياسه ، وهنا يولد لنا كلمات كثيرة بعيدة عن  
الصواب ، أحيانًا يشتق وزنًا للصفات لا وجود له في الفصحى مثل « دبلان »  
بدلاً من « ذابل » ، ومثل « مرشوم » بدلاً من « مرشم » التي هي من أرشم  
الشجر أي ظهر ثمره ، ومثل « غرقان » بدلاً من غرق ، ومثل « رجل لطنخ »  
بدلاً من « اللطنخ » وهو القدر الأكل ، ومثل « حدق » بدلاً من « حاذق » .  
وليس هذا بغريب لأننا قد نسمع بمض أطفالنا يقولون « البلحة الأشجرة »  
بدلاً من « حمراء » .

٧- كذلك قد يخطئ الناشئون بين الجمع والمفرد فيستعملون بعض الجموع ،  
التي جاءت صيغتها شبيهة بصيغة المفرد على أنها مفردات مثل :



برام . حق . كراس . زناد

فهذه كلها جموع في اللغة الفصحى ، ولكنها تستعمل في لهجة الكلام مفردات . أما مفرداتها الصحيحة فقد أهملت وهي على الترتيب :

برمة . حُمة . كراسة . زند

ومما يمكن أن يعزى إلى التقياس الخاطيء اختلاف الحركات في بنية الكلمة بين لهجة الكلام واللغة الفصحى .

فتنحن الآن نسع الكلمات الآتية مفتوحة الأول في لهجة كلامنا ، وذلك لأن بعضها قد قيس على البعض الآخر :

خرطوم : شمروخ . ططور . أزميل . برميل . بطيخ . خنزير .  
قنديل . كبريت . مندبل . مسطرة . مروحة . مدخنة .

وكذلك نسع كلمات مضمومة الأول مثل :

خلخال . قبتاب . غربال

وأخرى مكسورة الأول وهي كثيرة جداً مثل :

جبة . حلبة . عجة . علبه . حزمة . حلم . عش . دهن . فجل . دلو .  
وربما بسبب الانسجام بين الحركات أن يكسر الحرف الأول من بعض  
الكلمات مثل :

جيز . زيب . كبير . جديد

٨ — لعبت ظاهرة التخالفة Dissimilation في لهجة كلامنا دوراً هاماً ،

كما ظهر أثرها في اللغة الفصحى<sup>(١)</sup> . فقد تخلص الناس من إدغام اللامتين بقلب أحدهما إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين وهي « الميم واللام والنون والراء وربما العين أيضاً » ، وتلك هي الأصوات التي سهاها القدماء بالأصوات المتوسطة . فانظر مثلاً إلى الفعل الفصيح « برَّق بصره » أصبح في لهجة كلامنا « برَّقأ » .

(١) أنظر كتاب الأصوات اللغوية .

و كذلك الفعل « تفحّس » الذي يعنى تكبّر وتعظم ، صار فى لهجة الكلام « تفنحص » ، وكذلك الفعل « كبّل » صار « كميل » .

وربما زيدت هذه الأصوات على بنية الكلمات للمبالغة فى معناها مثل : « شرمط الورق » التى جاءت من الفعل الفصيح « شرط » . ومثل « طلس » الكتابة « جاءت عن « طلس » الكتاب محاه ليقصد خطه . ومثل « غطرش » التى تعنى فى لهجة الكلام تجاهل ، قد جاءت من « الفطش » وهو ضعف البصر . ومثل « خرشم » التى جاءت من « خشم » الأنف أى كسره .

٩ — هذ وقد شاع فى لهجة كلامنا تلك الأفعال الرباعية التى تشتمل على مقاطع متكررة ، فى حين أن بعض الصيغ القديمة للأفعال قد تلاشت ، ولم تعد تسمع فى لهجة الكلام المصرية :

فصيغة « أنملّ » لانكاد نثر عليها فى لهجة الكلام ، بل حلّ محلها صيغة « فئل » أحياناً أو صيغة الرباعى المكررة الأصوات . فانظر مثلاً إلى الأفعال العربية الصحيحة : « اللحم » الرجل بالمكان أى أقام ولم يبرحه ، و « أرشم » الشجر أى أخرج ثمره ، و « أسبط » الرجل أى انبسط على الأرض ، و « أنمشه » الشراب .

فقد صارت هذه الأفعال فى لهجة الكلام على الترتيب :

تلحم . ارشم . سلبط . نفمش

وكما أثرت العوامل المتقدمة فى التغيرات الصوتية للهجة الكلام ، قد أثرت أيضاً فى اللهجات العربية القديمة بما أدى إلى رواية كثير من الكلمات الفصيحة مرة « باللم » وأخرى « بالباء » ، أو مرة « بالراء » وأخرى « باللام » ، أو مرة بالأصوات المجهورة وأخرى بمهموسها ، أو مرة بأصوات الإطباق وأخرى بنظائرها من أصوات الاستفال . كذلك روت المعاجم كلمات متعددة المعنى والأصوات ، ولكن ترتيب الأصوات فيها مختلف ، وكذلك رويت لنا كلمات

يجوز فتح أولها وكسره أو فتحه وضه ، بل أحياناً تنص المايم على التثليث في مثل تلك الكلمات وهكذا .

فما حدث من تطور صوتي في لهجة كلامنا ، حدث مثله في اللغة الفصحى في معظم الأحيان ، ولكن الكلمات قد نشق وتعد كالإنسان !

فتلك التطورات الصوتية التي تمت في المصور التي سماها الرواة بمصور الاحتجاج ، قد اعترف بها ، وأقرتها المايم ، وعدتها من الكلمات الفصيحة ، في حين أنها رفضت نفس التطور الصوتي في المصور التي تلت هذا ، وذلك رغبة في الوقوف باللغة العربية عند حدود المصور الأولى للإسلام ، ظناً منهم أن التطورات الصوتية القديمة كانت من فعل الأعراب الفصحاء أصحاب اللغة ، ولم يدر بخلدكم أنه تطور طبيعي للأصوات ، سواء حدث في المصور القديمة أم الحديثة ، وأن الأعراب القدماء لم يمددوا إليه عمداً ، أو قصدوه في كلامهم وهم يشعرون به . ولو قدر لتلك الكلمات العامية التي ذكرناها هنا أن يتقدم بها الزمن وأن يتم تطورها الصوتي فيما سموه عصور الاحتجاج ، لاستحقت من الرواة كل عناية ، ولرووها في مآجيمهم ، وأصبحت فصيحة مقبولة .

على أن لهجة كلامنا قد اختصت ببعض التطورات الصوتية التي لا صرف لها نظائر في تطورات اللهجات القديمة ، مثل عنايتها بتلك الأفعال الرباعية المشكورة المقاطع . فقد ملئت بها لهجة كلامنا ، واتخذت في أفواهاها طريقاً خاصة ، لا نظير لها في غيرها من اللهجات العربية القديمة .

وتلك الأفعال تتكون من متطمين ساكنين<sup>(١)</sup> ، ونلاحظ أن المنقطع الأول منها حركته الفتحة دائماً ، في حين أن المنقطع الثاني تتوقف حركته على الأصوات المجاورة : فأحياناً تراها الفتحة وذلك إذا جاوره أحد الأصوات الآتية :

الطاء . الصاد . الضاد . الطاء . الراء . النين . الخاء . الحاء . العين .

(١) أنظر معنى المقطع الساكن والمنقطع المنحرك في كتاب الأصوات الغريبة .

في حين أننا نراه مكسوراً مع باقي الأصوات المجعائية .  
ولهذه الأفعال الرباعية أشكال عدة في لهجة كلامنا : —

( ١ ) فأحياناً يكون القطعان متماثلي الأصوات مثل :

جرجر . تكتك . بجمع . بربر . بصص . ببس . تققع .  
تفتف . تلتل . تتمم . تنتن . حتحت . رجرج . رخرخ . رصرص .  
رطرط . رعرع . رمرم . زحزح . زعزع . زغزع . ززلز . زمزم .  
سسخ . سلسل . سمس . ششب . شرشر . ششم . ضعضع .  
ضمضع . طبطب . عضعض . ففتف . فلفل . كشكش . لالح .  
لخلخ . لفلف . لملم . مصمص . مضمض . نمخنخ . نسنس . نفنغ .  
وسوس . وشوش .

( ٢ ) وأحياناً يتكرر صوت واحد من أصوات الكلمة ، بحيث إما أن

يكون الصوت الأول والثالث متماثلين مثل :

بربش . جنجل . رهروط . سمرس . زمزأ . كركب . مخض .  
مرمط . مسر . مرهغ . نفنش .

أو بأن يكون الصوت الثالث والرابع متماثلين :

بقشش . دغشش . زقطط . عكنن .

( ٣ ) وأحياناً يتكون الفعل الرباعي من أصوات مختلفة ، ولكن أحدهذه

الأصوات يكون في غالب الأحيان من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين مثل :

بربع . ربأ . طرشق . حرأ . خريش . درمغ . سلطخ . سمكر .  
شلفط . زههر . زجر . زروط . عربد . عرقص . هرول . مرجع .  
بمزأ . بهدل . بزوط . بخلق . طاسق . شعبط . شطلق . شقاب .  
شموط . غتم . فشخر . فشكل . نلبط . نلخن . لقمط . نفبش .

## الناحية الدلالية

أشرنا عند التحدث عن الترادف إلى تطور الدلالة ووقوعه في اللهجات القديمة ، مما أدى إلى تلك الظاهرة التي نسميها بالترادف .  
وربما كان خير مثل نسوقه هنا لنبيين إمكان تطور المعاني في كل لهجة ، ما حدث لكلمات كثيرة عربية الأصل ، وذات معان خاصة في اللغة الفصحى ، من تطور معانيها بلهجة كلامنا - فهي أمثلة حية تربنا كيف اختلفت معانيها بفعل تلك العوامل التي تحدثنا عنها آنفاً .

وقد يصعب علينا إدراك تطور المعاني في اللهجات القديمة ، لبد العهد بيننا وبين الزمن الذي تم فيه هذا التطور ، ولجهلنا التام بتاريخ الكلمات العربية قبل الإسلام ، ولكننا حين نتتبع معاني كثير من الكلمات العربية الأصل ، ونقارنها بما صارت إليه في لهجة كلامنا ، نستطيع بسهولة ، أن ندرك كيف يمكن أن يتطور معنى الكلمة ويتغير .

ومن عادة نرفض المعاني الحديثة ونسميها مولدة ، وننكر عليها فصاحتها ، لا لسبب سوى أن الزمن قد تأخر بهذا التطور ، فجاء بعد ما سماه الرواة بعصور الاحتجاج .

ولولا أننا نتقيد بالمعاني القديمة ، ونقف عندها لا نعترف بأي تغيير يلحق معناها ، لقبنا المعاني المولدة ، وعدت من صميم الكلام الفصيح ، إذ ليست في الحقيقة بدعاً في التطور اللغوي ، ولكن كل ما فيها من عيب في نظر الرواة ، أنها جاءت بعد فوات الأوان . فلتسكننا بالمعاني القديمة وورغبنا في التقيد بها ننظر إلى المعاني المولدة شزراً ، ونتعاشاها في أساليبنا الجديدة . بل لقد أبت بعض

الكلمات العربية على معانيها القديمة واحتفظت بها، ومع هذا قد تماشاها الأدباء ونسبوا إليها صفة العامية، فأصبحت مبتذلة مثل: «خش» بمعنى دخل، ومثل «مقشة» بمعنى مكفنة ١١

وقد أخذت بعض الكلمات المولدة طريق التخصص في معانيها مثل: «باش» التي كانت تعنى اختلط، فأصبحت الآن في لهجة كلامنا تعنى اختلاط بعض المواد بالسوائل. ومثل «بطعه» التي كانت تعنى ألقاه على وجهه، وتستعمل الآن مرادفة للكلمة العامية «عور»، لأن من مستلزمات البطح في غالب الأحيان «التموير». ومثل «حوش» التي كانت تعنى جمع مطلقاً، فتخصصت في لهجة كلامنا بجمع المال. ومثل «لحاف» التي تخصصت الآن بنوع خاص مما يلتحف به، ومثل «رَبْع» التي تخصصت بنوع خاص من الدور. ولقد لب الجاز دوراً هاماً في تطور المعاني لبعض الكلمات العامية مثل: «المهيج» التي كانت تعنى البعوض، فأصبحت الآن تعنى في لهجة كلامنا القوضيين من الناس. ومثل «جيب القميص» التي كانت تعنى فتحة القميص، فأصبحت تستعمل الآن في المعنى المعروف المرادف للكلمة العامية «سيالة». ومثل «رصرص» التي كانت تعنى ثبت بالمكان فأستعملت بعد ذلك للشعور بالبرد. ومثل «سفرة» التي كانت تعنى طعام للمسافر فأصبحت الآن مرادفة للعنوان. ومثل «شنب» التي كانت تعنى بريق الأسنان، فأصبحت الآن مرادفة للشارب ومثل «باخ» التي كانت تستعمل في مثل «باخ الرجل» أى سكن غضبه و «باخت النار» أى سكنت، فأصبحت تعال حين يشعر الإنسان بالجل والحرى... الخ.

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا تكاد تم تحت حصر. تلك هي أمثلة قليلة أردنا أن نسوقها لنحفز المهتم إلى الكشف عما قد يكون في لهجات الكلام من طرائف لا شك أنها ستلقى ضوئاً على دراسة اللهجات

القديمة ونجعل حكماً عليها أقرب إلى اليقين .

كلمة ضامية

كلما زادت دراستنا للهجات العربية الحديثة تكشفت لنا أمور، وأيقنا أن لهجات الكلام في البلاد العربية لا تزال تحتفظ بعناصر قديمة كانت شائعة في لهجات العرب قبل الإسلام . فاللهجات الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها ، وصبغها بصبغة محلية في بعض ظواهرها، قد استمسكت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة . فالصفة الكلامية التي تراها الآن مشتركة بين جميع البيئات العربية الحديثة، أو حتى بين معظمها، لا يمكن إلا أن تنتسب إلى لهجة قديمة أو مجموعة من اللهجات . انظر مثلاً إلى اسم الإشارة للجمع تراه قد اتخذ صورة تكاد تكون واحدة في جميع اللهجات الحديثة ، وهذه الصورة لا تمت بصلة إلى اسم الإشارة المألوف في اللغة النموذجية أي « هؤلاء أو أولئك »

فإذا قارنا بين اسم الإشارة « هؤلاء » وهو الشائع في الأساليب الأدبية ، وبين الصورة التي صار عليها اسم الإشارة في لهجات الكلام الحديثة ، لا نكاد ندرك الصلة بين الصورتين . فكل منهما مستقل عن الآخر، وليس أحدهما تطوراً للآخر ، بل يبدو أنهما صيغتان مستقلتان عاشتا جنباً إلى جنب في عصور ما قبل الإسلام ، وقد شاعت إحداهما في المجال الجدوى من القول ، وشاعت الأخرى في لهجات الخطاب .

والغريب أن أصحاب اللجام على كثرة ما ذكره عن اللهجات لم يثيروا إلى هذه الصيغة التي نسميها الآن على كل لسان ، وكذلك النعجة لم يمرضوا لها في الطولات من كتبهم ، فلم يقل أحدهم مثلاً إن لاسم الإشارة الجمع صيغة أخرى أو صورة أخرى غير التي نألفها ونعدها .

ومع هذا لا نشك لحظة في أن اسم الإشارة الجمع الشائع الآن في اللهجات الحديثة قد انحدر إليها من مصدر قديم ، فليس الاشتراك فيه بين البلاد العربية وليد المصادفة ، بل الأرجح أنها جميعاً قد استمدته من اللهجات القديمة التي نزلت إليها .

وإذا تذكرنا أن حرف « ال زال » القديم قد تطور في بعض اللهجات الحديثة إلى نظيره الشديد وهو « الدال » ، وأن الضم يناظر الكسر في اللهجات القديمة ، استطعنا بسهولة أن نبين العلاقة بين الصور التي صار عليها اسم الإشارة الجمع في لهجات الخطاب الآن :

ففي شرق الأردن « هاذول » ، وفي العراق « ذول ، ذولا » ، وفي بلاد الشام « هاذول » ، وفي مصر « دول ، دولا » ، وفي بلاد المغرب « هاذول » ، وفي السودان « ديسل » ، وفي نجد « ذولا » ، وفي صنعاء « هادول » !  
دأ اسم الإشارة بانقطع « ه » حين يتقدم على المشار إليه ، كما في لهجات الشام وبلاد المغرب وبعض جهات اليمن .

ويظهر من هذا العرض السريع أن الأصل في اسم الإشارة الجمع هو الصيغة التي نسميها الآن في بعض جهات اليمن أي « هاذول » ، وقد انحرف هذا الأصل انحرافاً طفيفاً في لهجات الكلام الأخرى .

فن أين أتت لهجات الكلام بهذه الصيغة التي لم تنسب إليها المعاجم ولا كتب اللغة ، وكيف اشتركت فيها جميعاً رغم اختلاف البيئات ، واختلاف الظروف الاجتماعية ؟

إن الباحث المنصف لا يتردد في جعل هذه الصيغة إحدى الظواهر التي كانت شائعة في لهجات القدماء ، وأنها انحدرت إلى اللهجات الحديثة من اللهجات القديمة .

كان للعرب القدماء إذن كلمتان إحداهما « هؤلاء » ، والأخرى « هاذول » ،



وكانوا يقصرون استعمال الأولى على الأساليب الأدبية ، ويتخذون الأخرى للهجات الخطاب .

وأسماء الإشارة كما ذكرنا آنفاً من العناصر العصبية على التطور والتغير ، ولذلك بقيت الصورة القديمة التي كانت شائعة في لهجات الخطاب ، شائعة أيضاً في لهجات الكلام الآن بالبلاد العربية .

ويبدو من هذا المثال ومحوه من عناصر مشتركة بين لهجات الكلام الآن ، صحة مارجحناه من قبل وما ندعو إليه دائماً من أنه كان للعرب القدماء لغتان مستقلتان يصطنعون إحداهما في الأساليب الأدبية ، ويصطنعون الأخرى في الحديث العادي ، وإلا فكيف نتصور أن اسم الموصول يتخذ الآن في كل البلاد العربية صورة واحدة هي « اللي » ، بدلاً مما نألفه في اللغة النموذجية الأدبية من كلمات متعددة مثل :

الذي ، التي ، الذين ، اللاتي ، اللاتي

بل حتى ما نظنه أحياناً من التطورات الحديثة ، نراه بعد البحث مشتركاً بين كثير من لهجات الخطاب الآن ، ونستطيع بعد التأمل أن ننسبه إلى أصل قديم كان شائعاً في بعض لهجات العرب القدماء مثل :

١ — التعبير عن الزمن الحالي أو عن المادة بفعل مضارع متصل بالباء في غالب الأحيان ، أو بالبدال أو القاف أو المين في أحيان أخرى . والأصل في كل من الأمرين لا يبدو أن كلمة مساعدة كان العرب يصلونها بالفعل المضارع حين يريدون التعبير عن الزمن الحالي أو المادة ، وكان هذا شائعاً في لهجات كلامهم وفي حديث خطاهم . وانحدرت هذه الظاهرة إلى لهجات كلامنا الآن فأصبح :  
المصري ، وأهل الشام ، وشرق الأردن ، والسوداني ، وأهل مكة ، وبعض جهات اليمن ، يقولون مثلاً ، ييلعب ، يينغتي . . . الخ .

ولسنا نشك في أن هذه « الباء » هي كل ما تبقى من الكلمة المساعدة ، التي كان العربي القديم في لهجة خطابه يصلها بالمضارع للتعبير عن الزمن الحالي أو

عن العادة . ويفترض بعض المحدثين لهذا اللفظ المساعد عدة فروض منها :

باق ، ذاهب ، بدى . الخ

وتتخذ لهجات العراق الحرف الذى يتصل بالفعل المضارع من كلمة أخرى هي في الغالب « قاعد » ، وقد اختصرت هذه الكلمة في لهجة بغداد ولم يبق منها إلا الدال ، فهم يقولون : دا يلعب ، دا يفتى .

وقيل لنا إن اليهود بصفة خاصة قد سلكوا مع هذه الكلمة نفسها مسلكاً آخر فأبقوا منها على القاف ، فيقولون : قايلاب ، قايقنى .

٢ - والنقى مع الشين في نحو « ماتمخش ، وما جاش » ، تراه في مصر وفي بلاد الشام وفي بلاد اليمن وفي شرق الأردن ، وجهات أخرى من الدول العربية الحديثة، مما يرجع أنه ظاهرة قديمة كانت مألوفة في بعض اللهجات العربية القديمة ، وأنها انحدرت إلى لهجات كلامنا من تلك القبائل القديمة .

٣ - وأخيراً وليس آخراً، كيف تبنى أن يكون موقف اللهجات الحديثة جميعها متحداً في سلوكها مع المثني والجمع والمذكر السالم والأسماء الخمسة ؟ فليس في هذه اللهجات من مظاهر المثني إلا الاسم المثني مثل : « كتابين ورجلين » ، وفيها جميعاً يلتزم الجمع المذكر الصحيح حالة واحدة هي بالياء دائماً مثل : « مسلمين ومظلومين » ، وتلتزم الأسماء الخمسة حالة واحدة هي بالواو مثل : « أبوك وأخوك » .

أليس من الممكن أن يقوم مثل هذا دليلاً على أن القبائل القديمة كانت تسلك هذا المسلك أيضاً في لهجات خطابها ؟

ولنا من كلام النحاة ما يؤيد هذا الرأي فقد أشاروا في كتبهم إلى أن من العرب من كانوا يلتزمون حالة واحدة لكل من الجمع والأسماء الخمسة .

لسنا بعد كل هذا نتجنى على اللغة حين ندعو إلى الفصل بين ظواهر اللهجات وظواهر اللغة النموذجية الأدبية ، وإلى اعتبار ما اشترك في لهجات الكلام الآن مما ينتمى إلى ظواهر قديمة شاعت في لهجات الحديث عند العرب القدماء .

# ملاحق

نصوص عن اللهجات العربية القديمة

(مستمدة من معجم لسان العرب)



## البحر الأول

١ — ومنها همزة الوقفة في آخر الفعل لفة لبعض دون بعض نحو قولهم للمرأة قولي، وللرجلين قولاً وللجميع قولو ، وإذا وصلوا الكلام لم يهزوا . ويهزون « لا » إذا وقفوا عليها . ومنها همزة التوهم كما روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهزون ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز ، قال سمعت امرأة من غنى تقول رثأت زوجي بأبيات كأنها لما سمعت رثأت اللين ذهبت إلى أن مرثية الميت منها . ( ص ١٠ ) .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى فيمن همز مائيس بهموز :

وكنْتُ أُرَجِّي بئرَ نَعْمَانَ حائِراً      فَلَوْأُ بِالْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ حَائِرُ  
أراد لوتى فهمز ، كما قال [ كشتريء بالحد ما لا يصيره ] قال أبو العباس هذه لفة من يهزم مائيس بهموز ( ص ١١ ) .

٢ — قال أبو زيد وسمعت بعض بني فزارة يقول : هَمَّ كَسَائِلَانِ، خَبَائِلَانِ، قَضَائِلَانِ فَيَحُولُ الْوَاوِ يَاءً . ( ص ١٣ ) .

٣ — قال وسمعت أعرابياً من قيس يقول : يَا أَبَ أُقْبِلُ ، وَيَابَ أُقْبِلُ ، وَيَا أَبَةَ أُقْبِلُ ، وَيَابَةَ أُقْبِلُ فَالْتَقَى الْهَمْزَةُ . ( ص ١٤ ) .

٤ — قال أبو زيد وسمعت بعض بني مجلان من قيس يقول : رَأَيْتُ غَلَامِيَّيْكَ ، وَرَأَيْتُ غَلَامِيَّسِدَ تَحْوَلُ الْهَمْزَةُ الَّتِي فِي « أُسَد » فِي « أُبَيْكَ » إِلَى الْيَاءِ وَيَدْخُلُونَهَا فِي الْيَاءِ الَّتِي فِي الْغَلَامِيْنَ الَّتِي هِيَ نَفْسُ الْإِعْرَابِ فَيُظْهِرُ يَاءً ثَقِيلَةً فِي وَزْنِ حَرْفَيْنِ . ( ص ١٤ ) .

قال وسمعت رجلاً من بني كلب يقول هذه دأبته ، وهذه امرأة شأبة فهمزوا الألف فيهما : ( ص ١٤ ) .

٥ - قال أبو زيد أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا يتبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا ( ص ١٤ ) .

٦ - قال الفراء : وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يههزون البريئة والنهيء والذريئة ١٢ .. وقال اللحياني أجمت العرب على ترك همز هذه الثلاثة ولم يستثن أهل مكة . ( ص ٢٢ ) .

٧ - وأهل النامية يقولون برأت أبرأ برأ وبروءا ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وسائر العرب يقولون برئت من المرض ( ص ٢٢ ) .

٨ - قال اللحياني أهل الحجاز يقولون أنا منك برآء . . . لا يثنى ولا يجمع . . . ولغة تميم وغيرهم من العرب أنا برىء ( ص ٢٤ ) .

٩ - وفي المثل شرٌّ ما أجاك إلى نحة العرقوب ( يضرب هذا عند طلبك إلى اللثيم أعطاك أو منمك ) وشرٌّ ما يجيئك إلى نحة عرقوب . قال الأصمعي وذلك أن العرقوب لا مخ فيه وإنما يُمحوج إليه من لا يقدرُ على شيء ، ومنهم من يقول [ شرٌّ ما أجاك والمعنى واحد ، وميم تقول : شرٌّ ما أشامك ] ( ص ٤٥ ) .

١٠ - في الحديث عن الحدأة جمعها حدأ [ قال أبو حاتم أما أهل الحجاز فيقولون لهذا الطائر الحدباً وهو خطأ ويجمعون الحدادي وهو خطأ . وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس بقتل الحدو والإفعو للمحرم وكانها لغة في الحدأ ، والحدباً تصغير الحدو ] . ( ص ٤٧ ) .

١١ - الحُكَاةُ دويبة وقيل هي العظاية الضخمة يهزم ولا يهزم والجميع الحُكَاةُ مقصور . . . وأهل مكة يسمون العظَاة الحُكَاةُ والجميع الحُكَاةُ مقصورة . (ص ٥٢) .

١٢ - الإِدْفَاءُ القتل في لغة بعض العرب ، وفي الحديث أنه أتى بأسير يردد فقال لقوم اذهبوا به فأدفوه فذهبوا به فقتلوه فوداهُ صلى الله عليه وسلم أراد الإِدْفَاءُ من الدفء وأن يُدْفَأَ بثوب فحسبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن (أو جبينه) ، وأراد أدفتوه بالهمز يخففه بحذف الهمزة وهو تخفيف شاذ . . . وتخفيفه القياسي أن تحمل الهمزة بين بين لا أن تحذف ، فارتكب الشذوذ لأن الهمز ليس من لغة قريش . فأما القتل فيقال فيه أدفأت الجريح وداقأته ودقوته وداقأته وداقأته إذا أجهزت عليه . [ ملاحظة : لعلهم ظنوا الأمر من دفوته ] (ص ٧٠) .

١٣ - في لغة باحارث بن كعب « الصيص » هو « الشيص » عند الناس (ص ١٠٢) .

١٤ - ما فتئت وما فتأتُ أذكره لفتان بالكسر والنصب . . . وما أفتأتُ الأخيرة تميمية . (ص ١١٤) .

وروى عن أبي زيد قال تميم تقول أفتأت وقيس وغيرهم يقولون فتئت . (ص ١١٥) .

١٥ - قِرَاةُ البلاد وبأؤها قال الأصمى إذا قدمت بلادا فكنت بها خمس عشرة ليلة قد ذهبت عنك قِرَاةُ البلاد وقِرَاةُ البلاد . فأما قول أهل الحجاز قِرَاةُ البلاد فإنما هو على حذف الهمزة المتحركة وإلتاقها على الساكن الذي قبلها وهو نوع من القياس . (ص ١٢٨) .

١٦ - كَشَاتُ اللحية وكشأتُ (كثف وغلظ شعرها) . كَرْنَا شَجْرًا

الرجل كثر والتفّ في لغة بني أسد ( ص ١٣٢ ) .

١٧ — قل من يكلؤكم بالليل والنهار ، ومن قال يكلأكم قال كَلَيْتُ  
مثل قضيت وهي من لغة قريش ( ص ١٤٠ )

١٨ — المرأ الإنسان ، وزعم السكري أن كسر الميم لغة هذيل ( ص ١٥٠ )

١٩ — قال سيبويه ؛ ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلة بالهمز  
غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرّية والبرية والخلايية إلا أهل  
مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف ولا يهمزون غيرها ويخافون العرب في ذلك  
قال والهمز في النبي لغة رديثة يعني لقلّة استعمالها لأن القياس يمنع من ذلك  
ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلعم وقد قيل يا نبي الله فقال لا تنبر  
باسمي فإنما أنا نبي الله . ( ص ١٥٧ . وقارن الهامش ٦ )

٢٠ — استورأت الإبل إذا ترابت على نفار واحد ، وقال أبو زيد إذا  
نفرت فصعدت الجبل ، فإذا كان نفارها في السهل قيل استأور ، قال وهذا  
كلام بني عقيل ( ص ١٨٩ ) .

٢١ — قال عمر رضى الله عنه « لئن عشت إلى قابل لألحقن آخر الناس  
بأولهم حتى يكونوا بيانا واحدا » . أى متساوين في العطاء . وقرر الأزهرى  
أن بيان يمانية ( ص ٢١٦ ) .

٢٢ — التاب الضميف والجميع أتاب هذلية نادرة ( ص ٢٢٠ )

٢٣ — لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت  
فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء ( ص ٢٢٧ )

٢٤ — قال شعر الأثلّب بلغة أهل الحجاز الحجر وبلغة بني تميم التراب  
( ص ٢٣٥ ) .



- ٢٥ - الجذب مدك الشيء والجيد لفة تميم (ص ٢٥١) .
- ٢٦ - الجُشْبُ قشور الرمان يمانية (ص ٢٥٩) .
- ٢٧ - حكى اللحياني عن بنى سُلَيْمٍ ما أَحَبَّتْ ذلك أى ما أَحَبَّتْ كما قالوا ظَنَنْتُ أى ظَنَنْتُ (ص ٢٨١) .
- ٢٨ - الحَرْبُ الطَّلَعُ يمانية واحده حَرْبَةٌ وقد أحرب النخلَ وحَرْبِهِ إذا أطمعه الحَرْبُ وهو الطلع (ص ٢٩٥) .
- ٢٩ - أَنانى حِسَابٌ من الناس أى جماعة كثيرة وهى لفة هذيل .  
(ص ٣٠٣)
- ٣٠ - تَحَصَّبَ الخبِرَ استخبر عنه حجازية (ص ٣٠٧) .
- ٣١ - (أ) قال الفراء ذكر أن « الحَصْبُ » فى لفة أهل اليمن الحَطْبُ  
(ص ٣١٠ ، ٣١١)
- (ب) قال الفراء « الحصب » فى لفة أهل « نجد » ، مارميت به فى النار .
- (ج) وقال عكرمة حصب جهنم هو حطب جهنم بالعشبية .
- (د) الحَصَّبَ (بالضاد) الحطب فى لفة اليمن .
- ٣٢ - الحَوْبُ والعَوْبُ والحاب الإثم فالعَوْبُ بالفتح لأهل الحجاز والحَوْبُ بالضم لميم (ص ٣٢٩) .
- قال الأزهرى وبنو أسد يقولون : العائب للقاتل .
- ٣٣ - أهل البحرين يقولون للحديدة المقففة ، التى لا أشر لها ولا أسنان الخَلْبِ (ص ٢٥٠) .
- ٣٤ - التذَنُوبُ البُسر الذى قد بدا فيه الإرطاب من قبل ذنبه .

قال القراء جامنا بتذُنوب وهي لغة بني أسد ، والتيمي يقول تذُنوب  
والواحدة تذُنوبة (ص ٣٧٦)

٣٥ — ذَهَبَ الرَّجْلُ بِالْكَسْرِ يَذْهَبُ ذَهَبًا فَهُوَ ذَهَبٌ هَجَمَ فِي الْمَدَنِ عَلَى  
ذَهَبٍ كَثِيرٍ فَرَأَهُ فَرَأَلَ عَقْلَهُ وَبَرَقَ بَصَرُهُ مِنْ كَثْرَةِ عَظَمِيهِ فِي عَيْنِهِ .  
وحكى ابن الأعرابي ذَهَبَ قَالَ وَهَذَا عِنْدَنَا مَطْرَدٌ إِذَا كَانَ ثَانِيَةً حَرْفًا مِنْ  
حُرُوفِ الْحَلْقِ وَكَانَ الْفِعْلُ مَكْسُورَ الثَّانِي وَذَلِكَ فِي لُغَةِ بَنِي تَمِيمٍ وَسَمِعَهُ ابْنُ  
الْأَعْرَابِيِّ فَظَنَّهُ غَيْرَ مَطْرَدٍ فِي لُغَتِهِمْ فَلِذَلِكَ حَكَاهُ (ص ٣٨١) .

٣٦ — رَابِئِي أَمْرُهُ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ حَمْرٍ أَنَّهُ سَمِعَ هَذَا  
تَقُولُ أَرَابِي أَمْرُهُ (ص ٤٢٦) .

٣٧ — الشَّاعِبَانِ الْمَنْكِبَانِ لِتَبَاعُدِهِمَا يَمَانِيَةً (ص ٤٨٤) .

٣٨ — شَيْبٌ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ شَائِبٍ كَمَا قَالُوا بَازِلٌ وَبُزْلٌ أَوْ جَمْعُ شَيْوَبٍ  
عَلَى لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ كَمَا قَالُوا دَجَاجَةٌ بَيُّوضٌ وَدَجَاجٌ بَيُّوضٌ (٤٩٤) .

## الجزء الثاني

- ١ - السَّخْبُ لُفَةٌ فِي الصَّخْبِ رِبْعِيَّةٌ قَبِيحَةٌ (ص ٩).
- ٢ - قَالَ الْأَزْهَرِيُّ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي فِزَارَةَ يَقُولُ لِلخَادِمِ لَهُ أَلَا وَارْفَعْ لِي عَنْ صَعِيدِ الْأَرْضِ مِصْطَبَةً أَيْتَ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ . قَالَ وَسَمِعْتُ آخَرَ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ سَمَّاهَا الْمِصْطَفَةَ بِالْفَاءِ (ص ١١) .
- ٣ - السَّمَقُ الْقُرْبُ . وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَى بِالْقَتِيلِ قَدْ وُجِدَ بَيْنَ الْقَرِيْبَيْنِ حُمْلٌ عَلَى أَصْغَبِ الْقَرِيْبَيْنِ إِلَيْهِ أَى أَقْرَبَهُمَا ، وَيُرْوَى بِالسَّيْنِ . وَأَنْشَدَ لَابْنَ الرِّقِيَاتِ :  
كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحْلَتُهَا      لَا أُمَّمٌ دَارَهَا وَلَا صَقَبُ  
(ص ١٤) .
- ٤ - الطَّرْطُوبَةُ الضَّرْعُ الطَوِيلُ يَمَانِيَّةٌ عَنْ كِرَاعٍ (ص ٤٧) .
- ٥ - قَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ فِي سَعْدٍ : بَنُو عَبَّ السَّمْسِ ، وَفِي قَرِيْشِ بَنُو عَبْدِ السَّمْسِ (ص ٦٤) .
- ٦ - الْعَرْبُ جَمْعُ عَرُوبٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْعَسْنَاءُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا . وَقِيلَ هِيَ الشَّيْكَلَاتُ بِلُغَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَغْنُوجَاتُ بِلُغَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . (ص ٨١) .
- ٧ - طَيْرٌ عُكُوبٌ ، عُكُوفٌ . قَالَ وَالبَاءُ لُفَةٌ بَنِي خَفَاجَةَ مِنْ بَنِي عَقِيلِ (ص ١١٧) .
- ٨ - الْعَنْكَبُوتُ هِيَ بِلُغَةِ الْيَمَنِ عَكَنْبَاءُ (١٢٣) .
- ٩ - وَالْعَبِيَّةُ زَبِيلٌ مِنْ أَدَمَ يَنْقَلُ فِيهِ الزَّرْعُ الْمَحْصُودُ إِلَى الْجَرِيْنِ فِي لُفَةٍ مَهْدَانٍ (ص ١٤٥) .

- ١٠ — ابن سيده والغريب يسكون الراء شجرة ضخمة شاكة خضراء حجازية (ص ١٣٦) .
- ١١ — ولغة بني أسد امرأة غضبانة وملاّنة وأشباهاها (ص ١٤١) .
- ١٢ — الأزهرى أهل اليمن يسمون المرأة المسنة قَحْبِيَّة (ص ١٥٥) .  
( قيل للبنى قحبة لأنها كانت في الجاهلية تؤذن طُلابها بقُحايها وهو سعالها )  
وفي ص ١٩٨ الكَحْب بِلغة أهل اليمن العورة .
- ١٣ — قَرَبَ الشيء قَرَبًا صلب واشتد يمانية (ص ١٦٥) القَسْبُ الصلب الشديد، وقع في شعر رُوْبِيَّة . . .
- ١٤ — القِسْبَةُ الخسيس من الناس يمانية (ص ١٦٨) .
- ١٥ — وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْبِيَّة (ص ١٧٣) .
- ١٦ — القَلْبِيْب والقَلْبُوب والقَلْبُوب والقَلْبُوب والقَلْبُوب الذئب يمانية .  
(ص ١٨٢) .
- ١٧ — القائبة والقابة البيضة والقوب بالضم الفرخ . وفي المثل تخلصت قائبة من قوب يضرب مثلا للرجل إذا انفصل من صاحبه ، قال أعرابي من بني أسد لتاجر استخفزه إذا بلفت بك مكان كذا فبرئت قائبة من قوب ، أي أنا بريء من خفارتك (ص ١٨٧) .
- ١٨ — قال ورأيت في بعض النسخ تَكْتَبَان بكسر التاء وهي لغة بهراء يكسرون التاء فيقولون تَعَمُون ثم أتبع الكاف كسرة التاء (ص ١٩٢)  
[ ملحوظة : هل هي التاء أو الياء ؟ ]
- ١٩ — « لا يسمعون فيها لغوا ولا كِذَابا » أي كذبا عن اللحياني ، قال الفراء خففها على بن أبي طالب عليه السلام جميعا وتلقاها عاصم وأهل المدينة

وهي لغة يمانية فصيحة ، يقولون كذَّبتُ به كذَّابا وخروقت القميصَ حرَّاقا  
وكل فعلتُ فصدره فعَّال في لغتهم مشددة (ص ٢٠١) .

٢٠ - المطلب الجريء يمانية (ص ٢٢٠) .

٢١ - الكوَّبةُ السَّرْدُ في كلام أهل اليمن (ص ٢٢٥) .

٢٢ - قيل لصفية بنت عبد المطلب وضربت الزبيرَ : لم تضربينه ؟ قالت  
لِيلِبَّ ويقود الجيش ذا الجَلْبِ أى يصير ذالِبَ . قال ابن الأثير هذه لغة  
أهل الحجاز وأهل نجد يقولون لَبَّ يَلِبَّ بوزن فَرَّ يَفِرَّ .

٢٣ - آبابِ لَبَابِ يريد به لا بأس بلفظة حمير (ص ٢٢٨) [مخلوطة : هل  
تصحيف التاء باء ٤٤] (وانظر صفحة ٣٨٨ وهو في لفظة حمير لَبَاتِ أى لا بأس) .

٢٤ - اللَّازِبِ واللَّاتِبِ واحد قال وقيس تقول طين لاتب ، واللاتب  
اللازق (ص ٢٣١) .

٢٥ - حكى أبو عمرو بن العلاء عن أعرابي من أهل اليمن فلان آفوبٌ  
جاءتهُ كَتَانِي فاحترقها ، قلتُ أتقولُ جاءتهُ كَتَانِي فقال أليس هو الصحيفة ؟  
قلتُ فما اللغوب ؟ قال الأحق (ص ٢٣) .

٢٦ - ابن الأعرابي هَرِبَ الرجلُ إذا هَرِمَ . والمُروِبُ الثُّرْبُ يمانية  
الشحم على الكرش (ص ٢٨٢) .

٢٧ - المَروِبُ اسم النار ، والمَروِبُ اشتعال النار ووهجها يمانية وهَوِبُ  
الشمس ووهجها بلغتهم (ص ٢٨٧) .

٢٨ - الوثب القمود بلفظة حمير يقال ثِيبٌ أى أقمَدٌ ، ودخل رجل من  
العرب على ملك من ملوك حمير فقال له الملك ثِيبٌ أى أقمَدٌ فوثب فتكتمر .  
فقال الملك ليس عندنا عربيتٌ من دخل ظفار حمر أى تكلم بالحيرية . وقوله  
عربيتٌ يريد العربية فوقف على الماء بالتاء وكذلك لغتهم . ورواه بعضهم

ليس عندنا عربية كهربيتكم ، قال ابن سيده وهو الصواب عندي لأن الملك لم يكن ليخرج نفسه من العرب والفعل كالفعل . والوثابُ الفراش بلفظهم ، ويقال وثبته وثابا أى فرشت له فراشا والوثوب في غير لغة حمير النهوض والقيام ، والوثوبان بلفظهم الملك الذى يقعد ويلزم السرير ولا يفزؤ (ص ٢٩١)

٢٩ - الأثواب والأوباش والأوشاب الأخلاط من الناس والرّاع ، وثمره وشبة غليظة اللحم يمانية (ص ٢٩٦) .

٣٠ - اليكّب الدرّوع يمانية (ص ٣٠٦) .

٣١ - البرت والبرّت الفأس يمانية . والبرّت بلفظة اليمن السكر الطبرزد (ص ٣١٣) .

٣٢ - المبكّت المهرّ المضمون حميرية (٣١٦) .

٣٣ - ابن الأعرابي العرب تقول أيت وأبات وأصيد وأصاد ويموت ويمات ويدوم ويدام وأعيف وأعاف . ويقال أخيلُ الفيث بناحيتكم وأخالُ لغة وأزيلُ يقال زال يريدون أزال . قال ومن كلام بنى أسد ما يليق بك الخبير ولا يعميق إنباع الصحاح بات يبيتُ وبياتُ (ص ٣٢٠) وفى باب القاف ما عاقت المرأة عند زوجها ولا لاقت أى ما حظيت .

٣٤ - التابوه لغة في التابوت أنصارية (ص ٣٢١) .

٣٥ - هذيل تقول عتّى في حتّى (ص ٣٢٨) .

٣٦ - الحليّت الجليد والصقيع بلفظة طيمي (ص ٣٢٩) .

٣٧ - والحليّت الحخير الردى من الأشياء ، قال اليهودى الخيبرى :  
ينفع الطيبُ القليل من الرزق ولا ينفع الكثيرُ الخليّت  
وسأل الخليل الأصمعى عن الخليث في هذا البيت فقال له أراد الخليث

وهي لغة حبير فقال له الخليل لو كان ذلك لغتهم لقال « الكثير » وإنما كان ينبغي لك أن تقول إنهم يلقبون الثاء تاء في بعض الحروف . وقال أبو منصور في بيت اليهودي أيضاً أظن أن هذا تصحيف قال لأن الشيء الحقيق الرديء إنما يقال له الخلتيت بتاءين وهو بمعنى الخسيس فصحفه وجعله الخلتيت (ص ٣٣٢)

٣٨ — الخلتيتُ السمين حيرية ( ص ٣٣٦ ) .

٣٩ — غلبت الحاء على العين في لغة سعد فيقولون كنتُ مَحْمٌ في معنى مَعْمٌ ( ص ٣٤٤ ) .

٤٠ — قال أبو زيد سمعت رجلاً من قيس يقول هذا رجل سِكْتِيَت بمعنى سِكِّيَت ( ص ٣٤٨ ) .

٤١ — الطَّسْتُ هو الطَّسُّ بلغة طيء ، أبدل من إحدى السينين تاءً للاشتغال ( ص ٣٦٣ ) .

٤٢ — الأَعْفُ في بعض اللغات الأعرس قيل هي لغة تميم والأَلْفُ أيضاً الأعرس ( ص ٣٦٤ ) .

٤٣ — وتفاوتَ الشيطان أي تباعد ما بينهما تفاوتاً بضم الواو وقال الكلابيون في مصدره تفاوتوا ففتحوا الواو ( ص ٣٧٣ ) .

٤٤ — في لغة حبير لَبَاتُ أي لا بأس ( ص ٣٨٨ ) .

٤٥ — الأَصْتُ بفتح اللام الأَصُّ في لغة طيء ، وجمعه لُصُوتٌ وهم الذين يقولون للطس طسْتُ ( ص ٣٨٩ ) .

٤٦ — الأَلْفُ والأَلْفُكُ في كلام تميم الأعرس سمي بذلك لأنه يعمل بجانبه الأميل وفي كلام قيس الأحمق مثل الأَعْفُ ( ص ٣٩٠ ) .

٤٧ — مات يموت موتاً ويمات الأخيرة طائية ( ص ٣٩٦ ) .

٤٨ — حَوَتْ لُفَةً فِي « حَيْث » إِمَا لُفَةُ طَبِيءٍ وَإِمَا لُفَةُ تَمِيمٍ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ هِيَ لُفَةُ طَبِيءٍ قَطَطٌ (ص ٤٤٤) .

٤٩ — هِيَ لُفَةُ فَاشِيَةٍ فِي الصَّجَّازِ يَقُولُونَ يَرِيدُ يَفْعَلُ أَيُّ أَنْ يَفْعَلَ ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ وَمَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتُهَا وَارِدَةً فِي كَلَامِ الشَّافِعِيِّ (ص ٤٦٣) .

٥٠ — طَحَنَهُ يَطْحَنُهُ طَحْنًا ضَرَبَهُ بِكَفِّهِ يَمَانِيَةً (ص ٤٧٠) .

٥١ — أَصْلُ الْعَيْثِ الْفَسَادُ وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ عَثَى لُفَةُ أَهْلِ الصَّجَّازِ وَهِيَ الْوَجْهَ

وَعَثَ لُفَةُ بَنِي تَمِيمٍ ، قَالَ وَهُمْ يَقُولُونَ وَلَا تَعِيثُوا فِي الْأَرْضِ (ص ٤٧٦) .



## الجزء الثالث

١ - والجيم والشين والصاد ثلاثة في حيز واحد وهي من الحروف الشجرية والشجر مفرج الفم ، ومخرج الجيم والقاف والكاف بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم !! وقال أبو عمرو بن العلاء بعض العرب يبدلون الجيم من الياء المشددة . قال وقتل رجل من حفظة ممن أنت ؟ قال فُقَيْمِيحٌ ، قلت من أيهم ؟ قال مُرَّجٌ ، يريد فُقَيْمِيحٌ مُرَى . وأنشد لهُمِيان بن قُحافة السعدي يُطِيرُ عنها الوبرَ الصَّهَابِجاً [ قال يريد الصهَابِيَا من الصَّهْبَةِ . وقال خلف الأحمر أنشدني رجل من أهل البادية :

خلى عوف وأبو علقع المطمان اللحم بالمشح  
وبالفداة كسر البرنج ، يريد عليا والعشي والبرقي ، قال وقد أبدلوا من  
إياء الخففة أيضاً ، وأنشد أبو زيد .

يارب إن كنت قبلت حججج  
أقرُّ نهارٌ بُزِّي وَفَرَجج

(ص ٢٦) وانظر ص ١٤٤ .

٢ - الْجَلَجُ في لغة أهل اليمامة حباب الماء (ص ٤٧) .

٣ - قال ابن شميل : أهل اليمامة يسمون بطيخا عندهم أخضر مثل ما يكون  
عندنا أيام التَّيرِماه ( رابع الشهور الشمسية عند الفرس ) بالبصرة الْحَدَجُ  
(ص ٥٦) .

٤ - الْجَخُّ بفتح الميم الفتور من مرض أو تعب يمانية (ص ٨٦)

- ٥ — دَحَجَ ابن سيدة دَحَجَهُ يَدَحَجُه دَحَجًا عرَكَه عَرَكَ كَعَرَكَ  
الأديم يمانية ، والنال المعجزة لغة وهى أعلى ( ص ٩٠ ) .
- ٦ — المَزِجَةُ ما يُزَجِجُ به الحاجبُ ، والأزجُ الحاجب اسم له فى لغة  
أهل اليمن ( ص ١١١ ) .
- ٧ — أما الزوج فأهل الحجاز يسمونه للمذكر والمؤنث وضماً واحداً تقول  
المرأة هذا زوجى ويقول الرجل هذه زوجى ، قال الله عز وجل : اسكن أنت  
وزوجك الجنة ، وأمسك عليك زوجك ، وبنو تميم يقولون هى زوجته ،  
وأبى الأصمى قال زوج لا غير ، وقال الفرزدق :
- ولئن الذى يسمى يُجرشُ زوجتى كساعٍ إلى أسد الشرى يستبيلها  
( ص ١١٦ ) .
- ٨ — المِسَجَّة التى يُطلَى بها لغة يمانية ( ص ١١٩ ) .
- ٩ — السَّمْنَجُ والسَّمِيجُ الذى لا ملاحه له الأخيرة هذلية ( ص ١٢٤ ) .
- ١٠ — الشَّبَجُ الباب العالى البناء هذلية ( ص ١٢٧ ) .
- ١١ — الليث وابن دريد تقول هذيل غَنَجٌ على شَنَجِ أى رجل على  
جمل فالغنج هو الرجل والشنج الجمل . والشنج الشيخ هذلية ، يقولون شَنَجٌ  
شنج على غنج أى شيخ على جمل ثقيل والله أعلم ( ص ١٣٤ ) وانظر ص ١٥٤
- ١٢ — الأَصْلَجُ الأصلع بلغة بعض قيس ( ص ١٣٥ ) .
- وقال الأزهرى فى ترجمة « صلخ » « الأصاخ » بالخاء الأصم كذلك قال  
الفراء وأبو عبيد ، قال ابن الأعرابى فهؤلاء الكوفيون أجمعوا على هذا  
الحرف بالخاء وأما أهل البصرة ومن فى ذلك الشق من العرب فإنهم يقولون  
« الأصلج » بالجيم . قال وسمعت أعرابياً يقول فلان يتصالح علينا أى يتصامم ،

قال ورأت أمة صماء تعرف بالصلحاء ، قال فهما لغتان جيدتان بانحاء والجمع .  
قال الأزهرى وسمعت غير واحد من أعراب قيس وتميم يقول للاصم أصلح  
وفيه لفظة أخرى لبني أسد ومن جاورهم أصلح بانحاء ( ص ١٣٥ ) وانظر  
ج ٤ ص ٣ .

١٣ - والمصححة في قضاة كالمنمنة في تميم يحولون الياء جيا مع المين  
يقولون هذا راعج حرج معج أى راعى حرج معى كما قال الراجز :  
خالى لقيطٌ وأبو علجٍ      المطمان اللحم بالمشج  
وبالفداء كسر البرمج      يُقلعُ بالودِّ بالصيصج  
أراد على والمشى والبرى والصيصى ( ص ١٤٤ ) .

١٤ - ابن سيده رجل أعصجُ أصلح لفظة شغناء لقوم من أطراف اليمن  
لا يؤحد بها ( ص ١٤٩ ) .

١٥ - وقولهم شيخ على عنج أى شيخ هرمٌ على حمل ثقيل ، والمنجُ  
بلغة هديل الرجل وقيل هو بالئين معجمة قال الأزهرى ولم أسمعها بالمين من  
أحد يرجع إلى علمه ولا أدرى ما صحته ( ص ١٥٤ ويقارن بصفحة ١٣٤ ) .

١٦ - وما أعيج من كلامه بشئ أى ما أعبا به ، قال وبنو أسد يقولون  
ما أعوجُ بكلامه ( ص ١٦٠ ) .

١٧ - ويقال اللجج السيف بلغة طيء وقال شمر قال بعضهم اللجج السيف  
بلغة هديل وطوائف من اليمن ( ص ١٧٨ ) .

١٨ - قال الأزهرى وسمعت أعرابيا من بني كليب يقول : لئنا فتح  
أبو سعيد القرمطى « هجر » سوى حطاراً من سف النخل وملاه من النياء  
المجرباب ثم ألجج النار في الحطار فاحترقن ( ص ١٨١ ) .

١٩ - أبو السَّمِيدِيعِ سرنا عَقِبَةً مَتَوَجًّا أَي بَعِيدَةً قَالَ وَسَمِعْتُ «مَدْرَكَا»  
و «مَبْتَكْرَا» الْجَعْفَرِيَّيْنِ يَقُولُونَ سرنا عَقِبَةً مَتَوَجًّا وَمَتَوَخًا، وَمَتَوَخًا، أَي  
بَعِيدَةً فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ لَفَاتٍ (ص ١٨٥) .

٢٠ - قَالَ بَعْضُ غَنِيِّيْنَ يُقَالُ لَجَلَجَتُ اللَّقْمَةِ وَنَجْنَجَتِهَا، إِذَا حَرَكْتَهَا فِي  
فِيكَ وَرَدَدْتَهَا فَلَمْ تَبْتَلَمَهَا (ص ١٩٨) .

٢١ - تَنَفَّجَتِ الْأَرْبُ أَقْشَمَرَتُ يَمَانِيَّةٌ (ص ٢٠٥) .

٢٢ - وَوَادٍ هَجِييَجٌ وَإِهْجِييَجٌ عَمِيقٌ يَمَانِيَّةٌ (ص ٢٠٩)

٢٣ - قَالَ أَبُو مُوسَى الْمَرْجُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْقَتْلُ (ص ٢١٢)

٢٤ - الْوَيْجُ خَشْبَةُ الْفَدَّانِ عُمَانِيَّةٌ (ص ٢٢٥)

٢٥ - وَقَالَ الْحَيَّانِيُّ زَعَمَ الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَقُولُ :

إِذَا قِيلَ لَنَا أَبَقِيَ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قُلْنَا بِحَبَّاحٍ أَي لَمْ يَبْقَ (ص ٢٣٠)

٢٦ - جَعَّ الشَّيْءُ يَجُحُّهُ جَعًّا سَجَبُهُ يَمَانِيَّةٌ (ص ٢٤٣)

٢٧ - قَالَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ لِي صَبِيٌّ مِنْ أَعْرَابِ بَنِي أَسَدٍ دَلْبِجٌ أَي طَاطِيٌّ؛

ظَهْرَكَ ، قَالَ وَدَرْجٌ مِثْلُهُ (ص ٢٦٠)

الأزهرى قال أعراب بني أسد دلبيج أي طاطي . ظهرك ودرج مثله

(ص ٢٦٠)

٢٨ - قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ السُّحُّ تَمْرٌ يَابِسٌ لَا يُكْنَزُ لِقَعَةِ يَمَانِيَّةٍ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ

وَسَمِعْتُ الْبَحْرَانِيِّينَ يَقُولُونَ لَجَسَ مِنْ الْقَسْبِ (تَمْرٌ يَابِسٌ يَفْتَقُ فِي الْقَسَمِ)

السُّحُّ (ص ٣٠٦)

٢٩ - وَالسَّرْحَانُ (الذئب المشهور) ، وَالسَّيِّدُ الْأَسَدُ بَلْفَةٌ هَدِيلٌ

(ص ٣١١) .

٣٠ - السَّمْعَةُ الصَّلَعُ يمانية رجلُ أُسْتَعِحُ وسيدُ كَرِي الصَّاد (ص ٣١٦)

الصَّمْعَةُ الصَّلَمَةُ ورجلُ أُصْتَعِحُ يمانية (ص ٣٤٨)

٣١ - الشَّارِحُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْيَمِينِ الَّذِي يُحْفَظُ الزَّرْعَ مِنَ الظُّهُورِ وَغَيْرِهَا

(ص ٣٢٩)

٣٢ - الشَّمْعَةُ وَالشَّمْعَةُ الْبُسْرَةُ التَّنْفِيرَةُ إِلَى الْحَمْرَةِ . قَالَ وَهُوَ فِي لَفَةِ أَهْلِ

الْحِجَازِ الزَّهْوِيُّ (ص ٣٢٩)

٣٣ - الشَّلْحَاءُ السِّيفُ بِلَفَةِ أَهْلِ الشَّجَرِ وَهِيَ بِأَقْصَى الْيَمِينِ (ص ٣٣٠)

٣٤ - وَقَوْلُ الْمَذَلِيِّ [ وَكَرَّمْ مَاءَ صَرِيحًا ] أَي خَالِصًا ، وَأَرَادَ بِالتَّكْرِيمِ

التَّكْثِيرَ قَالَ وَهِيَ لَفَةٌ هَذَلِيَّةٌ (ص ٣٤١)

٣٥ - قَالَ ابْنُ كَلْتُومٍ ضَحْضَاحٌ فِي لَفَةِ هَذَلِيَّةٍ كَثِيرٌ لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُهُمْ

يُقَالُ عِنْدَهُ إِبِلٌ ضَحْضَاحٌ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ غَمٌّ ضَحْضَاحٌ وَإِبِلٌ ضَحْضَاحٌ كَبِيرَةٌ

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ هِيَ الْمُنْتَشِرَةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَالضَّحْضَاحُ فِي الْأَصْلِ مَارِقٌ مِنَ

الْمَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَا يَبْلُغُ الْكَمِينَ (ص ٣٥٧)

٣٦ - وَقَفَّاحَةُ الْهَيْدِ وَقَفَّحَتْهَا رَاحَتُهَا يَمَانِيَّةٌ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِاتِّسَاعِهَا ،

وَالْقَفَّحَةُ مَنْدِيلُ الْإِحْرَامِ كُلُّ ذَلِكَ بِلَفْتِهِمْ ، وَقَفَّحَ الشَّيْءُ بِنَفْسِهِ قَفَّحًا سَفَّهُ كَمَا

يُسْفُ الدَّوَاءُ يَمَانِيَّةٌ (ص ٣٨٠)

٣٧ - الْقَدَّاحُ النِّصْفِيَّةُ (الرُّطْبَةُ مِنَ عِلْفِ الْهَوَابِ) الرُّطْبَةُ هَوَاتِيَّةٌ

الْوَاحِدَةُ قَدَّاحَةٌ (ص ٣٩١)

٣٨ - الْقَمْحُ لَفَةٌ شَامِيَّةٌ وَأَهْلُ الْحِجَازِ قَدْ تَكَلَّمُوا بِهَا (ص ٤٠٠)

٣٩ - وَرَوَى عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الْقَمَّحُ كِرَاهَةُ الشَّرْبِ (مَادَةٌ

قَمْحٌ) ، وَلَكِنَّ الْقَمَّحَ (مَادَةٌ قَمْحٌ) أَنْ تَشْرَبَ فَوْقَ الرَّئِيِّ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ

وهو كما قال شمر وهو التفتح والترشح سمعت ذلك من أعراب بني أسد  
(ص ٤٠١، ٤٠٢)

٤٠ — ورجل بجّاح بجّاح بما لا يملك يمانية (ص ٤٢٥)

٤١ — وحضرتي أعرابيان فصيحان من بني كلاب قال أحدهما لا أقول  
إلا إنفتح وقال الآخر لا أقول إلا منفحة ثم افترقا على أن يسألا عنها أشياخ  
بني كلاب فاتفقت جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا فهما لغتان ، وفتح  
المرأة زوجها يمانية (ص ٤٦٤)

٤٢ — امرأة بيّذخة تارة لفة حميرية ، (في مادة بذخ) وامرأة بيّذخ  
أى باذن (ص ٤٨٤)

٤٣ — البرّخ الكبير الرّخص همانية وقيل هي بالعبانية أو السريانية ،  
يقال كيف أسعارهم فيقال برّخ أى رخيص (ص ٤٨٤)

٤٤ — الخوخة كوة في البيت تؤدي إليه الضوء ، والخوخة مخترق  
ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب بلغة أهل الحجاز (ص ٤٩٠)

٤٥ — الرّذخ مثل الرذغ همانية (كلاهما بمعنى الوحل الكثير) (ص ٤٩٥)

٤٦ — «رمخ» شمر هو السدا والسداء ممدود (البلح) بلغة أهل المدينة ،  
وهو السيّاب (بلح أو تمر) بلغة وادي القرى ، وهو الرّمخ بلغة طيء واحدها  
رُمخة ، والخلال بلغة أهل البصرة ، والرّمخ الشجر الجتمع والرّمح والرّمخ  
البلح واحده رُمخة لفة طائية (ص ٤٩٦)

٤٧ — الرّخيخ النار يمانية (ص ٤٩٨)

٣٨ — السّمخ لفة في الصّمخ ، ويقال سمخى بمخة صوته وكثرة كلامه  
ولغة تميم الصّمخ (ص ٥٠٤)

## الجزء الرابع

- ١ - الأصلح الأصمّ كذلك قال الفراء وأبو عبيد فهؤلاء الكوفيون أجمعوا على هذا الحرف بالخاء المعجمة وأما أهل البصرة ومن في هذا الشق من العرب فإنهم يقولون الأصلح بالجيم (ص ٣) [ وانظر ج ٣ ص ١٣٥ ]
- ٢ - الصّناخ من الأذن الخشرق الباطن الذي يفضى إلى الرأس تسمية والصناخ لغة فيه (ص ٤)
- ٣ - الطَّبِيخ بلفظة أهل الحجاز البطيخ وقيده أبو بكر بفتح الطاء (ص ٧)
- ٤ - وأهل اليمن يسمون الصّنعَ (بمعنى الضرب) القفّخ (ص ١٧)
- ٥ - نكّخه في حلقه نكّخاً لمزه يمانية (ص ٣٢)
- ابن سيده الهبيّخة المرصعة وهي أيضاً الحارية التارة المتلثة وكل جارية بالحيرية هبيّخة والهبيّخ فمّيل بتشديد الياء الغلام بفتحهم أيضاً (ص ٣٢)
- ٦ - وثوب برود إذا لم يكن دفيناً ولا تيناً من الثياب وثوب أبرد فيه لُح سوادٍ وبياض يمانية (ص ٥٤)
- ٧ - البلّد الدار يمانية (ص ٦٢)
- ٨ - التقرّدة الكسيرة عن ابن دريد قال والتقرّدة الأبرار كلها عند أهل اليمن (ص ٦٨)
- ٩ - وأجداد أخلقّان من الثياب وهو معرب كدّاد بالفارسية ، والجداد الخيوط المقدّة يقال لها كدّاد بالنبطية (ص ٨٥)
- ١٠ - الجرّيمة السّفّة ما كانت ، بلفظة أهل الحجاز (ص ٩١)

١١ - قال أبو عبيد والمزبد أيضاً موضع التمر مثل الجرين فالربد بلفظة أهل الحجاز والجرين لهم أيضاً والأندَر لأهل الشام والبَيْدَر لأهل العراق . قال الجوهري وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر لينشف مربداً وهو السطّح والجرين في لغة أهل نجد ، والمربد للتمر كالبيدر للحنطة (ص ١٥١) ورُبْد السيف فرنده هذلية .

١٢ - الرَنْدُ الآس وقيل وهو المود الذي يُبَخَّر به ، واحدته رَنْدَةٌ ، قال الأزهري الرند عند أهل البحرين شبه جوالق ، ورأيت هجران يقول الرند وكأنه مقلوب ( ص ١٦٩ )

١٣ - السَّبْنَدِي والسَّبْنَدِي والسَّبْنَتِي النمر وقيل الأسد ، وقيل السبندى الجرىء من كل شيء هذلية ( ص ١٨٧ ) قال الأزهري . في الرباعي السبندى الجرىء . وفي لغة هذيل الطويل ، « الساجد » المنتصب في لغة طيء . قال الأزهري ولا يحفظ لغير الليث

١٤ - السُّودُ الفِئَاء بلفظة حمير ، يقال اسمدى لنا أى غنى لنا (ص ٢٠٤)

١٥ - والسُّودُ الشرف معروف وقد يهمز وتضم اللال طائفة ، الأزهري السُّودُ بضم اللال الأولى لغة طيء . ( ص ٢١٣ )

١٦ - السَّيْدُ الذئب ويقال سيْدُ رَمَل ، وفي لغة هذيل الأسد (ص ٢١٧)

١٧ - فيمكن تخريجه على لغة بعض العرب من بكر بن وائل يقولون «رَدَّتْ ، رَدَّتِ ، رَدَّنَ» ، يريدون رَدَدَتْ ، رَدَدَتْ ، رَدَدَنَ . قال الخليل كأنهم قدروا الإدغام قبل دخول التاء والنون ( ص ٢٢٠ )

١٨ - والشكْدُ الجراء والشكْدُ كالشكر يمانية ( ص ٢٢٤ )

١٩ - الليث لغة تميم شهيد بكسر الشين يكسرون فعيلا في كل شيء . كان



ثانيه أحد حروف الحلق، وكذلك سُفلى مصر يقولون فَمَيْلا قال ولفظة  
شماء يكسرون كل فَمَيْل والنصب اللفظة العالية (ص ٢٢٧)

٢٠ - وكذلك فَمِين قال رُسُلٌ مخففة قال وهي اللفظة التيمية  
(ص ٢٤٩)

٢١ - وأهل الحجاز ينبتون البياض والواو نحو صَيْدٍ ، عَمْرٍ ، وغيرهم  
يقول صادَ بَصادُ ، عارَ بَمارُ (ص ٢٥٠) ، والصائدُ الساقُ بلفظة أهل اليمن  
(ص ٢٥١)

٢٢ - وقد يوضع الضَّادُ على الرأس للصداع يُضدُّ به والمضدُّ لفة يمانية  
(ص ٢٥٣)

[ص ٤١٢ . المضدُّ لفة في ضد الرأس يمانية]

٢٣ - سألت أبا عبيدة عن الماء المدِّ فقال لي الماء المدُّ بلفظة تميم الكثير  
قال وهو بلفظة بكر بن وائل الماء القليل (ص ٢٧٦)

٢٤ - المضدُّ وهو ما بين الرق إلى الكتف والكلام الأكثر المضدُّ  
قال أبو زيد أهل تهامة يقولون المضدُّ والمعْبُزُ ويدكرون (ص ٢٨٣)

٢٥ - وقوله أحمدُ تاهَ رِجلاه على لفة من قال أكلوني البراغيث وهي  
لفة طيبة (ص ٢٩٦)

٢٦ - التراميد في كلام أهل الشام آجرُ الحمامات وقيل وهي بالرومية  
قَرْمِيدِي (ص ٣٥٢)

٢٧ - الإِقلِيدُ المفتاح يمانية وقال اللحياني هو المفتاح ولم يَمْرُها إلى اليمن  
(ص ٣٦٨)

٢٨ - قَادَ الدابة قَوْدًا فهي مَمَّوْدَةٌ ، مَمَّوْدَةٌ الأخيرة نافذة وهي تيمية  
(ص ٣٧٢)

٣٩ — ولغة بنى عدي كذتُ أفضلُ كذا بضم الكاف (ص ٣٨٦).

وكوَدَ التراب جمعُه وجملُه كُثْبَةٌ يمانية .

٣٠ — كدَهُ عن الأمر كدأ حبسه هذليّة (ص ٣٩٦)

٣١ — وأما أبو عبيد فروى عن أبي عبيدة أن أهل العالية يقولون مجدّ

الناقة مخففا إذا علفها ملء بطونها وأهل نجد يقولون مجدّها تمجيدا مشددا

إذا علفها نصف بطونها (ص ٤٠٢) .

[ العالية ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة ]

٣٢ — قال الأخفش نُجِدَ لُفَةٌ هذيل خاصة يريدون نَجْدًا (ص ٤٢٢) .

وقال فلان من أهل نجد قال وفي لُفَةٌ هذيل والحجاز من أهل النُجُد

(ص ٤٢٥) .

٣٣ — وجدَ مطلوبه والشئ يَجِدُه وُجودا . ويَجُدُه أيضا بالضم لُفَةٌ

عامرية لا نظير لها في باب المثال قال لبيد وهو عامري [ تدعُ الصوادي

لا يَجُدُنْ غليلا ] قال ابن بري الشعر الجريز وليس للبيد كما زعم (ص ٤٥٨) .

٣٤ — فإن وافق قولَ عملاً فأخيه وأوددَهُ أَي أُحِبُّهُ وصادقُهُ فأظهر

الإدغام للأمر على لغة الحجاز (ص ٤٦٩) .

الوَدُّ الوَتِدُ بلغة تميم . الجوهري الوَدُّ بالفتح الوتد في لغة أهل نجد كأنهم

سكنوا التاء فأدغموها في الدال (ص ٤٧٠) .

## الجزء الخامس

- ١ - قال ابن جنى قال خالد : إذا لفة هديل وغيره يقولون إذية (ص ٨).
- ٢ - الرَبْدَةُ الخرقَةُ يُهْنَأُ بِهَا تَمِيمِيَّةٌ (ص ٢٥).
- ٣ - أُنْجِدَ الكَابَ أَغْرَاهُ بِمَانِيَّةٍ (ص ٢٨).
- ٤ - الشموذة ليس من كلام أهل البادية (ص ٢٩) والطرْمَذَةُ ليس من كلام أهل البادية (ص ٣٢).
- ٥ - وحكى عن بنى سليم ما رأيتهُ مِنْذُ سَيْتٍ بِكسر الميم ورفع ما بعده وحكى عن عَكَلٍ مِيدُ يومان بطرح النون وكسر الميم وضم اللال ، وقال بنو ضبة والرياب يخفضون بِمَذْ كل شيء (ص ٤٧).
- ٦ - وفي حديث محمد بن مسلمة فإذا جارية من الأنصار على إجارٍ لهم ، والإيجار بالنون لفة فيه (ص ٦٧).
- ٧ - قال الأضمى استَوَارَتْ الإِبِلُ إِذَا تَرَابَتِ عَلَى نَفَارٍ وَاحِدٍ . وقال أبو زيد : ذلك إذا فرت فصعدت الجبل ، فإذا كان نفلها في السهل قيل استأورت ، قال وهذا كلام بنى عُقَيْلِ (ص ٩٦).
- ٨ - قال وأما ما يروى من أن النمر بن تَوَلَّبٍ قال سمعت رسول الله صلعم يقول : « ليس من أمّيرٍ أمصيامٍ في أمسفر » يريد من البرِّ الصيام في السفر فإنه أبطل لام المعرفة ميمًا . وهو شاذ لا يسوغ حكاة عنه ابن جنى ، قال ويقال إن النمر بن تولب لم يرو عن النبي صلعم غير هذا الحديث (ص ١١٦).

٩ - قال وقال بعضهم أْبْشَرْتُ ( بمعنى كَشَرْتُ ) ولعلها لغة حجازية (ص ١٢٧) .

١٠ - البَطْرُ الخاتم حميرية وجمه بطور ، قال شاعرهم : « كما نَلَّ البَطُورَ من الشناتر » الشناتر الأصابع . قال والبَصْرُ بالضاد نون الجارية قبل أن تُخَفَضَ ، ومن العرب من يبدل الظاء صاداً فيقول البَصْرُ وقد أشتكى ضهرى ، ومنهم من يبدل الضاد ظاءً فيقول قد عظمت الحربُ بنى تميم (ص ١٣٧)

١١ - وبنو تميم يقولون « بَعِيرٌ » بكسر الباء وشدِّير وسائر العرب يقولون بَعِيرٌ (ص ١٣٧) .

١٢ - وأهل اليمن يسمون البقرة بأقورة وكتب النبي صلعم في كتاب الصدقة لأهل اليمن « في ثلاثين بأقورة » بقرة (ص ١٤٠) .

١٣ - التَّيْهُورُ ما اطمان من الأرض وقيل هو ما بين أعلى شفير الوادى وأسفله العميق نجدية وقيل هو ما بين أعلى الجبل وأسفله هدلية (ص ١٦٣) .

١٤ - وقال اللحياني جَبْرَهُ لغة تميم وحدها قال وعامة العرب يقولون أجبره . قال الأزهرى وهى لغة معروفة وكان الشافى يقول جَبْرَ السلطان وهو حجازى فصيح (ص ١٨٥) .

١٥ - الحظيرة جَرِين التمر نجدية لأنه يحظره ويحصره ، والحظيرة ما أحاط بالشيء (ص ٢٧٩) .

١٦ - والحفَرُ والحفَرَّ سلاق فى أصول الأسنان وتيل هى صفرة تملو الأسنان . ويقال فى أسنانه حفَرٌ وبنو أسد تقول فى أسنانه حفَرٌ بالتحريك (ص ٢٨١) .

١٧ - وحرَّ الرحل تكلام بكلام حمير ولهم ألفاظ وانفات تخالف لغات

سائر العرب ومنه قول الملك الحميري ملك ظفار وقد دخل عليه رجل من العرب فقال له الملك نيب، وثب بالحميرية اجلس فوثب الرجل فاندقت رجلاه فضحك الملك وقال ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر أى تعلم الحميرية (ص ٢٩٤) وانظر ج ٢ ص ٢٩١ .

١٨ - استخمرَ قوماً أى استبدم بفتح أهل اليمن ، وأخوه الشيء أعطاه إياه أو ملكه ، قال محمد بن كثير هذا كلام عندنا معروف باليمن (ص ٣٤٣)

١٩ - الراجح والميسر باليمانية اسم الخشب الطويلة ، بين الثورين (ص ٣٦٣) وانظر ج ٣ ص ٢٢٥ .

٢٠ - قال القراء و « مذكر » فى الأصل مُذْكَرٌ عَلَى مُفْتَعِلٍ فَصِيرَتْ الذال وتاء الافتعال دالا مشددة قال وبعض بنى أسد يقول مذكر فيقبلون الدال فتصير ذالا مشددة وقد قال الليث المذكر ليس من كلام العرب ورييمة تغلط فى الذكر فتقول دكر (ص ٣٧٦) .

٢١ - أجمع القراء على ترك الهمز فى الذرية وقال يونس أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب فيهمزون النوى والبرية والذرية (ص ٣٩١) وانظر ج ١ ص ٢٢ .

٢٢ - قال ابن الأعرابي من غريب شجر البر الزناير واحدها : زنبيرة ، زنبارة ، زنبورة وهو ضرب من التين وأهل الحضر يسونه الخلواني (ص ٤٢٠) .

## الجزء السادس

- ١ - السَّوَجْرُ ضرب من الشجر قيل هو الخِلاف، يمانية (ص ١١).
- ٢ - أبو عمرو وسمعت بعض قيس يقول سدّل الرجل في البلاد وسدّر إذا ذهب فيها فلم يشته شيئا (ص ٢٠).
- ٣ - السَّقْر من جوارح الطير معروف لغة في الصقر، والزقَر الصقر مضارعه وذلك لأن قلب السين مع القاف خاصة زايا ويقولون في « مسّ سَقْر » مسّ زقر (ص ٣٧).
- ٤ - الجوهري لغة بنى أسد « سكرانة » (ص ٣٨).
- ٥ - الواحدة من كل ذلك شجرة، شجرة، وقالوا شِكيرة فأبدلوا فيما أن يكون على لغة من قال شجرة وإما أن تكون الكسرة لجاورتها الياء. قلبت الجيم ياء في شيرة كما قلبوا الياء جيمًا في قولهم أنا تميمج أي تميمي. والذي حكاه سيبويه، أن ناسًا من بني سعد يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف خاصة وذلك لأن الياء خفيفة، فأبدلوا من موضعها أباين الحروف وذلك قولهم تميمج في تميمي فإذا وصلوا لم يبدلوا فأما ما أنشده سيبويه من قولهم:
- خالي عوف وأبو عالج      المظمان اللحم بالمشج  
وفي الفداء فلق البرنج
- فإنه اضطر إلى التافية، فأبدل الجيم من الياء في الوصل كما يبدلها في الوقف (ص ٦١)
- ٦ - وأهل الحصار يقولون هذه الشجر بعير هاء وهم يقولون هي البر وهي الشعير وهي التمر (ص ٦٢)

- ٧ — شعَرَ فاه شعراً ففتحهُ قال ابن دريد أحسبها يمانية (ص ٦٥) .
- ٨ — والشَّرَّان على تقدير فعلان دواب مثل البعوض واحدها شرَّانة لفة لأهل السواد (له المموش) (ص ٦٩) .
- ٩ — الشَّرشُور طائر صغير مثل العصفور قال الأصمعي تسميه أهل الحجاز الشرشور وتسميه الأعراب البرقش (ص ٧٠) .
- ١٠ — الشُّنْثَرَةُ الأصمغ الحميرية قال حميرى منهم يرى امرأة أكلها الذئب: أيا جِجَمْتا بكي على أمّ واهب. أكلة قلوبِ ببعض المذانب فلم يبق منها غير شطر عجائها وشُنْثَرَةٌ منها وإحدى الذوائب التهذب الشُّنْثَرَةُ والشُّنْثِيرَةُ الإصمغ بلغة أهل اليمن، وأنشد أبو زيد: ولم يبق منها غير نصف عجائها وشنثيرة منها وإحدى الذوائب وقولهم لأضْمَنَكَ ضمّ الشنار وهي الأصابع، ويقال القِرْطَةَ لفة يمانية الواحدة شُنْثَرَةٌ وذو شنار من ملوك اليمن يقال معناه ذو القِرْطَةَ (ص ٩٩) .
- ١١ — قال الأزهرى والمصطار من أسماء الحمر التي اعتصرت من أبقار العنب حديثاً بلغة أهل الشام قال وأراه روميّاً لأنه لا يشبه أبنية كلام العرب (ص ١٢٦) .
- ١٢ — والصَّمْعَتَرِيُّ الشاطرُ عراقيّ قال الأزهرى رجل صعترى لا غير إذا كان فتى كريماً شجاعاً (ص ١٢٨) .
- ١٣ — والصُّفْرِيَّة ثمرة يمانية تجفف بُسْراً وهي صفراء فإذا جفت ففُرُكتْ انفركت ويُحلى بها السويق فتفوق موقع السكر (ص ١٣٠) .
- ١٤ — والصُّفْرُ والصَّفْرُ ما تحلَّبَ من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر وخص بعضهم من أهل المدينة به دِيس التمر، وقيل هو ما يسيل من

الرطب إذا يبس والصقر الدُّبْس عند أهل المدينة ( ص ١٣٦ ) .

قال أبو منصور والصقر عند البعرايين ما سال من لبال التمر التي كُنزَتْ  
وسدك بعضها فوق بعض في بيت مُصرَّج تحتها خواب خضر فينصر منها  
دُبْسٌ خام كأنه العسل ( ص ١٣٧ ) .

١٥ — الصنارة بكسر الصاد الحديدية الدقيقة المُعَقَّة التي في رأس المِغزل  
ولا تقل صِنارة . والصنارة الأذن يمانية ( ص ١٣٨ ) .

١٦ — وفي قراءة عبدالله بن مسعود وأبي جعفر المدني « فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ »  
بالكسر أي قَطْمُنَّ وشَقْمُنَّ وقِيلَ وَجَهْمُنَّ ، الفراء ضمت العامة الصاد  
وكان أصحاب عبدالله يكسرونها وهي لغتان فأما الضم فكثير وأما الكسر  
ففي هذيل وسليم ( ص ١٤٩ ) .

١٧ — ضاره الأمرُ بظوره كبضيره ضيراً وضورا أي ضره وزعم  
الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول ما ينفضي ذلك ولا بظورني .  
ابن الأعرابي الضورة الضعيف من الرجال قال الفراء سمعت أعرابياً من بني  
عامر يقول لآخر أَحْبَبْتَنِي ضُورَةً لا أَرَدُ عن نفسه ( ص ١٦٦ ) .

١٨ — قال أبو زيد سمعت أعرابيين تميمياً وقيسياً يقولان تعذرتُ  
إلى الرجل تعذراً في معنى اعتذرتُ اعتذاراً ( ص ٢٢٢ ) .

١٩ — وتقول إحدى عشرة امرأة بكسر الشين وإن شئت سكنت إلى  
تسع عشرة والكسر لأهل مجد والتسكين لأهل الحجاز قال الأزهرى وأهل  
اللغة والنحو لا يعرفون فتح الشين في هذا الموضع ، وروى عن الأعمش أنه  
قرأ وقطنام اثنتي عشرة بفتح الشين قال وقد قرأ الفراء بفتح الشين وكسرها  
وأهل اللغة لا يعرفونه ( ص ٢٤٤ ) .

٢٠ — المصفور الولد يمانية ( ص ٢٥٨ ) .



٢١ - قال الأصمى عُقر الدار أصلها في لغة الحجاز فأما أهل نجد فيقولون  
عُقِر (ص ٢٧٤).

٢٢ - وفي الحديث أنهم كانوا يترصدون عيرَات قريش هو جمع «عير»  
يريد إبلهم ودوابهم ، قال سيبويه اجتمعوا فيها على لغة هذيل يعنى تحريك  
الياء والقياس التسكين (ص ٣٠٣)

٢٣ - عَقِيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤنسى والحؤت (ص ٣٤٨).

## الحجز والسابع

١ - وفي حديث ابن عباس في قوله تعالى كعصف ما كقول قال هو الهَبُور قيل هو دُقَاتُ الزرع بالنبطية ، ويحتمل أن يكون من الهَبْر القطع ، والهَبْر مشاققة الكتان يمانية ( ص ١٠٧ ) .

١ - وهَجَرَ الشيء وأهجره تركه الأخيرة هذلية ( ص ١١٢ ) عن النضر ابن شميل أنه قال التهجير إلى الجمعة وغيرها التبكير والمبادرة إلى كل شيء ، قال وسمعت الخليل يقول ذلك قاله في تفسير هذا الحديث يقال هَجَرَ يُهَجَّر تهجيراً فهو مُهَجَّر قال الأزهرى وهذا صحيح وهى لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس ( ص ١١٥ ) .

٣ - قال اللحياني أهل الحجاز يسمون الفرد الوترَ وأهل نجد يكسرون الواو ، وهى صلاة الوتر والوتر ، لأهل الحجاز ويقرون والشفع والوتر والكسر لتميم وأهل نجد . وقيل الأعداد كلها شفيع ووتر ، قال اللحياني أهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر وتميم وأهل نجد يكسرون . ابن السكيت قال يونس أهل العالية يقولون الوتر في العدد والوتر في الذحل ( الثأر ) قال وتميم تقول وتر بالكسر فى العدد والذحل سواء ، الجوهرى الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الذحل هذه لغة أهل العالية فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم وأما تميم فبالكسر فيهما ( ص ١٣٥ ، ١٣٦ ) .

٤ - الوَهْرُ توهج وقع الشمس على الأرض حتى ترى له اضطرابا كالبحار يمانية ( ص ١٥٦ ) .

٥ - وفد بسر يسير ، ولم تحدف الياء فيه ولا فى يبيغ ويبيغ كما

حدوت في بعدُ وأخواته لتتوى إحدى الياءين بالأخرى ولهذا قالوا في لغة  
بني أسد بيَجَلُوم لا يقولون بِعَلَمَ لاسْتَقَالهم الكسرة على الياء (ص ١٦٢)  
٦ - والأرز حَبٌّ وفيه ست لفات . ورزٌّ ورُنزٌ وهي لعبد القيس  
(ص ١٦٩) .

٧ - جَهَارُ العروس والميت وجِهَارُهُما ما يحتاجان إليه وكذلك جهاز  
المسافر يُفتح ويكسر . قال الليث وسمعت أهل البصرة يخطئون الجهاز بالكسر  
قال الأزهري والقراء وكلهم على فتح الجيم في قوله تعالى « ولما جهزم بجهازهم »  
قال وجهاز بالكسر لغة رديئة (ص ١٩٠) .

٨ - الحَفْرُ الأجل في لغة بني سعد وأنشد بعضهم هذا البيت :

والله أفضل ما أردتم طائما      أو تضربوا حفراً لعامٍ قابلٍ

٩ - وفي لغة هذيل الحُزُّ التحديد يقال حَزَّ حَدِيدَهُ إذا حَدَدَهَا وقد جاء  
ذلك في أشعارهم (ص ٢٠٥) .

١٠ - الرُنزُ بالضم لغة في الأرز وقد يكون من باب إنجاص وإجاص  
وهي لعبد القيس ، والأصل فيها رَزٌّ فكَرَهُوا التثديد فأبدلوا من الزاي الأولى  
نوناً كما قالوا إنجاص في إجاص (ص ٢٢٤) .

١١ - وفي الحديث أنه قدم على النبي صلعم صاحبُ كسرى فوهب له  
مفجرةً فدُمِّيَ ذا المفجزة هي بكسر الميم المنطقة بلغة اليمن قال وسميت بذلك  
لأنها تلي عَجْرَ المُتَنَطِّقِهَا (ص ٢٤٠) .

١٢ - وقال ابن كيسان في « أمسٍ » يقولون إذا نكروه كل يوم يصير  
أمسًا وكل أمسٍ مضي فلي يعود ومضى أمسٌ من الأموس ، وقال البصريون  
إنما يتمكن « أمسٍ » في الإعراب لأنه صارع الفعل الماضي وليس بمعرب ،

وقال الفراء إنما كُسرَت لأن السين طبعها الكسر وقال أبو الهيثم السين لا يلفظ بها إلا من كسر الفم ما بين الثانية إلى الضرس وكسرت لأن مخرجها مكسور في قول الفراء . قال ابن بري اعلم أن « أمس » مبنية على الكسر عند أهل الحجاز وبنو تميم يوافقونهم في بنائها على الكسر في حال النصب والجر فإذا جاءت أمس في موضع رفع أعربوها فقالوا ذهب أمس بما فيه ( ص ٣٠٥ )

١٣ - وقال قوم أصل « إنسان » إنسيان على إفعال فحدثت الياء استخفافاً لكثرة ما يجري على ألسنتهم فإذا صفروه ردوها لأن التصغير لا يكثر ( أنيسيان ) . والناث لغة في الناس على البدل الشاذ وأشد

يا قبح الله بنى السَّلاة عمرو بن ربوع شرار الناس  
غير أعماء ولا أكيات

أراد ولا أكياس فأبدل التاء من سين الناس والأكياس لموافقها إياها في الهمس والزيادة وتجاوز الخارج . وقد حكى أن الإيسار لغة في الإنسان طائفة قال اللحياني في لغة طي . ما رأيت ثم إيساناً أي إنساناً . وقال الفراء العرب جميعاً يقولون الإنسان إلا طيئناً فإنهم يجعلون مكان النون ياء ( ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ) .

١٤ - لا بأس عليك ، وهو في لغة حمير لبات أي لا بأس عليك قال

شاعرهم :

شرينا النوم إذ غصبت غلاب      تنسهد وعقد غير مير  
نادوا عند غدرهم ناث      وقد بردت معاردي رعين

( ص ٣١٧ )

١٥ — اُلْحَنَمَسَ بِالْفَتْحِ وَالْحَنْفَسَاءَ بِفَتْحِ الْفَاءِ مَمْدُودٌ دَوْبِيَّةٌ ، وَضَمُّ الْفَاءِ فِي كُلِّ ذَلِكَ لَفَةٌ ، وَيُقَالُ حَنْفَسٌ لِلْحَنْفَسَاءِ لَفَةً أَهْلُ الْبَصْرَةِ ( ص ٣٧٦ ) .

١٦ — وَطَيْءٌ تَقُولُ طَيْتٌ وَغَيْرُهُمْ طَيْسٌ ، قَالَ وَهْمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَتْ لَيْسَ وَجَمْعُهُ لُصُوصٌ وَطُسُوتٌ عِنْدَهُمْ ( ص ٤٣٠ ) .

١٧ — الطَاؤُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الشَّامِ الْجَمِيلِ مِنَ الرِّجَالِ . وَالطَاؤُوسُ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْفِصَّةِ . وَالطَاؤُوسُ طَائِرٌ حَسَنٌ هَمَزَةٌ بَدَلٌ مِنْ وَاءٍ ( ص ٤٣٤ )

## الجزء الثامن

١ — وغسّ الرجلُ في البلاد إذا دخل فيها ومضى قُدماً وهي لفة تميم قال رؤبة :

كالخوت لما غسّ في الأنهارِ

( وانظر غس ) ( ص ٣٣ ) .

٢ — ورجلٌ مُتَغَطَّرِسٌ بِحَيْلٍ فِي كَلَامٍ هَدِيلٍ ( ص ٣٥ ) .

٣ — ومن هذا قيل للسطل القدس لأنه بتقدّس منه أى يُتطهر والقدس بالتحريك السطل باقة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه ( ص ٥٠ ) .

٤ — وقِسْتُ الشىء بعيره وعلى غيره أقيسُ قَيْسًا وقياسًا فانقاس إذا قدرته على مثاله وفيه لفة أخرى قُسْتُهُ أقوسُهُ قوسًا وقياسًا . ابن سيده قُسْتُ الشىء قِسْتُهُ وأهل المدينة يقولون لا يجوزُ هذا في القوس يريدون القياس ( ص ٧٠ ) .

٥ — وقيل الكسّسُ أن يكون الحنك الأعلى أقصر من الأسفل فتكون الثنيتان العكيبان وراء السنليتين من داخل القم . وككسةٌ هوازن هو أن يزيدوا بعد كاف المؤنث سينا فية ولوا أعطيتكسر وميسكر وهذا في الوقف دون الوصل ، الأرهري الكسكة لفة من لغات العرب تقارب الكشكشة وفي حديث معاوية بناسه وا عن كسكة بكر يعنى إبداهم السين من كاف الخطاب نقول أبوس ، وأمرُ أى أبوك وأمك ، وقيل هو خاص بحاطة

المؤث ومنهم من يدع الكاف محالما ويزيد بعدها سينا في الوقف فيقول  
مرتُ بِكَيْسٍ أَى بِكِ وَالله أعلم ( ص ٨٠ ، ٨١ ) .

٦ - المِلْدَسُ لفة في المِلْطَس وهو حجر ضخم يَدُقُّ به النوى ( ص ٩٠  
المبادلة بين الدال والطاء ) .

٧ - أبو مالك : أهل الحجاز يقولون المجرس القرد وبنو تميم يحملونه  
التعب ( ص ١٣٣ ) .

هدسه يهدسه هدسا طرده ورجره يمانية ممانه ، والمَدَسُ شجر وهو عند  
أهل اليمن الآس .

٨ - المَيْسُ اسم أداة القدان عمانية ( شرح القاموس يمانية ) ( ص ١٣٩ )

٩ - قال أبو ريد عليا مضر تقول يَحْسِبُ وَيَنْعِمُ وَيَيْئِسُ وسفلاها بالفتح  
قال سيبويه وهذا عند أصحابنا إنما يجيء على لفتين يعنى يئس يئأس ، يأس  
يئيس لفتان ثم يركب وبهما ( ص ١٤٧ ) .

١٠ - والجحش وله الظبية هذلية قال أبو ذؤيب :

بأسفل ذات الدثر أفراد جحشها فقد ولت يومين فهي خالوجُ

والجحش أيضاً الصبي بلفظهم ( ص ١٥٧ ) .

١١ - حَفَشَ الشئ يَحْفِشُهُ جَفَشًا جمعه يمانية ( ص ١٦٢ ) .

١٢ - قال ابن الفرج يقال أَلْحِقَ الحِسَّ بالإس قال وسمعت بمض بنى

أسد أَلْحِقَ الحِسَّ بالإس قال كأنه يقول ألحق الشئ بالشئ إذا جاءك شئ

من ناحية فأفعل به ، جاء به أبو تراب في باب الشين والسين وتعاقيهما

( ص ١٧٣ ) .

١٣ - المَحْمُوشُ البعوض يفتح الخاء في لفة هديل ( ص ١٨٨ ) .

١٤ - تداعش القومُ اختلطوا في حرب أو صخب ، ودعشَ عليهم هجمَ  
يمانية ( ص ١٩١ ) .

١٥ - الكسائي الزَّوْشُ العبد اللئيم والعامة تقول زُوشٌ ( ص ٢٠٠ )

١٦ - وقال المؤرَّج هي المبيشة قال والمعوشة لغة الأزد ( ص ٢١٢ )

١٧ - ولقيه غَشاشاً وِغَشاشاً أي عند الغروب والغَشاشُ العَجَلَةُ يقال لقيتهُ

على غَشاشٍ وِغَشاشٍ أي على عجلة ، حكاهما قطرب وهي كناية ( ص ٢١٤ )

١٨ - والفراشُ ما أفرشَ والجمع أفرشة وفرُشٌ ، سبويه وإن شئت حفت

في لغة بني تميم ( ص ٢١٧ )

١٩ - والكشكة لغة لربيعة وفي الصحاح لبي أسد يجمعون الشين مكان

الكاف وذلك في المؤنث خاصة فيقولون عَلِيشٍ وَمِنَشٍ وبشٍ وبنشدون :

فعمياش عيناها وحيدش جيدها ولكن عظم الساق منش رقيق

وأنشد أيضاً :

تصحك متى أن رأيتني أحتريش ولو حرشت لكشفت عن حرش

ومهم من يريد الشين بعد الكاف فيقول عليكش وإليكش وبكش

ومنكش وذلك في الوقف خاصة وإنما هذا لتبين كسرة الكاف فيؤكد

التأنيث وذلك لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفي في الوقف فاحتاطوا

للبيان بأن أبدلوا شيئاً فإذا وصلوا حذفوا لبيان الحركة ، ومهم من يجري

الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً ، وأنشدوا للمجنون « فعياش عيناها »

البيت ، قال ابن سيده قال ابن حني وقرأت على أبي بكر محمد بن الحسن عن

أبي العباس أحمد بن يحيى معصمهم :

على فيها أبتعي أغش بيضاء نرصبى ولا نرصبش



وَتَطَّيَّ وَدَّ بِيْ أَيْشٍ إِذَا دَوَّتْ حَمَلَتْ تُنْشِيشُ  
وَأِنْ نَأَيْتِ حَمَلَتْ تُدْنِيشُ وَإِنْ نَكَلَمْتِ حَتَّى فِيْشِ  
حَتَّى تَنْفَى كَنْفِيقِ الدِّيشِ

أبدل من كاف المؤنث شيئاً في كل ذلك وشبهه كاف الديدك لكسرتها بكاف المؤنث ، وربما رادوا على الكاف شيئاً حرصاً على البيان أيضاً قالوا مررت بكِشْ وأعطيتكِشْ فإذا وصلوا حذفوا الجميع ، وربما الحقوا الشين فيه أيضاً وفي حديث معاوية تياسروا عن كشكشة تيم أي إبداهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث فيقولون أبوش رأمش ، ورادوا على الكاف شيئاً في الوف قالوا مررتُ بكِشْ كما تفعل تيم ( ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ) .

٢٠ - الجِصَّ معروف الذي يُطلى به وهو معرب ، ولغة أهل الحجاز في الجِصَّ القَصْر ( ص ٢٧٥ ) وانظر ٣٤٥

٢١ - وأهل البصرة اختاروا حِصّاً وأهل الكوفة اختاروا حِصّاً وقال الجوهري الاختيار فتح الميم وقال المبرد بكسرها ( ص ٢٨٣ ) .

٢٢ - قال قلتُ فكان ينبغي أن يقول خَوْصاً فقال هي معاقبة يستعملها أهل الحجاز يسمون الصُّوَاعِ الصِّيَّاعِ ويقولون الصِّيَّامِ للصُّوَامِ ومثله كثير ( ص ٣٠٠ )

٢٣ - الشَّيْصُ والشَّيْصَاءُ ردىء التمر . قال الأموي هي لغة بلحرت بن كعب الصَّيْصُ ، وأهل المدينة يسمون الشَّيْصُ السَّخْلَ ، وفي الحديث أنه نهى عن تأبير نخلهم فصارت شَيْصاً ( ص ٣١٧ ) .

٢٤ - عَصِصَتْ أَعْصُ قال أبو عبيد عَصِصَتْ أَعْصُ لغة الرِّبَابِ ( ص ٣٢٨ )

٢٥ - والقَصْرُ الجِصُّ لغة حطارية ( ص ٣٤٥ وانظر ٢٧٥ ) .

٢٦ — الْقَمُوصُ ضَرْبٌ مِنَ الْكِنَاةِ وَالْقَمُوصُ وَالْجَمُوصُ وَاحِدٌ ، يُقَالُ تَمَرَكُ قَمُوصُهُ فِي بَطْنِهِ وَهُوَ بِلُغَةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ( ص ٣٤٧ ) .

٢٧ — وَاللَّصْتُ لُغَةٌ فِي اللَّصِّ أَيْ بَدَلُوا مِنْ صَادِهِ تَاءً وَغَيْرُوا بِنَاءِ الْكَلِمَةِ لَمَّا حَدَثَ فِيهَا مِنَ الْبَدْلِ وَقِيلَ هِيَ لُغَةٌ قَالَ اللَّحْيَانِيُّ وَهِيَ لُغَةٌ طَيِّبَةٌ وَبَعْضُ الْأَتْسَارِ وَجَمَهُ لُصُوتٌ وَقَدْ قِيلَ فِيهِ لَصَّتْ فَكَسَرُوا اللَّامَ فِيهِ مَعَ الْبَدْلِ ( ص ٣٥٦ )

٢٨ — وَحَصَّهُ وَحَصًّا سَحَبَهُ يَمَانِيَةٌ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ سَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْكَلَابِيِّينَ يَقُولُ أَصْبَحْتُ وَليْسَ بِهَا وَحَصَةٌ أَيْ بَرَدٌ يَعْنِي الْبَلَادَ وَالْأَيَّامَ ، وَالْحَاءُ غَيْرُ مَعْجَمَةٌ ، الْأَزْهَرِيُّ قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ أَصْبَحْتُ وَليْسَ بِهَا وَحَصَةٌ وَلَا وَذِيَّةٌ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ مَعْنَاهُ لَيْسَ بِهَا عَجَلَةٌ ( ص ٣٧٤ ) .

٢٩ — مُشِيحَةٌ حَذْرَةٌ وَالْمُشِيحُ فِي لُغَةِ هَذِيلِ الْجِدَّةِ ( ص ٣٨٩ ) .

## الجزء التاسع

١ - وقد عَصِضَتْهُ أَعْصَهُ وَعَصِضَتْ عَلَيْهِ عَصًا وَعِضَاضًا وَعَضِضًا ،  
وَعَضَّضَتْهُ تَمِيزِيَّةٌ وَلَمْ يُسَمَّعْ لَهَا بَيِّنَاتٌ عَلَى لُغَتِهِمْ ( شرح القاموس وَعَضَّضَتْهُ  
تَمْضِيضًا لَفَةً تَمِيزِيَّةً ) ( ص ٥٠ ) .

٢ - وَغَصَّصَ مِنْ صَوْتِهِ ، وَكَلَّ شَيْءٌ كَفَفْتَهُ تَمَدُّدًا وَعَصَّضَتْهُ ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ  
فِي لَفَةٍ أَهْلُ الْحِجَازِ اغْضَضُصْ . وَأَهْلُ نَحْدٍ يَقُولُونَ غَضَّصَ طَرَفَكَ بِالْإِدْغَامِ قَالَ  
جَرِيرٌ :

فَقَصَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيزٍ فَلَا كَبِيمًا بَلَفْتَ وَلَا كَلَابًا

٣ - وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَقَالَ فَاطَلَتْ نَفْسَهُ بِالظَّاءِ لَفَةً قَيْسٍ وَفَاضَتْ بِالضَّادِ لَفَةً  
تَمِيمٍ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ سَمِعْتُ أَبَا زَيْدٍ يَقُولُ بَنُو صَبَةَ وَحَدَمٌ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ  
وَكَذَلِكَ حَكَى الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ كُلُّ الْعَرَبِ تَقُولُ فَاطَلَتْ نَفْسَهُ إِلَّا بَنِي  
صَبَةَ فَانْهَمُ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسَهُ بِالضَّادِ ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ وَطَيْيٌ يَقُولُونَ فَاطَلَتْ  
نَفْسَهُ وَقَضَاعَةٌ وَتَمِيمٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسَهُ مِثْلَ فَاضَتْ دَمْعَتَهُ ، وَزَعَمَ  
أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لَفَةٌ لِمَعْصُومِ بْنِ تَمِيمٍ يَعْنِي فَاطَلَتْ نَفْسَهُ وَفَاضَتْ ( ص ٧٧ ) .

٤ - وَكَرَّضَتْ النَّاقَةَ تَكْرِضُ كَرَضًا وَكُرُّوْضًا قَبْلَتْ مَاءَ الْفَجْلِ بَعْدَ  
مَاضِرِهَا ثُمَّ أَلْقَتْهُ وَاسْمُهُ ذَلِكَ الْمَاءُ الْكِرَاضُ وَالْكَرَاضُ فِي لَفَةٍ طَيْيَّةٍ الْخِلْدَاجُ  
( ص ٩٣ ) .

٥ - إِذَا أَرَادَتْ النَّاقَةُ أَنْ تَصْعُقَ قَبْلَ مَحِصَّتِ ، وَعَامَةً قَيْسٍ وَتَمِيمٍ وَأَسَدٌ  
يَقُولُونَ مَحِصَّتْ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي كُلِّ حَرْفٍ كَانَ قَبْلَ أَحَدِ حُرُوفِ

المخلق في فَمِلَتْ وفَمِيل يقولون بِمِيرٍ ورَّئِيرٍ وشَرِييقٍ ورِهَلتِ الإبل وسِخِرَتْ منه (ص ٩٥) .

٦ - أبو عبيدة مَضَنِي الأمرُ وأمَضَنِي ، وَقَالَ أمَضَنِي كَلَامَ تَمْسِيمٍ (ص ١٠١) .

٧ - أبو سعيد الأنواض والأنواطُ واحدٌ ، وهي ما نُوطَ على الإبل إذا أوقرت قال رؤبة :

جاذِبِنَ بالأصْلَابِ والأنواضِ

(ص ١١٦) .

٨ - وأهل اليمن يسمون النَّبيلَ الذي يرمى به حَنْطًا (ص ١٤٧) .

٩ - وأهل الشام يسمون الخمر الرَّسَّاطُونَ وسأثر العرب لا يعرفونه قال وأراها روميّة دخلت في كلام من جاورهم من أهل الشام ومنهم من يقلب الدين شينا فيقول رشاطون (ص ١٧٥) .

١٠ - ورجل سَبَطَ الشعرَ وسَبَطَهُ ، ولغة أهل الحجاز رجل سَبَطَ الشعرَ وامرأة سَبَطَةٌ (ص ١٨٠) .

١١ - والسَّرَّاطُ السَّبِيلُ الواضح ، والصراطُ لغة في السراط ، والصاد أعلى لكان المضارعة وإن كانت السين هي الأصل ، قال الفراء ونفر من بَلَعْنَبِرٍ بصيروا السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو عين أو واء ، صادًا ، وذلك أن الطاء حرف تصع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت فقلت السين صادًا صورتها صورة الطاء واستخفوها ليكون المخرج واحدًا كما استخفوا الإدغاء من ذلك فولههم الصراط والصراط قال وهي بالصاد لغة

قريش الأولين التي جاء بها الكتاب ، قال وعامة العرب تحملها سيناً  
( ص ١٨٥ ) .

١٢ — ويقال هو سَمَيْطُ النفس أى سخنيها طيبها لغة أهل الحجاز  
( ص ١٨٧ ) .

١٣ — قال أبو تراب سمعت بعض قيس يقول اشتمطَ التوم في الطلب  
واشتملوا إذا بادروا فيه وتفرقوا ( ص ٢١٠ ) .

١٤ — الغِلَاطُ الفحاة لغة هذيل لقبيته دَلَطًا وفِلَاطًا أى جِئَاءَ هذلية ،  
وأفلاطنى الرجلُ إفلاطاً مثل أفلتنى وقيل لغة في أفلتنى تميمية قبيحة  
( ص ٢٤٧ ) .

١٥ — القَحْطِيّ من الرجال الأكل الذى لا يبقى من الطعام شيئاً وهذا  
من كلام أهل العراق ، وقال الأزهرى هو من كلام الحاضرة دون أهل البادية  
والتَحْيِيطُ فى لغة بنى عامر التلقيح ( ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ) .

١٦ — كَشَطُ الغطاء عن الشيء والجلد عن الجزور ، والقَشَطُ لغة فيه ، قيس  
يقول كَشَطْتُ ونمى تقول قَشَطت بالقصاف ، قال ابن سيده وليست الكاف  
فى هذا بدلا من القاف لأنها لغتان لأقوام مختلفين ، وقال يعقوب قريش تقول  
كَشَط ونمى وأسَد يقولون قَشَط ( ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ) .

١٧ — قال ابن الأثير المِلَطَى بالقصر والمِلَطَاءُ القشرة الرقيقة بين عظم  
الرأس ولحمه ، وأهل الحجاز يسمونها السَّمْحَاق ( ص ٢٨٥ ) .

١٨ — والواسطُ الباب هذلية ( ص ٣١١ ) .

١٩ — والوطواط الخماش وأهل الشام يسمونه السَّرْوَع ( ص ٣١٢ ) .

٢٠ — الوَقْطُ والوَقَيْطَةُ حمرة فى غِلَطٍ أو جبل يجتمع فيه ماء السماء ، والجمع

وَقَطَانٌ وَوِقَاطٌ وَإِقَاطُ الْمَهْرَةِ بَدَلُ الْوَاوِ ، وَلَفْظُ تَمِيمٍ فِي جَمْعِهِ الْإِقَاطُ مِثْلُ إِشَاحٍ  
بِصِيْرُونَ كُلُّ وَائِجِيٍّ . عَلَى هَذَا الْمَثَالِ الْفَا ( ص ٣١٢ ، ٣١٣ ) .

٢١ - قَالَ أَبُو تَرَابٍ سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَشْجَعٍ يَقُولُ يَهْضُمُنِي الْأَمْرُ  
وَيَهْظُنِي ، قَالَ وَلَمْ يَتَابِعْهُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ ( ص ٣١٥ ) .

٢٢ - اللَّذَّظُ هُوَ الشَّلُّ بِلُغَةِ أَهْلِ الْبَلَدِ دَظْمٌ فِي الْحَرْبِ يَدُظُّهُمْ دَظًّا  
طَرْدَمٌ يَمَانِيَّةٌ ( ص ٣٢٣ ) .

٢٣ - قَالَ الْفَرَاءُ يُقَالُ فَاضَتْ نَفْسُهُ تَفِيضًا وَفِيَوْضًا وَهِيَ فِي تَمِيمٍ  
وَكَلْبٍ ، وَأَفْصَحُ مِمَّا وَآثَرُ فَاضَتْ نَفْسُهُ فَيُورِظًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَفَاضَتْ نَفْسُهُ تَفِيضًا  
أَي حَرَجَتْ رَوْحَهُ وَكَرِهَهَا بِمَعْصَمٍ ، اللَّيْثُ فَاضَتْ نَفْسُهُ فَيُظَا وَفَيُظُوذَةً  
إِذَا حَرَجَتْ وَالْفَاعِلُ فَاضٌ ، وَزَعَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهَا لَفْظَةٌ لِبَعْضِ تَمِيمٍ يَعْنِي فَاضَتْ  
نَفْسُهُ وَفَاضَتْ ، وَحَكَى عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ فَاضَتْ نَفْسُهُ وَلَا  
فَاضَتْ إِذَا يُقَالُ فَاضَ فُلَانٌ قَالَ وَيُقَالُ فَاضَ الْمَيْتُ ، قَالَ وَلَا يُقَالُ فَاضَ بِالضَّادِ  
بِتَّةً ، ابْنُ السَّكَيْتِ يُقَالُ فَاضَ الْمَيْتُ يَفِيضُ فَيُظَا وَيَفُوذُ فَوْضًا كَذَا رَوَاهَا  
الْأَصْمَعِيُّ ( ص ٣٣٣ ) .

الْفَرَاءُ أَهْلُ الْحِجَازِ وَطَيْيٌّ يَقُولُونَ فَاضَتْ نَفْسُهُ وَقَضَاعَةٌ وَتَمِيمٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ  
فَاضَتْ نَفْسُهُ مِثْلُ فَاضَتْ دَمْعَتُهُ ، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ  
لَفْظَةً قَيْسٌ وَبِالضَّادِ لَفْظَةً تَمِيمٌ ، وَرَوَى الْمَازِنِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ أَنَّ الْعَرَبَ يَقُولُونَ  
فَاضَتْ نَفْسُهُ بِالضَّادِ إِلَّا ابْنَ ضَبَّةٍ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَهُ بِالضَّادِ ( ص ٣٣٤ ) .

٢٤ - وَالْبَالُوعَةُ وَالْبَلُوعَةُ لَفْتَانٌ ، وَبِالْوَعَةِ لَفْظَةٌ أَهْلُ الْبَصْرَةِ  
( ص ٣٦٧ ) .

٢٥ - الْبَاعُ وَالْبُوعُ مَسَافَةٌ مَا بَيْنَ الْكُفَيْنِ إِذَا سَطَّهْمَا الْأَحْيَرَةَ هَدْيَةً

قال أبو ذؤيب :

فلو كان حَبْلًا من تمانين قامَةً وخمسين بُوعًا نالها بالأناملِ  
( ص ٣٦٩ ) .

٢٦ — والتَّرْعُ السَّفِيهُ السَّرِيعُ إِلَى الشَّرِّ ، وَرَوَى الْأَزْهَرِيُّ عَنِ  
الْكَلَابِيِّينَ فُلَانٌ ذُو مَتْرَعَةٍ إِذَا كَانَ لَا يَفْضُبُ وَلَا يَمَجَلُ ، قَالَ وَهَذَا ضِدُّ  
التَّرْعِ ( ص ٣٨١ ) .

٢٧ — وَالْجُرْزُعُ الْحُورُ الَّذِي تَدُورُ فِيهِ الْحَالَةُ لُغَةً يَمَانِيَّةً  
( ص ٣٩٩ ) .

٢٨ — يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، وَالْقِرَاءُ قَرَأُوهَا بِالْتَثْمِيلِ وَيُقَالُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لُغَةً  
بَنِي عُقَيْلٍ وَلَوْ قَرِئَ بِهَا كَانَ صَوَابًا ، قَالَ وَالَّذِينَ قَالُوا الْجُمُعَةَ ذَهَبُوا بِهَا إِلَى  
صِفَةِ الْيَوْمِ أَنَّهُ يَجْمَعُ النَّاسَ كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ مُهْمَزَةٌ ( ص ٤٠٩ ، ٤١٠ ) .

٢٩ — قَالَ الْفَرَاءُ بَنُو أَسَدٍ يَقُولُونَ إِنَّ الشَّعْرَ لَمْخَادِيعٍ وَقَدْ خَدَعَ إِذَا ارْتَفَعَ  
وَعَلَا ( ص ٤١٨ ) .

٣٠ — وَأُلْحُصَمَةُ مِنَ النَّخْلِ الَّتِي تَنْبَتُ مِنَ النَّوَاةِ لُغَةً بَنِي حَنِيفَةَ  
( ص ٤٢٧ ) .

٣١ — الدَّئِيعُ الْوَطَاءُ الشَّدِيدُ لُغَةً يَمَانِيَّةً قَالَ وَالدَّاعِثُ وَالدَّائِعُ وَاحِدٌ  
( ص ٤٣٥ ) .

٣٢ — وَالدَّقَاءُ الذَّرَّةُ يَمَانِيَّةً ( ص ٤٤٥ ) .

٣٣ — الدَّوْعُ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيْتَانِ يَمَانِيَّةً ( ص ٤٤٧ ) .

٣٤ — قَالَ الْجَوْهَرِيُّ وَحَكِيَ عَنِ بَعْضِ بَنِي أَسَدٍ فَتَحَ الْبَاءُ فِي الْأَرْبَعَاءِ  
( ص ٤٦٦ ) .

٣٥ - وَرَجَعْتُهُ أَرْجِمُهُ رَجِمًا وَمَرَجِمًا وَمَرَجِمًا وَأَرْجَعْتُهُ فِي لَفَةِ هَدِيلٍ ،  
قال وحكى أبو ريد عن الصَّبِيِّينَ أَنَّهُمْ قَرَأُوا [ أَفْلا يرون أَن لا يُرْجِعُ  
إِلَيْهِمْ قَوْلًا ] ( ص ٤١ )

٣٦ - رَضَعَ الصَّبِيُّ وَغَيْرُهُ يَرْضَعُ مِثَالَ ضَرْبٍ يَضْرِبُ لَفَةَ نَجْدِيَّةٍ ،  
وَرَضِعَ مِثَالَ سَمِيعٍ يَرْضَعُ ( ص ٤٨٤ ) .



## الجزء العاشر

- ١ - وفي التهذيب ، سُدِعَ الرجلُ نُكَيْبَ يمانية (ص ١٤) .
- ٢ - كل ما يذكر في ترجمة صقع بالصاد فالسين فيه لفة ، قال الخليل كل صاد تجيء قبل القاف وكل سين تجيء قبل القاف فللمرب فيه لغتان منهم من يجعلها سيناً ومنهم من يجعلها صاداً لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة بعد أن يكونا في كلمة واحدة إلا أن الصاد في بعض أحسن والسين في بعض أحسن (ص ٢٢) .
- ٣ - ومهْرٌ سَنِيْعٌ كثير وقد أسنغه إذا كثره عن ثعلب ، والسنائع في لفة هذيل الطرق في الجبال واحدها سنيعة (ص ٣٣) .
- ٤ - وقال أبو عبيدة لرؤبة ما الودَى فقال يسمي عندنا السوعاء (ص ٣٤) .
- ٥ - صارعهُ فصرَّعهُ يَصْرَعُهُ صِرْعاً وصِرْعاً الفتح لثيم والكسر لقيس عن يعقوب (ص ٦٤) .
- ٦ - وفي الحديث من زنى من أمبكر فاصفوه مائة أى اضربوه ، وقوله من أمبكر لفة أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميماً (ص ٦٨) .
- ٧ - الصُنْتَعُ الشاب الشديد ، وحمار صُنْتَعُ صُنْبُ الرأس نائق الحاجبين عريض الحبهة ، والصننع عند أهل اليمن الذئب عن كراع (ص ٨٢) .
- ٨ - قال الفراء الضريعُ نبت يقال له الشَّيْرُقُ وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا ييس وقال ابن الأعرابي الضريع العوسج الرطب فإذا اجف فهو عوسج (ص ٩٢) .

٩ - قال شمر طَبِيعَ إِذَا دَنَسَ وَطَبِيعَ وَطَبِيعَ إِذَا دُنَسَ وَعَيْبَ  
وَأَشْدَتْنَا أَم سَالِمِ الْكَلَابِيَّةِ :

وَيَحْمَدُهَا الْجَيْرَانُ وَالْأَهْلُ كُلُّهُمْ وَتَبْفِضُ أَيْضًا عَنْ نَسَبٍ فَتُطَبِّمًا  
وَقَالَ ابْنُ الطَّطَرِيَّةِ :

وَعَنْ تَخْلَطِي فِي طَبِيبِ الشَّرْبِ بَيْنَنَا مِنْ الْكَدْرِ الْمَائِي شِرْبًا مُطَبِّمًا  
أَرَادَ أَنْ تَخْلَطِي وَهِيَ لَفَةٌ تَمِيمٌ ، وَالْمَطْبَعُ الَّذِي نَجَسَ ( ص ١٠٤ ) وَالْمَائِي الْمَاءُ  
الَّذِي تَأْبَى الْإِبِلُ شَرْبَهُ .

١٠ - الذَّمَمَةُ وَالْفَعْفَعُ حِكَايَةٌ بِمِثْلِ الْأَصْوَاتِ وَالْفَعْفَعَانِي الْجَازِرُ  
( الْجَزَارُ ) هَذَا ( ص ١٢٦ ) .

١١ - وَفَنِي بِمَعْنَى فَنِي فِي لَفَاتِ طَبِيبٍ . ( ص ١٣٧ ) .

١٢ - الْمُقْرَضِيُّ الْمُخْتَفِي ، وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا أَكَلَ الرَّجُلُ  
وَحَدَهُ مِنَ اللَّوْمِ فَهُوَ مُقْرَضِيٌّ ( ص ١٤٣ ) .

١٣ - الْقَطْعَةُ فِي طَبِيبٍ كَالْعَنْمَةِ فِي تَمِيمٍ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ يَا أَبَا الْحَكَا يَرِيدُ  
يَا أَبَا الْحَكَمِ فَيَقْطَعُ كَلَامَهُ ( ص ١٥٩ ) .

١٤ - قَالَ الْأَزْهَرِيُّ سَمِعْتُ الْبَحْرَانِيِّينَ يَقُولُونَ لِلْقَسْبِ إِذَا بَيْسَ وَتَقَمَّقَ  
تَمْرٌ سَحٌّ وَتَمْرٌ قَمَّقَةٌ ( ص ١٦١ ) .

١٥ - وَقَوْلُ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ حِينَ قَاتَلَ الْحَبَشَةَ :

قَدْ عَلِمْتُ ذَاتُ أَمْنٍ طَبِيعُ أَيُّ إِذَا أَمَمْتُ كَنَعُ  
أَضْرَبُهُمْ بِذَا أَمَقْلَعُ لَا أَتَوْقِي بِأَبْجَزَعُ  
اقْتَرَبُوا قَرِيفَ أَمَقِعُ

أراد ذات النُّطْع ، وإذا الموت كنع ، فأبدل من لام المعرفة ميماً  
• (ص ١٦٩) .

١٦ — الكُتْعُ وفد الثعلب ، والكُتْعُ الذئب بلفظة أهل اليمن  
• (ص ١٨٠) .

١٧ — الكُسْمُومُ الحمار بالحيرية (ص ١٨٥) .

١٨ — التَّكْنَعُ التحالف والتجمع لفة يمانية وبه سمي ذو الكلاع بالفتح  
وهو ملك حميرى من ملوك اليمن من الأذواء وسُمى ذا الكلاع لأنهم  
تكلعوا على يديه أى تجمعوا (ص ١٨٨) .

١٩ — اللَّخْعُ استرخاء الجسم يمانية (ص ١٩٣) .

٢٠ — وأراد بالحدِّو الحدأة وهى لفة أهل مكة (ص ٢٠٢) .

٢١ — وحكى الكسائى عن ربيعة وغنم أنهم يسكنون العين من مع  
فيقونور، معكم ومعنا (ص ٢١٨) .

٢٢ — وَمَنَاعٍ بمعنى أَمْنَعُ قال اللحيانى وزعم الكسائى أن بنى أسد  
يفتحون مَنَاعَهَا ودرأ كَهَا وما كان من هذا الجنس والكسر أعرف  
• (ص ٢٢١) .

٢٣ — وبنو أسد يقولون يبيجعُ بكسر الياء وهم لا يقولون يفلّم استقلا  
للكسرة على الياء فلما اجتمعت الياءان قويتا واحتملت ما لم تحتمله المفردة  
• (ص ٢٥٩) .

٢٤ — تسمى الريح الجنوب بلفظة هذيل الشعامى (ص ٢٩٦) .

٢٥ — البالفاء الأكارع فى لفة أهل المدينة وهى بالفارسية بايها  
• (ص ٣٠٣) .

٢٦ - الصُدُغُ وربما قالوا الصُدُغُ بالسين ، قال محمد بن المستنير قطرب إن قوماً من تميم يقال لهم بَطْمَنَنَ بقلبون السين صاداً عند أربعة أحرف عند الطاء والقاف والغين والهاء إذا كنَّ بعد السين ولا تبالي أمانيةً كنَّ أم ثلاثة أم رابعة بعد أن يكنَّ يمسدها يقولون سراط وصراط ، وبسطة وبسطة ، وسَيْقِلٌ وصَيْقِلٌ ، وسرقت وسرقت ، ومَسْفِيَةٌ ومَصْفِيَةٌ ، ومِسْدَغَةٌ ومِصْدَغَةٌ ، وسخَّر لكم ، وصخر لكم ، والسَّخَبُ والصَّخْبُ (ص ٣٢٢) .

٢٧ - ورجل صائغ وصوَّاع وصيَّاع معاقبة في لغة أهل الحجاز ، قال الفراء بنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون هو أخوه صوَّغُه بالصاد قال وأكثر الكلام بالسين (ص ٣٢٥) .

٢٨ - الأُكافُ من المراكب شبه الرَّحال ، وُكافٌ ، قال اللحياني آكفَ البقلَ لغة بني تميم وأوْكَفَهُ لغة أهل الحجاز (ص ٣٥١) .

٢٩ - المِجْدافُ السُّوطُ لغة نجرانية عن الأصمعي (ص ٣٦٦) .

٣٠ - والخَشْفُ الخَرْفُ يمانية (ص ٤١٨) .

٣١ - وأهل البحرين يسمون جِلَالَ التمر خَصْفًا ، والخَصْفُ الخَرْفُ (ص ٤٢٠)

٣٢ - قال ابن بري الخاليف لأهل اليمن كالأجناد لأهل الشام والكُور

لأهل العراق والرساتيقي لأهل الجبال والطَّاسِيَجُ لأهل الأهواز (ص ٤٣٢)

## الجزء الحادى عشر

١ - ودَفَّفَ عَلَى الجريحِ كدَفَّفَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَكَذَلِكَ دَافَةٌ مُدَاوَةٌ وَدِافَاً وَدَافَاهُ الأَخيرةُ جِهينِيَّةٌ ، وَفى حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ أَنه دَافَ أَبَا جَهْلٍ يَوْمَ بدرِ أَى أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَحَرَّرَ قَتْلَهُ يُقالُ دَافَقْتُ عَلَيْهِ وَدَافَيْتُهُ وَدَفَقْتُ عَلَيْهِ تَدْفِيفًا ، وَفى حَدِيثِ خالِدٍ أَنه أُسِرَ مِنْ بَنى جَدِيمَةَ قَوْمًا فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ نَادى مُنادِيَهُ الأَ من كانَ مَعَهُ أُسِيرَ فَلْيَدُافِهِ مَعنَاهُ فَلْيُجْهَزْ عَلَيْهِ ، قالَ أَبُو عبيدٍ وَفِيهِ لُغَةٌ أُخرى فَلْيَدُافِهِ بِتَخْفِيفِ الفاءِ مِنْ دَافَيْتُهُ وَهى لُغَةٌ لِجِهينَةَ وَمِنْهُ الحَدِيثُ المَرْفُوعُ أَنه أَتى بِأَسِيرٍ فَقالَ أَذْفُوهُ يَريدُ الدَفءَ مِنَ البَرْدِ فَقتَلُوهُ فوداهُ صلعمُ ( ص ٤ )

[ انظر أيضاً ج ١٨ ص ٢٨٩ ، انظر ج ١ ص ٧٠ ] .

دَافَ الجَريحُ دَفْوًا أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَفى الحَدِيثِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ جِهينَةَ جَاءُوا بِأَسِيرٍ إِلَى النَبىِّ صلعمُ وَهُوَ يَرْعُدُ مِنَ البَرْدِ فَقالَ لَهُمُ اذْهَبُوا بِهِ فَأَذْفُوهُ يَريدُ الدَفءَ مِنَ البَرْدِ وَهى نَفْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقتَلُوهُ وَإِنَّمَا أَرادَ أَذْفِئُوهُ مِنَ البَرْدِ فوداهُ صلعمُ .

٢ - دَافَ الشَّيْءُ دَوْفًا وَأَدافُهُ خَلَطَهُ وَأَ كَثُرَ فى الدَواءِ وَالطَّيِّبِ ، وَمِسْكٌ مَدَوُوفٌ مَدَوْفٌ جَاءَ عَلَى الأَصْلِ وَهى تَمِيمِيَّةٌ ( ص ٧ ) .

٣ - رَضَفَتُ الوَسادَةَ نَفَيْتُهَا يَمَانِيَّةٌ ( ص ٢٢ ) .

٤ - الرُّحْلُوفَةُ آثَارُ نَزْلِجِ الصَّبِيانِ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ إِلَى أَسْفَلِهِ وَهى لُغَةٌ أَهلِ العَاليَةِ وَتَمِيمٌ يَقولُهُ بِالقَافِ ( ص ٣١ ) [ رَويتُ هُنَا أبايَاتَ مَنفَرَدَةً مَنسُوبَةً لِأَوسِ بنِ جَحرٍ ، وَمِزاحِمِ العَقيلِ وَالْمِجَاجِ ] .

٥ - أَبُو زَيدٍ السُّدْفَةُ فى لُغَةِ بَنى تَمِيمٍ الظَّلْمَةُ قالَ وَالسُّدْفَةُ فى لُغَةِ قَيسِ الضَّوءِ ،

وحكى الجوهري عن الأصمى السُدفة والسُدفة في لغة نجد الظلمة وفي لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد (ص ٤٦) .

٦ — قال أرض الجنة مسلوقة قال الأصمى هي المستوية أو المسوأة قال وهذه لغة أهل اليمن والطائف (ص ٦١) .

الشَّخْفُ قَشْرُ الجَعْدِ يمانية، الشَّخَافُ اللَّابِنُ حيرية (ص ٦٩) .

٧ — الشَّرْنَفُ ورق الزرع إذا كثر وطال وخشِيَ فساده فُقُطِعَ يقال حينئذ شَرْنَفْتُ الزرعَ إذا قطعت شرنافه قال الأزهرى وهي كلمة يمانية (ص ٧٧) .

٨ — وأهل هَجَرَ يقولون للمجنون مَشْمُوفٌ وبه شِعَافٌ أى جنون (ص ٧٩) .

٩ — المِصْحَفُ والمِصْحَفُ الجامع للصحف المكتوبة بين الدَفَتَيْنِ كأنه أَصْحَفٌ والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد تميم تكسرها وقيس تضمها ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما ذلك من اللحياني عن الكسائي (ص ٨٨) .

١٠ — الصَّخْبُ حفر الأرض والمِصْحَفَةُ المِصْحَاةُ يمانية

(ص ٨٩) .

١١ — قال الأزهرى سمعت أعرابياً من بني حنظلة بسمى المِصْحَفَةَ المِصْحَفَةَ بالفاء (ص ٩٥) .

١٢ — ماذا عَدُوفاً ولا عَدُوفاً ولا عَدُوفاً أى شيئاً والذال المعجمة في كل ذلك لغة، قال أبو حسان سمعت أبا عمرو الشيباني يقول ما ذقت عَدُوفاً ولا عَدُوفاً قال وكنت عند يزيد بن مزيد الشيباني فأنشدته بيت قيس بن زهير:

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَدُوفاً يَقْدُفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ

بالدال فقال لى يزيد صفت أبا عمرو وإنما هى عذوفة بالقال قال قلت له لم  
أصبح أنا ولا أنت تقول ربيمة هذا الحرف بالدال وسائر العروب بالدال  
(ص ١٣٩ ، ١٤٠) .

١٣ - الغادِفُ المِلاحُ يمانية ، والغادِف والمِندَفَة والغادِوف والمِندَف  
المِجداف يمانية (ص ١٦٩) .

١٤ - والغِرْفَة جبل معقود بأنشوطه يُلقى فى عنق البعير وغرف البعير  
يغرفه ويغرفه غَرْفًا ألقى فى رأسه الغرفة يمانية ، والغريفَةُ النعلُ بلغة بنى أسد  
قال شمر وطيبء تقول ذلك (ص ١٧٠) .

١٥ - القَدْفُ غرف للماء من الحوض أو من شئ تصبّه ، بكفك عُمانية  
(ص ١٨٣) .

١٦ - والهَيْفُ بالتحريك رِقَّةٌ الخِصْرُ وضمور البطن هَيْفٌ هَيْفًا وهافٍ  
هَيْفًا فهو أهيفٌ واهة تميم هافٍ هَيْفًا وامرأة هيفاء (ص ٢٦٦) .

١٧ - وَزَفَهُ وَزَفًا استعجله يمانية (ص ٢٧١) .

١٨ - الواقِفَةُ القدم يمانية (ص ٢٧٧) .

١٩ - اللحيانى أو كفتُ البغلِ أو كفه إيكافًا وهى لفة أهل الحجاز وتميم  
تقول آ كفته أو كفه إيكافًا (ص ٢٨١ وانظر أيضا ج ١٠ ص ٣٥١) .

٢٠ - بُجْنَقُ العرادة الجلباب الذى طلى أصل عنقها وجمعه بجناق وبعض  
بنى عُقَيْل يقول بُجْنَقُ (ص ٢٩٤) .

٢١ - البُرْقُ الطُفَيْلى حجازية (ص ٢٩٨) .

٢٢ - البِطَاقَةُ الورقة عن ابن الأعرابى ، وقال غيره البطاقة رقعة صغيرة  
وهى كلمة مبتدلة بمصر وما والاها يدعون الرُقعة التى تكون فى الثوب وفيها  
رقم ثمنه بطاقة (ص ٣٠٣) .

٢٣ — البَطْرِيقُ بلغة أهل الشام والروم هو القاندمعرب، ويقال إن البطريق  
عربي وافق المعجمي وهي لغة أهل الحجاز وقال أمية بن أبي الصلت :  
من كل بطريقٍ لِيَطُّ ريقٍ نقيٍّ الوجهِ واضحٍ  
(ص ٣٠٣) .

٢٤ — قال ابن سيده والحازقةُ والحزّاقةُ العيرُ طائفة (ص ٣٣١) .

٢٥ — الحَلَقَةُ كل شيء استدار كحلقة الحديد والفضة والذهب وكذلك  
هو في الناس ، وقد حكى سيبويه في الحَلَقَةُ فتح اللام وأنكرها ابن السكيت ،  
وحكى الأُمويّ حَلَمَةَ القوم بالكسر قال وهي لغة بني الحرث بن كعب  
(ص ٣٤٦ ، ٣٤٧) .

٢٦ — الخانِقُ مضيق في الوادي والخانقِ شِعْبٌ ضَيِّقٌ في الجبل وأهل اليمن  
يسمون الزقاق خانقا (ص ٣٨١) .

٢٧ — وأهل مكة يسمون توابل القِدْرِ كلِّها دُقَّةً ، ابن سيده الدُقَّةُ التوابل  
وما خلط بها من الأَبْزار (ص ٣٩٠) والدُقَّةُ الملح وما خلط به من الأَبْزار .

٢٨ — راق الماء يَرِيقُ رَيْقًا انصبَّ حكاه سيبويه وأراقه هو إراقه ،  
وهراقه على البدل عن اللحياني ، وقال هي لغة يمانية ثم فشت في مصر (ص ٤٢٨)



## الجزء الثاني عشر

١ — الرُّحْلُوقة آثارٌ تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل ، قال عامر بن ملاعب الأسنه :

لما رأيتُ ضِراراً في مُلَمَلَمَةٍ كأنما حافتها حافتها نِيقِ  
يَمْتَهُ الرمحَ شَزْراً ثم قلت له هذى المروءةُ لا لِعِبُ الزحاليقِ  
[ النيق أرفع موضع في الجبل ] ( ص ٣ )

٢ — الزقاقُ السُّكَّةُ يذكر ويؤنث قال الأَخْفَسُ أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسرائط والسبيل والسوق والزقاق والسكلاء وهو سوق البصرة ، وبنو تميم يذكرون هذا كله ( ص ٩ ) .

٣ — كَلَبٌ تُقَلِّبُ الصَّادَ مع القاف زاباً تقول اذْذُقْنِي أَي اصْدُقْنِي ( ص ٦١ )

٤ — الصَّاقُ لغة في الساق عنبرية ، قال ابن سيده وأراه ضرباً من المضارعة لمكان القاف ، والصويق لغة في السويق المعروف لمكان المضارعة ( ص ٧٦ )

٥ — الطَّرِيقُ ضرب من النخل ، وقيل الطريق أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة واحدته طريقة ، وقيل الذي يُنال باليد ، والطَّرِيقُ النخلة في لغة طيء عن أبي حنيفة ( ص ٩٣ ) .

٦ — الطَّمَقُ سرعة المشى يمانية زعموا ( ص ١٠١ ) .

٧ — وفي لغات هذيل أعثقت الأرض إذا أخصبت ( ص ١٠٩ ) .

٨ — العَرَاقِي عند أهل اليمن التَّرَاقِي ( ص ١٢١ ) .

٩ - العزِيقُ مطمئنٌ من الأرض يمانية ( بالعين والزاي ) ( ص ١٢٢ )  
والصَّقُ المرجون الرديءُ أسَدِيَّة .

١٠ - والعقيقة نواة رخوة كالعجوة تُؤكل ، ونوى العُتوقِ نوى هَشّ  
لَيْن رخو المَمْضَفَة تأكله العجوز أو تلوكة تُعلِّقُه الناقة العتوق ( الحامل ) إلطافاً  
لها فلذلك أُضيف إليها وهو كلام أهل البصرة ولا تعرفه الأعراب في بلادها  
( ص ١٣١ ) .

١١ - قال الفراء لغة أهل الحجاز عَمِيق وبنو تميم يقولون عميق ( ص ١٤٣ )

١٢ - رجلٌ عَوْقٌ لا خير عنده والجمع أعواق ، ورجلٌ عَوْقٌ جبان هذلية  
( ص ١٥٢ ) .

١٣ - ابن سيده الفَحْمَة راحة الكلب بلغة أهل اليمن ( ص ١٧٣ ) .

١٤ - قال الفراء سمعت أعرابياً من قضاة يقول فُنْتُقُ للفُنْدُق وهو الخان  
( ص ١٨٨ ) .

١٥ - وشيء لَثِقٌ حلوى يمانية حكاها المروى في الغريبين قال ورواه الأزهرى  
عن علي بن حرب وأنشد :

فَبُقُضُكُمْ عِنْدَنَا مُرٌّ مَذَاقَتُهُ      وَبِفَضْنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَثِقٌ  
( ص ٢٠٢ ) .

١٦ - لَصِقَ بِهِ يَلْصِقُ لَصُوقًا وهى لغة تميم ، وقيس تقول لَسِقَ بالسِّين  
وربيعة تقول لَزِقَ وهى أقبحها إلا فى أشياء نصفها فى حدودها ( ص ٢٠٥ ) .

١٧ - قال أبو زيد لَمَقَ الشَّيْءُ . كتبه فى لغة بنى عُقَيْلٍ وسائر قيس يقولون  
لَمَمَهُ مَحَاهُ ( ص ٢٠٨ ) .

١٨ - الصَّفُّ مِنَ اللَّسِينِ أو الحجارة فى البناء عند أهل الحجاز مِدْمَاكٌ وعند  
أهل العراق سَافٌ ( ص ٣١٢ ) .

١٩ — الدَّيْبُكُ في كلام أهل اليمن الرجلُ المشْفِقُ الروم ومنه سمي الديك ديكا ، قال والدَّيْبُكُ الربيع في كلامهم (ص ٣١٤) .

٢٩ — سدِّكْ به بالكسر سدَّ كَأَ وسَدَّ كَأَ لَزِمَهُ ، والسدِّكُ المولعُ بالشئ .  
طائفة (ص ٣٢٣) .

٢١ — ضَبَّكَ الرجلَ وضبَّكهُ غمز يديه يمانية (ص ٣٤٥) .

٢٢ — العِنْكَ البابُ يمانية ، وَعِنْكَ البابَ وأعنكهُ أغلقه يمانية  
(ص ٣٥٩) .

٢٣ — فدَّكَ القطنَ تفديكاً نفسهُ وهي لفة أزدية (ص ٣٦١) .

٢٤ — الفِرْسِيكُ الخَوْخُ يمانية ، وقيل هو مثل الخوخ في القدر وهو أجردُ  
أملس أحمر وأصفر ، قال شمر سمعت حميرة فصيحة سألتها عن بلادها فقالت :  
النخلُ قُل ، ولكن عيشتنا اتممَّحُ (التمح) امفَرَسِيكُ ، امعِنَبُ ، امحمَّاطُ  
(الحمَّاطُ = التين) طُوبُ ، أي طيب فقلت لها ما الفرسك فقالت امتينُ عندكم  
(ص ٣٦٣) .

٢٥ — النَّتْكَُ شبيهةٌ بالنتف يمانية (ص ٣٨٨) .

٢٦ — هَلَّكَ الشئَ وهلكهُ وأهلكه قال المعجاج :  
ومهمه هالكٍ من تعرجا هائلة أهواله من أدلجا  
يعنى مهلك لفة تميم (ص ٣٩٤ ، ٣٩٥) .

## الجزء الثالث عشر

١ — الليث : الأشلُّ من الذَّرع (المقاييس) بلغة أهل البصرة يقولون كذا وكذا حبلاً ، وكذا وكذا أشلاً لقدر معلوم عندهم قال أبو منصور وما أراه عربياً ، قال أبو سعيد الأشولُّ هي الحبالُ وهي لغة من لغات النبط قال ولولا أنني نبطي ما عرفته (ص ١٥ ، ١٦) .

٢ — التهذيب الإصطقلينُ الجزرُ الذي يؤكل لغة شامية الواحدة اصطقلينية قال شمر الإصطقلينية كالجزرة ليست بعربية محضة لأن الصاد والطاء لا يكادان يجتمعان في محض كلامهم قال وإنما جاء في الصراط والإصطقل والاصطمة أن أصلها كلها السين (ص ١٨) .

٣ — الأزهرى وخطأً بعضهم قول من يقول : فلان يستأهل أن يُكرمَ أو يُهان ، قال وأما أنا فلا أنكره ولا أخطيء من قاله ، لأنى سمعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول لرجل شكر عنده يداً أوليها : تستأهل يا أبا حازم ما أوليتَ (ص ٣٠) .

٤ — التهذيب آل فلان من فلان أى وأل منه ونجا وهي لغة الأنصار يقولون رجل آبل مكان وائل (ص ٤١) .

٥ — البرطلةُ المظلةُ الصيفية نبطية وقد استعملت في لفظ العربية ، وقال غيره إنما هو ابن الظلَّة (ص ٥٤) .

٦ — ويقال بلِّ مُباحٌ مُطلقٌ يمانية حيرية (ص ٦٩) .

٧ — تميم تقول البُلُوقة من بِلَّة السرى وأسد تقول البِلَّةُ  
(ص ٧٠).

٨ — قال الفراء والعرب تقول بِلُّ والله لا آتيك، وبين والله، يحملون  
اللام فيها نونا، وهي لغة بني سعد ولغة كلب، قال وسمعت الباهليين يقولون  
لابن بمعنى لا بِلُّ (ص ٧٤).

٩ — أبو تراب عن بعض بني سليم: في الفِرارة ثِفلةٌ من تمر وثملةٌ  
من تمر أي بقية منه (ص ٩٠).

١٠ — الأصمى إذا اخضرَّ طلعُ النخيل واستدار قبل أن يشتدَّ فإن أهل  
نجد يسمونه الجدال (ص ١١٠).

١١ — قال كراع ويقال للجعل أبو وجزة بلغه طيء (ص ١١٩).  
والجعمول ولد النعام يمانية.

١٢ — الجفال من الزبد كالجفاء، وكان رؤبة يقرأ فأما الزبد فيذهب جفلاً  
لأنه لم يكن من افته جفأت القدر ولا جفاً السيل (ص ١٢١).

١٣ — وجلّ الداية وجلّها الذي تلبسه لتصان به، الفتح عن ابن دريد قال  
وهي لغة تميمية معروفة (ص ١٢٥).

١٤ — والجلّ بالفتح شراع السفينة، قال شمر رواه أبو عدنان الملاح جلّ  
وهو الكساء يلبس السفينة، قال ورواه الأصمى جلّ وهو لغة بني سعد بفتح الجيم  
(ص ١٢٨).

١٥ — الحرّجل والحرجلة الجماعة من الخيل تميمية (ص ١٥٨).

١٦ — وروى الأزهرى بإسناده عن الفراء قال سمعت أعرابياً من بني سليم  
يشد [فإنها حيلُ الشيطان يمتثل] قال وغيره من بني سليم يقول يمتثال بلا همز

المُشْتَقُّ ، قال وغيره يقول المشتاق ( ص ١٩٨ ، ١٩٩ ) .

١٧ — الليث لغة تميم حالت عينه تَحُولُ حَوْلًا وغيره يقول جَوَلَتْ عينه تَحُولُ حَوْلًا ( ص ٢٠٣ ) .

١٨ — اَلْحَلَالُ بِالْفَتْحِ البَلْحُ واحِدته خَلالة بِالْفَتْحِ ، قال شمر وهي بلغة أهل البصرة ( ص ٢٣٣ ) .

١٩ قال ابن الأثير اَلْحَوَلِيُّ عند أهل الشام التميم بأمر الإبل وإصلاحها ، من التحوّل التمهد وحسن الرعاية ( ص ٢٣٩ ) .

٢٠ — وفي الحديث ما إخالُك سرقتَ أي ما أظنك ، وتقول في مستقبله إخالُ بكسر الألف وهو الأفصح وبنو أسد يقولون أخالُ بالفتح وهو القياس والكسر أكثر استعمالاً ( ص ٢٤٠ ) .

٢١ — وقال محمد بن حبيب : الدَّيْلُ في كنانة بضم الدال وكسر الهززة قال وكذلك في المون بن خزيمه أيضاً ، والدَّيْلُ في الأزدي بكسر الدال وإسكان الياء ( ص ٢٤٨ ) .

٢٢ — الدَّرَكْلَةُ لعبة يلعب بها الصبيان وقيل هي لعبةٌ للمعجم معرب قال ابن دريد أحسبها حبشية معربة وقال أبو عمرو وهو ضرب من الرقص ( ص ٢٥٩ )

٢٣ — لا دَهْلُ أي لا تَخْفُ نبطية معربة ( ص ٢٦٧ ) .

٢٤ — التَّرَاجِيلُ الكَرَفُسُ سوادية وفي التهذيب بلغة المعجم وهو اسم سوادى من بقول البساتين ( ص ٢٩١ ) .

٢٥ — الرَّكْلُ الكَرَاثُ بلغة عبد القيس ( ص ٣١٣ ) .

١٦ — نَزِيلُ القَوْمِ تَزِيلًا وتَزِيلًا تَفَرَّقُوا الأخيرة حجازية ، رواها اللحياني قال وربيعة تقول تَزَايَلُ القَوْمُ تَزَايَلًا ( ص ٣٣٦ ) .

٢٧ — الفراء يقال للتمر الذي لا يشتد نواه الشيص، قال وأهل المدينة يسمونه  
السُّخْلُ والسُّخْلُ بضم السين وتشديد الخاء الشيص عند أهل الحجاز (ص ٣٥٣) .  
ويقال سَخَلَتَ الرجل إذا عَبَتَهُ وضمفته، وهي لغة هذيل .  
٢٨ — السَّمَالُ شجر يمانية (ص ٣٦٩) .

٢٩ — التهذيب في الرباعي: الشُّشْقَلَةُ كلمة حميرية، لهجَ بها صيارفة أهل  
العراق في تعبير الدنانير (وزنها) يقولون قد شَشَقْنَاها أي عَيَّرْنَاها أي وزناها  
دبناراً دبناراً، وليست الششقلة عربية محضة (ص ٣٧٥) .

٣٠ — الكسائي الضَّئِيلُ الداهية، ولغة بني ضبة الصَّدِيلُ قال: والضاد  
أعرف، وأبو عبيدة رواه الضَّئِيلُ بالضاد قال ولم أسمعه بالصاد إلا ما جاء به  
به أبو تراب (ص ٤٠١) .  
٣١ — صلَّ الشرابَ بِصَلِّهِ صلاً صَفَاءً والمِصَلَّةُ الإِنَاءُ الذي يُصَفَّى فيه  
يمانية (ص ٤٠٨) .

٣٢ — اضْمَحَلَّ السحاب تقشع واضمحَل الشيء أي ذهب، وفي لفظة  
الكلايين امضَحَلَّ بتقديم الميم حكاه أبو زيد (ص ٤١٤) .  
٣٣ — بنو تميم يقولون وَضَلَّتْ أُضَلُّ ضَلَّتْ أُضِلُّ، وقال اللحياني أهل  
الحجاز يقولون ضَلَّتْ أُضَلُّ وأهل نجد يقولون ضَلَّتْ أُضِلُّ، وأهل العالية  
يقولون ضَلَّتْ بِالْكَسْرِ أُضَلُّ، وقال الجوهري لغة نجد هي الفصيحة (ص ٤١٤) .

٣٤ — الطَّنَائِلُ والطَّنَالُ الطين اليابس يمانية (٤٢٩) .

٣٥ — ظلَّ نهاره يفعل كذا وكذا، يَظَلُّ ظِلًّا وُظُلُولًا وِظَلَّاتُ أَنَا  
وِظَلَّتْ وِظَلَّتْ قال ومن العرب من يحذف لامَ ظَلَّتْ ونحوها حيث  
يظهران، فإن أهل الحجاز يكسرون الظاء على كسرة اللام التي أقيمتُ  
فيقولون ظَلَّلْنَا وِظَلَّلْنَا (ص ٤٤١) .

- ٣٦ - والمرَّجَلَةُ من الخيل القطيع وهي بلفظة تميم المرَّجَلَةُ (ص ٤٦٥).
- ٣٧ - وحكى أبو زيد أن لفظة عُقَيْلٌ لعلَّ زيدٍ منطلق بكسر اللام من لعلَّ وجرَّ زيدٌ، وقال الأخفش ذكر أبو عبيدة أنه سمع لام لعلَّ مفتوحة في لفظة من يجربها (ص ٥٠١).
- ٣٨ - والمُعامَلَةُ في كلام أهل العراق هي المُساقاةُ في كلام الحجازيين (ص ٥٠٤).



## الجزء الرابع عشر

- ١ - واسم ماتفرزل به المرأة المَفْرُزَل والمُفْرُزَل والمَفْرُزَل تميم تكسر الميم وقيس تضمها والأخيرة أقلها (ص ٤).
- ٢ - النصر في كتاب الزرع : القَقْلُ التذرية في لغة أهل اليمن (ص ٤٥)
- ٣ - وفي حديث معاوية أنه صعد النبر وفي يده قَلِيلَةٌ وَطَرِيْدَةٌ القليلة الكُبَّة من الشَّعْر والقَلِيلُ الليف هذلية (ص ٤٨) وأهل اليمن يسون تمر الغاف فُلُقْلًا.
- ٤ - القُمَّلُ والقَلَمُ القُدح الضخم بلغة هذيل (ص ٨٧).
- ٥ - وبنو أسد يقولون : قَوْلٌ وَقِيْلٌ بمعنى واحد (مبنى للمجهول) (ص ٩٢).
- ٦ - المِقْوَلُ القِيْلُ بلغة أهل اليمن ، قال ابن سيده المِقْوَلُ والقِيْلُ الملك من من ملوك حمير (ص ٩٤).
- ٧ - وَرُبُّ مَكِيلٍ وَيَجُوزُ فِي الْقِيَاسِ مَكْيُولٌ وَلِغَةِ بَنِي أَسَدٍ مَكْوَلٌ وَلِغَةِ رَدِيْثَةِ مَكَالٌ ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ أَمَا مَكَالٌ فَمِنْ لَفَاتِ الْحَضَرِيِّينَ ، قَالَ وَمَا أَرَاهَا عَرَبِيَّةٌ مَحْصَةٌ وَأَمَا مَكْوَلٌ فَهِيَ لِغَةُ رَدِيْثَةِ وَاللِّغَةُ الْفَصِيْحَةُ مَكِيلٌ نَمَّ يَلِيهَا فِي الْجُودَةِ مَكْيُولٌ (ص ١٢٥).
- ٨ - قَالَ الْفَرَّاءُ أَمْسَلَتْ لِغَةَ أَهْلِ الْحِجَارِ وَبَنِي أَسَدٍ ، وَأَمْلَيْتُ لِغَةَ بَنِي تَمِيمٍ وَقَيْسٍ (ص ١٥٤).

٩ — وأهل الحجاز يؤنثون النَّخْلَ وفي التنزيل العزيز والنخل ذات الأكام،  
وأهل نجد يذكرون (ص ١٧٥).

١٠ — وكتابٌ مُنمَّلٌ مكتوبٌ هذلية (ص ٢٠٤).

١١ — والنَّوْلُ الوادي للسائل ختمية عن كراع (ص ٢٠٨).

١٢ — الجوهرى فى المستقبل منه أربع لغات يُوَجَلُ ويَاجِلُ وَيَبْجَلُ  
ويَبِجَلُ بكسر الياء قال وكذلك فيما أشبهه من باب المثال إذا كان لازماً  
فمن قال يَاجِلُ جعل الواو ألفاً لفتحة ما قبلها ومن قال يَبِجَلُ بكسر الياء فهى  
على لغة بنى أسد فإنهم يقولون أنا إِيَجَلُ ونحن نِيَجَلُ وأنت تِيَجَلُ كلها  
بالكسر وهم لا يكسرون الياء فى يَعَلَمُ لاستنقالم الكسر على الياء وإنما  
يكسرون فى يَبِجَلُ لتقوى إحدى الياءين بالأخرى (ص ٢٤٨).

١٣ — الوَذِيلَةُ المرآة طائية قال أبو عمرو قال المذلى الوذيلة المرآة فى لغتنا  
(ص ٢٤٩).

١٤ — الْمُوتَصِلَةُ لغة قريش فإنها لاتدغم هذه الواو وأشباهاها فى الغاء فتقول  
مُوتَصِلٌ ومُوتَفِقٌ ومُوتَعِدٌ ونحو ذلك ، وغيرهم يدغم فىقول مُتَصِلٌ ومُتَفِقٌ  
(ص ٢٥٣).

١٥ — الأُجُمُ القصر بلغة أهل الحجاز ، وفى الحديث حتى توارت بأجام  
المدينة أى حصونها (ص ٢٧٣).

١٦ — الأرومة الأصل ، قال ابن الأثير الأرومة بوزن الأكوثة الأصل  
(ص ٢٧٩).

والأرومة والأرومة الأخيرة تميمية الأصل والجمع أروم (ص ٢٨١).

١٧ — قال الليث وتكون « أم » مبتدأ الكلام في الخبر وهي لفة يمانية يقول قائلهم : أم نحن خرجنا خيارَ الناس ، أم نطعم الطعام ، أم نضرب الهام ، وهو يخبر . وروى عن أبي حاتم قال : قال أبو يزيد « أم » تكون زائدة لفة أهل اليمن ( ص ٣٠١ ) . تكون « أم » بلغة بعض أهل اليمن بمعنى الألف واللام ، وفي الحديث ليس من أميرٍ أمصيامٍ في أمسفر ، قال أبو منصور والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تُظهر إذا وصلت ، ولا تُقطع كما تُقطع ألف « أم » التي قدمنا ذكرها وأنشد أبو عبيد :

ذاك خيلى وذو بعاتبني يرمى ورأى بأمسيفٍ وأمسله  
الأتراه كيف وصل الميم بالواو فافهمه ( ص ٣٠٢ ) .

١٨ — البطمُ شجر الحبة الخضراء واحده بُطمة ويقال بالتشديد ، وأهل اليمن يسمونها الضرو ( ص ٣١٧ ) .

١٩ — وجحمتا الإنسان عيناه وجحمتا الأسدعيناه بلغة حمير قال ابن سيده بلغة أهل اليمن خاصة ( ص ٣٥٢ ) .

٢٠ — قال أبو حنيفة الجداعي ضرب من التمر باليامة وهو بمنزلة الشهريرز بالبصرة والتبى بالبحرين ( ص ٣٥٣ ) .

٢١ — يقال للجدع جدعمّ وجدعمة قال ابن الأثير وفي حديث علي كرم الله وجهه أسلم والله أبو بكر وأنا جدعمة ، وفي رواية ، أسلتُ وأنا جدعمة ، أراد وأنا جدع أي حديث السن ( ص ٣٥٧ ) .

## الجزء الخامس عشر

- ١ - وفي حديث عمر رضی الله عنه في الحرام كفارةُ يمين : هو أن يقول حَرَامُ اللهُ لَا أَفْضَلَ ، كما يقول يمين الله وهي لنة العُقَيْلِيِّين ( ص ١٨ ) .
- ٢ - الأزهري قال أبو تراب سمعت بعض بني سُليْم يقول حمزه وحظه أي عصره ، وجاء به في باب الظاء والزاي ( ص ٣٠ ) .
- ٣ - الخَزُومَةُ البقرة بلفظة هذيل ( ص ٦٦ ) .
- ٤ - وقال أبو عمر الدَّمْدِيمُ أصول الصَّلِيَّانِ ( شجر ) المُحِيلِ في لنة بني أسد وهو في لنة بني تميم الدَّنْدِنُ ؛ الدندم النبات القديم للسود كالندن بلفظة بني أسد . قال ابن سيده ولولا أنه قال بلفظة بني أسد لجلت ميم الدندم بدلا من نون الدندن ( ص ٩٩ ) .
- ٥ - الرَّحِمُ القراية والرَّحْمُ بالكسر مثله ، وذهب سيبويه إلى أن هذا مطرد في كل ما تانيه من حروف الخلق بَكْرِيَّة ( ص ١٢٤ ) .
- ٦ - وزعم أبو زيد الأنصاري أن من أهل اليمن من يقول رَنَّخْتُهُ رَنَّخَةً بمعنى رحمته رحمة ( ص ١٢٥ ) .
- ٧ - فإن الخليل زعم أن ناسا من بكر بن وائل يقولون رَدَّتْ وَرَدَّتْ وكذلك مع جماعة اللوث يقولون رُدَّنَ وَرُدَّنَ ، يريدون : رَدَدَتْ وَرَدَدَتْ وارْدُدَنَّ وَاوْرُدَنَّ ( ص ١٤٥ ) [ وانظر ج ٤ ص ٢٢٠ ] .
- ٨ - الرَّعْمُ تميمية والرَّعْمُ حجازية ( ص ١٥٦ ) .

٩ - الأحر: بعير أَرَيْمٌ وأَسْحَمٌ وهو الذى لا يرغو، قال شر الذى سمعت: بعير أَرَجَمَ بالزاي والجيم قال وليس بين الأَزِيمِ والأَزْجَمِ إلا تحويل الياء جيا وهى لفة فى تميم معروفة، قال أبو الهيثم والعرب تجعل الجيم مكان الياء لأن محرجهما من شجر القم، وشجر القم الهواء وخرق القم الذى بين الخنكين (ص ١٧٢) .

١٠ - سَطْمَةُ البحر والحسب واسْطَمَّتْهُ واسْطَمَّتْهُ وسطه ومجتمعه والجمع الأَسَامِ، قال وتميم تقول أَسَامِمْ تعاقب بين الطاء والتاء فيه (ص ١٧٨) .

١١ - قال يوس: أهل العالية يقولون السَّمَّ والشَّهْدَ يرفعون، وتميم تفتح السَّمَّ والشَّهْدَ (ص ١٩٥) .

١٢ - والحروف الصَّتَمُ التى ليست من حروف الخلق، قال ابن سيده ولذلك معنى ليس من غرض هذا الكتاب، قال الجوهري الحروف الصَّتَمُ ما عدا الذئق، والصَّتِيْمَةُ الصخرة الصلبة، والأَصْتَمَةُ معظم الشيء تميمية التاء فيها بدل من الطاء، وفلان فى أصتمة قومه مثل أضطمتهم، التهذيب والأصاتم جمع الأصطمة بلفة تميم جمعوها بالتاء كراهة تفخيم أصاطم فردوا الطاء إلى التاء (ص ٢٢٥)

١٣ - الجوهري: الصَّوْمُ شجر فى لفة هذيل (ص ٢٤٤) .

١٤ - وأهل الحجاز إذا أطلقوا اللفظ بالطعام عنوا به البرَّ خاصة (ص ٢٥٦) .

١٥ - والمُعْظَمَةُ والمُعْظَامَةُ والمُعْظَامَةُ بالتشديد والإعْظَامَةُ والمُعْظِيْمَةُ ثوب تعظم به المرأةُ بحجرتها، وقال الفراء المعْظَمَةُ شئ تعظم به المرأةُ رِدْفَهَا من مِرْقَقَةٍ وغيرها، وهذا فى كلام بنى أسد، وعيرهم يقول العِظَامَةُ بكسر العين (ص ٣٠٤)

١٦ - وأما الذى ورد فى حديث عائشة، رضى الله عنها: استأذنتِ النبي صلعم فى دخول أى القعيس عليها فقال انذنى له فإنه عمَّج، فإنه يريد عمك

من الرضاغة فأبدل كاف الخطاب جيا وهي لغة قوم مر اليمن ، قال الخطابي إنما جاء هذا من بعض التقلد فإن رسول الله صلعم كان لا يتكلم إلا باللغة العالية قال ابن الأثير وليس كذلك فإنه قد تكلم بكثير من لغات العرب منها قوله ليس من امبرّ امصيام في امسفر ، وغير ذلك ( ص ٣١٩ ) .

١٧ — المُفْرَمُ الملوء بالماء وغيره هذلية، أبو عبيد المُفْرَم من الحياض الملوء بالماء في لغة هذيل ، الجوهري أفرمتُ الإناء ملاءته بلفظة هذيل ( ص ٣٤٩ )

١٨ — قِطَامٌ ، قِطَامٌ اسم امرأة وأهل الحجاز يبنونه على الكسر في كل حال وأهل نجد يجرونه مجرى مالا ينصرف وقد ذكرناه في رقاش ( ص ٣٩١ )

١٩ — القَهْمُ القليل الأكل من مرض أو غيره ، وقد أقهم عن الطعام وأقهي أي أمسك وصار لا يشتهي وقهي لبعض بني أسد ( ص ٣٩٧ ) .

٢٠ — الكَهْمُ لغة في الكحْب وهو الحِضْرُم واحدته كَحْمَةٌ يمانية ( ص ٤١٢ )

٢١ — الكِلْمَةُ لغة تميمية والكَلِمَةُ اللفظة حجازية، والجمع في لغة تميم الكِلَام

( ص ٤٢٨ ) .

## الجزء السادس عشر

- ١ - أبو زيد قال تميم تقول تثلّمت على الفم وغيرهم يقول تثلّمت (ص ٥) .
- ٢ - وتكون « لنا » بمعنى « إلّا » في قولك سألتك لما فعلت ، بمعنى إلّا فعلت وهي لغة هذيل (ص ٢٧) .
- ٣ - في الحديث أن النبي صلعم رأى على « عبد الرحمن بن عوف » وَضْرًا من صُفْرَةٍ فقال : مَهَيْمٌ ؟ قال قد تزوجت امرأة من الأنصار على نواة من ذهب . فقال أولم ولو بشاة . أبو عبيد قوله مهيم كلمة يمانية معناه ما أمرك ؟ (ص ٤٢) .
- ٤ - وَنِعْمَةٌ اللهُ بكسر النون منه ، وما أعطاه الله العبد ، والجمع نِعَمٌ وَأَنْعَمٌ وَنِعِمَاتٌ وَنِعِمَاتٌ الإتياع لأهل الحجاز (ص ٥٩) .
- ٥ - وحكى سيبويه أن من العرب من يقول نَعَمَ الرجلُ في نِعْمٍ . كان أصله نَعِمَ ثم خفف يأسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل (ص ٦٥) .
- ٦ - أمرنا أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه بأمرٍ فقلنا نَعَسَمُ ، فقال لا تقولوا نَعَمَ ، وقولوا نَعِسِمَ بكسر العين ، وقال بعض ولد الزبير ما كنت أسمع أشياخ قريش يقولون إلّا نَعِسِمَ بكسر العين (ص ٦٩) .
- ٧ - الهَيْصَمُ حجر أملس يتخذ منه الحقاق وأكثر ما يتكلم به بنو تميم وربما قلبت فيه الصاد رايا (ص ٩٦) .
- ٨ - قال سيبويه هلّم في لغة أهل الحجاز يكون للواحد والاثنين والجميع

والذكر والأنتى بلفظ واحد وأهل نجد يصفونها ؛ وأما في لغة تميم وأهل نجد فإنهم يجرونه مجرى قولك ردّ يقولون للواحد هلمّ كقولك ردّ وللأثنين هلمّا، وقال الليث هلمّ كلمة دعوة إلى شيء الواحد والاثنتان والجميع والتأنيث والتذكير سواء إلا في لغة بني سعد فإنهم يحملونه على تصريف الفعل تقول هلمّ هلمّا هلمّوا ونحو ذلك (ص ١٠١، ١٠٢) .

٩ - قال اللحياني وسمع الكسائي رجلا من بني عامر يقول إذا قيل لنا أبقى عندكم شيء قلنا : همّاهمّ وهمّاهمّ يا هذا ، أي لم يبق شيء (ص ١٠٧) .  
١٠ - الوَسْمَةُ أهل الحجاز يتقلونها [ أي الوَسْمَةُ ] وغيرهم يخففها كلاهما شجر له ورق يختضب به وقيل هو المظلم (ص ١٢٣) .

١١ - الإِجَانَةُ والإِنْجَانَةُ والأُجَانَةُ الأخيرة طائفة عن اللحياني للمرِّكَنْ [ التي تفصل فيها الثياب ونحوها ] وأفصحها إِجَانَةٌ وحادثة الأَجَاين وهو بالفارسية إِكَّانَةٌ (ص ١٤٥) .

١٢ - قال أبو اسحاق والحجة في إن هذان لسحران بالتشديد والرفع أن أبا عبيدة روى عن أبي الخطاب أنه لغة كنانة يعملون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد يقولون رأيت الزيدان ، وروى أهل الكوفة والكسائي والقراء أنها لغة لبني الحارث بن كعب (ص ١٧٢) .

١٣ - وحكى ابن جنى عن قطرب أن طينا تقول هنّ فلتّ فلتت يربدون إن ، فيبدلون (ص ١٧٨) .

١٤ - فأبدل العين مكان الهمزة وهذه عنمنة تميم وهي مذكورة في موضعها (ص ١٧٨) [ انظر ج ١٧ ص ١٦٨ ] .

١٥ - للعرب في « أنا » لغات وأجودها أنك إذا وقفت عليها قلت « أنا » بوزن « عنا » ، وإذا مضيت عليها قلت « أن » فلت ذلك بوزن « عن »



فقلت تحرك النون في الوصل ، ومن العرب من يقول أنا فمكُ ذلك فيثبت الألف في الوصل ولا ينون ، ومنهم من يسكن النون وهي قليلة فيقول أن قلتُ ذلك ، وقضاعة تمد الألف الأولى أن قلتُهُ ( ص ١٧٩ ) .

١٦ - البُلْسُنُ العَدَسُ يمانية ، الجوهري البلسن بالضم حب كالمسوس وليس به ( ص ٢٠٤ ) .

١٧ - والباهينُ ضرب من التمر عن أبي حنيفة ، وقال مرة أخبرني بمض أعرابُ عُمان أن بهجر نخلة يقال لها الباهين لا يزال عليها السنة كلها طلع جديد ( ص ٢٠٧ ) .

١٨ - الفراء في قولهم « بل » بمعنى الاستدراك تقول بل والله لا آتيك وبنُ والله يجمعون اللام فيها نونا قال وهي لغة بني سعد ولغة كلب قال وسمعت الباهليين يقولون لابن بمعنى لا بل ( ص ٢٠٦ ) .

١٩ - المثبنة كيس تضع فيه المرأة مآثها وأداتها يمانية ( ص ٢٢٦ )

٢٠ - الجرين هو موضع تجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة ، وقيل الجرين موضع البيدر بلغة أهل اليمن ، قال وعامتهم يكسر الجيم وجمه جرن ، والجرين الطَّحْنُ بلغة هذيل ( ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ) .

٢١ - الجوهري حزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقد قرىء بهما ( ص ٢٦٦ ) .

## الجزء السابع عشر

- ١ — الدَّحْنَةُ الأَرْضُ المرتفعة عن أبي مالك يمانية (ص ٥) .
- ٢ — الدَّرَّانُ الثعلبُ وأهل الكوفة يسمون الأحق دُرَيْنَةَ (ص ١٠) .
- ٣ — أو حنيفة الدَّرَّاقِنُ الخوخ بلغة أهل الشام (ص ١١) .
- ٤ — داشينٌ معربٌ من الدَّشَنِ وهو كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية كأنهم يعنون به الثوب الجديد الذي لم يلبس أو الدار الجديدة التي لم تسكن ولا استعملت (ص ١١) .
- ٥ — الدَّعْنُ سَعْفٌ يَضُمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَيُرْمَلُ بِالشَّرِيطِ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِ التَّمْرُ أزدية (ص ١١) .
- ٦ — قال أبو حنيفة قال أبو عمر « الدُّنْدِنُ » الصَّلْيَانُ المُحِيلُ تميمية ثابتة (ص ١٧) .
- ٧ — ورجل دائنٌ ومدينٌ ومديونٌ الأخيرة تميمية، ومُدَانٌ عليه الدَّيْنُ، وقيل هو الذي عليه دين كثير، الجوهري رجل مديون كثير ما عليه من الدين (ص ٢٥) .
- ٨ — وقيل الزَّرَّجُونُ قضبان الكرم بلغة أهل الطائف وأهل الفُورِ، قال السيرافي هو فارسي معرب شبه لونها بلون الذهب لأن « زر » بالفارسية الذهب وجون اللون (ص ٥٧) .
- ٩ — الزَّرْفَنُ، الزَّرْفَنُ بلغة عُمان كلاهما ظلة يتخذونها فوق سطوحهم تقيهم ومد المعر أو حره ونداه، والرَّفْنُ عَسِبَ مِنْ عَسَبِ النَّخْلِ يَصْمُ بَعْضُهُ إِلَى

- بعض شبيهه بالحصير الرمولى قيل هى لغة أردية (ص ٥٨) .
- ١٠ - الرُّوَانُ حَبٌّ يَكُونُ فِي الحِنطة تسميه أهل الشام الشَّيْلَم (ص ٦٢)
- ١١ - سَخَنَ الشَّيْءَ والماءَ بالصَّم ، سَخَنَ بالفتح ، سَخِنَ الأخريرة لغة بنى عامر (ص ٦٦)
- ١٢ - السَخاخِينُ السَّاحِي وَاحدها سَخِيْنٌ بلفظة عبدالقيس وهى مسحة منعطفة (ص ٦٩) .
- ١٣ - السَّعْنُ ظِلَّةٌ أَوْ كَالظِّلَّةِ تَتَخَذُ فَوْقَ السُّطُوحِ حدر ندى الومد والجمع سَعُونٌ ، وقال بعضهم هى عمانية لأن متخذها إنما هم أهل عُمان (ص ٧١ وانظر الزرن) .
- ١٤ - السَّكَنُ ، والمَسْكَنُ ، المَسْكِنُ المنزل والبيت الأخريرة نادرة وأهل الحجاز يقولون مسكَنٌ بالفتح (ص ٧٤) .
- ١٥ - حكى الكسائى عن بعض بنى أسد المَسْكِينِ بفتح الميم فى المَسْكِينِ (ص ٨١) .
- ١٦ - القَسْمِينُ التبريد طائفية ، وفى حديث الحجاج أنه أتى بسكة مشوية فقال للذى حملها سَمَنها فلم يدر ما يريد فقال عنبسة بن سعيد إنه يقول لك برِّدْها قليلا (ص ٨٣) .
- ١٧ - الشَّتْنُ النَّسِجُ والشَّاتِنُ والشُّتُونُ النَّاسِجُ يقال شَتَنَ الشَّاتِنُ ثوبَهُ أى نسجه وهى هذلية (ص ٩٦) .
- ١٨ - وَثُوبٌ مَصُونٌ عَلَى النَّقْصِ ، مَصُونٌ عَلَى التَّمَامِ الأخريرة نادرة وهى تميمية (ص ١١٨) .
- ١٩ - الضَّائِنُ خِلافَ المَاعِرِ والجمع الضَّائِنُ والضَّائِنُ مِثْلُ المَعَزِ ، المَعَزِ ،

والضَّئِين، والضَّئِين تميمية، والضَّئِين والضَّئِين غير مهموزين عن ابن الأعرابي كلها أسماء لجمها، فالضَّان كالكب والضَّان كالتعد والضَّئِين كالغزِي والقطين، والضَّئِين داخل على الضَّئِين أتبعوا الكسر الكسر يطردها في جميع حروف الحلق إذا كان المثال فعلاً أو فصيلاً (ص ١١٩) .

٢٠ - ضَدَّتُ الشَّيْءَ أَضَدُّنُهُ ضَدًّا سَهْلَةً وَأَصْلَحْتَهُ لَفَةً يَمَانِيَةً (ص ١٢٢) .

٢١ - وحكى اللخمي عن بني سَليم لقد ظَنَّتْ ذلك أي ظنفت فُحذفوا كما حذفوا ظَلَّتْ وَمَسَّتْ وما أَحَسَّتْ ذلك وهي سَلَمِيَّة (ص ١٤٣) .

٢٢ - قال أبو تراب سمعت زائدة البكري يقول العرب تدعو ألوان الصوف العينَ غير بني جعفر فإنهم يدعونه العِئِنَّ بالثاء (ص ١٤٨) .

٢٣ - العِجَانُ بلغة أهل اليمن العِتْقُ. قال شاعرهم يرئى أمة وأكلها الذئب :

فلم يبق منها غير نصف عجائها وشُمَّرَةٌ منها وإحدى الذوائب

٢٤ - وعنمنة تميم إبدالهم العين من الهمزة كقولهم « عَنَّ » يريدون « أَنْ » ، قال الفراء لغة قريش ومن جاورهم « أَنْ » ، وميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف « أَنْ » إذا كانت مفتوحة عينا يقولون أشهدعنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف ، قال ابن الأثير كأنهم يفعلونه ليجح في أصواتهم . والعرب تقول لأنك ولعنك تقول ذلك بمعنى لملك . ابن الأعرابي لعنك لبني تميم ، وبنو تميم الله بن ثعلبة يقولون رعنك يريدون لملك (ص ١٦٨) .

٢٥ - ومخلة عوان طويلة أردية ، وقال أبو حنيفة العوانة النخلة في لغة

- أهل عُمان ، والعانةُ الحظ من الماء للأرض بلفه عبد القيس (ص ١٧٤) .
- ٢٦ — وقيل العَيْنُ والعَيْنُ الجديداطائية ، وكذلك قرابة عَيْنٍ جديد طائفة  
أيضاً (ص ١٧٩) .
- ٢٧ — الفِدَانُ القضيْب الذي تطلق عليه الثياب يمانية بلفه أهل اليمن  
(ص ١٨٧) .
- ٢٨ — التهذيب قال أبو عمرو أتيته على إفان ذلك ، وقفلن ذلك ، وغفان  
ذلك ، قال والنين في بني كلاب (ص ١٩٠) .
- ٢٩ — فَتَنَ الرجلُ بالمرأة وافتتن ، وأهل الحجاز يقولون فتنه المرأة إذا  
ولته وأحبها وأهل نجد يقولون أفتنته (ص ١٩٤) .
- قال الفراء أهل الحجاز يقولون « ما أتم عليه بفاتنين » ، وأهل نجد يقولون  
بمفتنين من أفتنت (ص ١٩٦) .
- ٣٠ — قال أبو عبيد يَتَفَكَّنُونَ أي يفتندمون ، اللحياني أزد شنوءة  
يقولون يتفكهنون وتميم تقول يتفكنون (ص ٢٠١) .
- ٣١ — ابن بزرج يقول بعض بني أسد يا قُلْ أقبلي ، ويا قُلْ أقبلا ،  
ويا قُلْ أقبلا ، وقالوا للمرأة فيمن قال يا قُلْ أقبلي يا فلان أقبلي ، وبعض بني  
تميم يقول يا فلانة أقبلي وبعضهم يقول يا فلانة أقبلي ، قال سيويبه ليست ترخياً  
وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء في غير النداء وأنشد :
- في لَجَّةٍ أمسك فلانا عن قُلْ  
(ص ٢٠٢) .
- ٣٢ — ابن شميل أهل الحجاز يسمون القارورة « القَران » الرأء شديدة  
وأهل اليمامة يسمونها الحُفجُورة (ص ٢٢٠) .

٣٣ — والقينة الأمة المغنية تكون من التزین لأنها كانت تزین ، وربما قالوا للمتزين من الرجال قينة ، قال وهي كلمة هذلية ( ص ٢٣١ ) .

٣٤ — روى الأزهرى قال سمعت محمد بن اسحق السمدى يقول سمعت علي بن حرب الموصلى يقول : شيء لثين أى حلو بلفظة أهل اليمن ، قال الأزهرى لم أسمعه لغير علي بن حرب وهو نبت ، وفي حديث للبعث :

بُفْضُكُمْ عِنْدَنَا مُرٌّ مَذَاقُهُ وَبِفَضْنَا عِنْدَكُمْ يَا قَوْمَنَا لَثِينُ

٣٥ — أبو زيد عن الكلابيين أجمعين : هذا من لدنّه ، ضموا اللدال وفتحوا اللام وكسروا النون ( ص ٢٦٩ ) .

٣٦ — ولفن لفة فى لملّ وبعض بنى تميم يقول لفتك بمعنى لملك قال الفرزدق :

قفا يا صاحبيّ بنا لفتنا نرى العرصاتِ أو أترّ الخيامِ  
( ص ٢٧٥ ) .

٣٧ — قال أبو منصور سمعت رجلا من أهل هجر يقول لآخر : مشين الليف أى ميسه وانفشه للتلسين ، والتلسين أن يسوى الليف قطعة قطعة ( ص ٢٩٥ ) .

٣٨ — قال اللحياني فإذا لقيت النون ألف الوصل فمنهم من يخفض النون فيقول : من القوم ، ومن ابنك ، وحكى عن طيء وكلب ، اطلبوا من الرحمن . وبعضهم يفتح النون عند اللام وألف الوصل فيقول من القوم ومن ابنك . قال سيبويه قالوا من الله ومن الرسول ومن المؤمنين ففتحوا ، قال وزعموا أن ناسا يقولون من الله فيكسرونه ويجرونه على القياس بمعنى أن الأصل فى كل ذلك أن تكسر لالتقاء الساكنين ، قال وقد اختلف العرب فى «من» إذا كان بعدها ألف وصل غير الألف واللام فكسره قوم على القياس وهي

أكثر في كلامهم وهي الجليدة ، ولم يكسروا في ألف اللام لأنها مع ألف اللام أكثر إذ الألف واللام كثيرة في الكلام تدخل في كل اسم نكرة ففتحوا استخفافا فصار « من ابنك ومن امرىء قال وقد فتح قوم فصحاء فقالوا من ابنك فأجروها مجرى قولك من المسلمين . قال أبو اسحاق ويجوز حذف النون من [ من وعن ] عند الألف واللام لالتقاء الساكنين وحذفها من [ من ] أكثر من حذفها من [ عن ] لأن دخول من في الكلام أكثر من دخول عن وأنشد :

أبلغ أبا دختوس مألكة غير الذى قد يقال م الكذب  
(ص ٣١١، ٣١٢) .

٣٩ - والوهين بلغة من بلى مصر من العرب وفي التهذيب بلغة أهل مصر الرجل يكون مع الأجير في العمل يحمله على العمل (ص ٣٤٧) .

٤٠ - التابوه لغة في التابوت أنصارية (ص ٣٧٣) .

٤١ - قال أبو زيد قال لى رجل من بني كلاب : ألتيتنى فى التوه يريد التيه (ص ٣٧٥) .

٤٢ - قيل الأجله الأجلح (الأصلح) فى لغة بنى سعد (ص ٣٧٨) .

٤٣ - وفى بعض الحديث أن رجلا من « أسلم » عدا عليه ذئب فانتزع شاة من غنمه فجهجاه أى زبره وأراد « جهجه » فأبدل الهاء همزة لكثرة الهاءات وقرب المخرج (ص ٣٧٩) .

٤٤ - قال ابن سيده والشبهان والشهبان ضرب من العضاء وقيل هو

التمام يمانية حكاه ابن دريد (ص ٤٠٠) .

٤٥ - الأصمى وغيره العضة السخر بلغة قريش وهم يقولون للساحر عضة

(ص ٤١١) .

٤٦ — والكِرْهَاءُ أعلى النقرة هذلية أراد نقرة القفا ( ص ٤٣٣ ) .

٤٧ — الماء والماء والماء معروف، وهمة « ماء » متقلبة عن هاء بدلالة

ضروب تصاريفه فإن تصغيره « مَوْبِه »، وجمع الماء أمواه ومياه، ومن العرب من يقول « ماء » كبنى تميم يعنون الركبة بماؤها .

٤٨ — النُّكَّةُ من الإبل التي ذهبت أصواتها من الضعف وهي لغة تميم

في « النُّقَّة » ( ص ٤٤٨ ) .

٤٩ — الوافِهُ قِيم البيعة الذي يقوم على بيت النصارى الذي فيه صليهم

بلغة أهل الجزيرة كالواهف ( ص ٤٥٩ ) .



## الجزء الثامن عشر

١ - وقرىء « يومَ بَاتِ » بحذف الياء ، كما قالوا « لا أذِرِ » وهى لغة هذيل . وأما قول قيس بن زهير العبسى :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبونُ بنى زيادِ

فإنما أثبت الياء ولم يحذفها للجزم ضرورة وردّه إلى أصله ، قال المازنى ويجوز فى الشعر أن تقول : « ريدٌ يرميك » برفع الياء ، ويفزوك برفع الواو ، وهذا قاضى بالتوين ، فتجرى الحرف المعتل مجرى الحرف الصحيح من جميع الوجوه فى الأسماء والأفعال جميعاً لأنه الأصل ( ص ١٤ ) .

٢ - وآتيتُهُ على ذلك الأمر مؤاناة إذا وافقته وطاوعته ، والعامّة تقول :

واتيتُهُ ، قال ولا تقل واتيته إلا فى لغة لأهل اليمن ( ص ١٨ )

٣ - وتقول آخيتُهُ على مثال فاعلتهُ ، قال ولغة طيء واخيتُهُ ( ص ٢٣ )

٤ - وأهل الحجاز يقولون : آدبتهُ على أفعلته أى أعنتهُ ، وآدانى السطان عليه

أعدانى ، واستأدبته عليه استعدبته ، وآدبته عليه أعنتهُ ، كله منة الأزهرى أهل الحجاز يقولون استأدبت السلطان على فلان أى استعدبتُ فآدانى عليه أى أعدانى وأعاننى ص ٢٧

٥ - وهو بإدائه أى بإزارائه طائبة ( ص ٢٨ ) .

٦ - قال الأزهرى سمعت الفصيح من بنى كلاب يقول لأوى الإيل

« ماواة » بالهاء ( ص ٥٤ ) .

٧ - قال ابن برى قال ابن خالويه : ليس أحد يقول بدبتُ بمعنى بدأتُ إلا

الأنصار ، والناس كلهم بدبتُ وبدأتُ ، لما خففت الهمزة كسرت الدال فانقلبت الهمزة ياء ، قال وليس من بنات الياء ، وأهل المدينة يقولون بدبنا بمعنى بدأنا ( ص ٧١ )

٨ - وطبىء تقول ببقى ، بقت مكان بقى ، بقتيت ، وكذلك أخواتها

من المعتل قال البولانى :

نستوقدُ النبلَ بالحصىم ونص طادُ نفوساً بنتُ على الكرمِ

أى بُنيتُ ، ولغة طيء ببقى بيقى . وكذلك لغتهم فى كل باء انكسر

ما قبلها يحملونها ألفاً نحو بَقِيَّ وبقَوْتُهُ نظرت إليه (ص ٨٨).

٩ — وفي حديث ابن عباس رضى الله عنهما : وصلاة الليل فَبَقِيَّتْ كيف يصل النبي صلعم ، وفي رواية كراهة أن يرى أنى كنت أبقيه أى أنظره وأرصده ، اللحياني بَقِيَّتَهُ وبقَوْتُهُ نظرت إليه (ص ٨٨) .

١٠ — قال الفراء والعرب بقول ، بل والله لا آتيك ، وبنّ والله ، يحملون اللام فيها نونا ، قال وهى لفة بنى سمد ولفة كلب ، قال وسمت الباهليين يقولون : « لابن » بمعنى « لا بل » (ص ٩٥ وانظر أيضاً ج ١٦ ص ٢٠٦) .

١١ — وحكى الفارسي أن طيئنا تقول « توى » قال ابن سيده وأراه على ما حكاه سيبويه من قولهم بَقِيَّ وِرَضَى ونهى (ص ١١٤) .

١٢ — ويقال جرت عنك شاة أى قضت وبنو تميم يقولون أجزأت عنك شاة بالهمز أى قضت (ص ١٥٩) .

١٣ — وقيل أهل مكة يسمون « الحِدْأُ » حِدْأً بالثنيديد (ص ١٨٤) .

١٤ — الحِكْمَةُ المِظَاةُ بلفة أهل مكة وجمعها حُكَي قال وقد يقال بغير

همز ويجمع على حُكَي مقصور (ص ٢٠٨) .

١٥ — وَحَمِيَّتُ عَلَيْهِ غَضِبْتُ وَالْأُمُوِيَّ يَهْمِزُهُ (ص ٢١٨) .

١٦ — يقال حانةٌ وحانوتٌ وصاحبها حانى وفي حديث عمر أنه أحرق نيت رُوَيْشِدَ الثقفى وكان حانوتاً تعاقَر فيه الحجر وتباع . وكانت العرب تسمى بيوت الحمارين

الحوانيت وأهل العراق يسمونها المواخير ، واحداها جانوت ، ماخور (ص ٢٢٤)

١٧ — الحياة تقيض الموت وحكى ابن جنى عن قطرب أن أهل اليمن يقولون

الحَيَوَةُ نواو قبلها فتحة ، وكذلك يفعل أهل اليمن بكل ألف منقلبة عن واو

كالصلاة والركاة (ص ٢٣٠) وقرأ أهل المدينة « وَيَحْيَى مِنْ حَيْسَى عَنْ بَيْتِنَا »

وعيرهم « من حَى عن بَيْتِنَا » .

١٨ — الأرهري للعرب فى هذا الحرف لغتان يقال استَحَى الرجلُ يَسْتَحِي

بياء واحدة واستحيا فلان يستحى بيايين والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية ، وقال الأخفش استحى بياء واحدة لفة تميم وبياءين لفة أهل الحجاز وهو الأصل (ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

١٩ - وَالخَشْوُ الحِشْفُ مِنَ التَّمْرِ، وَخَشَتِ النِّخْلَةُ نَخَشُو خَشْوًا أَحشَفَتْ وَهِيَ لَفَةٌ بَلْعَرْتُ بْنُ كَعْبٍ (ص ٢٥١) .

٢٠ - وَالخَلْوَانِي السَّمْفَاتُ اللُّوَاتِي بِلَيْنِ القَلْبَةِ نَجْدِيَّةٌ ، وَهِيَ فِي لَفَةِ أَهْلِ الحِجَازِ العَوَاهِنُ (ص ٢٥٩) .

٢١ - قَالَ اللِّحْيَانِيُّ تَمِيمٌ يَقُولُ : خَلَا فُلَانٌ عَلَى اللِّبْنِ وَعَلَى اللِّحْمِ إِذَا لَمْ يَأْكُلْ مَعَهُ شَيْئًا وَلَا خَطَلَهُ بِهِ ، قَالَ وَكِنَانَةٌ وَقَيْسٌ يَقُولُونَ : أَخْلَى فُلَانٌ عَلَى اللِّبْنِ وَاللِّحْمِ (ص ٢٦١) .

٢٢ - اَلخَلْوِيُّ الثَّابِتُ طَانِيَّةٌ (ص ٢٧١) .

٢٣ - الدَّعْوَةُ والدَّعْوَةُ والمدَّعَاةُ ما دَعَوْتَ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، الكَسْرُ فِي الدَّعْوَةِ لَعْدِيَّ بْنِ الرَّبَابِ وَسَائِرِ العَرَبِ يَفْتَحُونَ (ص ٢٨٥) .

٢٤ - الدَّعِيَّ الْمُنْسُوبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَإِنَّمَا لِبَيْنِ الدَّعْوَةِ والدَّعْوَةِ الفَتْحُ لَعْدِيَّ بْنِ الرَّبَابِ وَسَائِرِ العَرَبِ تَكْسِرُهَا بِخِلَافِ مَا تَقْدِمُ فِي الطَّعَامِ (ص ٢٨٦)

٢٥ - وَدَقًّا الجُرْمِجَ دَفْوًّا أَجْهَزَ عَلَيْهِ وَفِي الحَدِيثِ أَنَّ قَوْمًا مِنْ جَبِينَةَ جَاءُوا بِأَسِيرٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَرْعُدُ مِنَ البَرْدِ فَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا بِهِ فَادْفُوهُ يَرِيدُ الدَّفْءَ مِنَ البَرْدِ وَهِيَ لَفَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ فَدَهَبُوا بِهِ فَمَقْتَلُوهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَدْفُوهُ مِنَ البَرْدِ ، فَوَدَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص ٢٨٩) .

٢٦ - ذَأَى العُودُ والبِقْلُ يَذَأَى ذَأْوًا وَذَأَبًا وَذَأَبِيًّا الأَخِيرَةُ عَنْ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ بِمَقُوبٍ وَهِيَ حِجَازِيَّةٌ دَوَى وَذَبَلْ (ص ٣٠٨) .

٢٧ - دَوَى العُودُ والبِقْلُ بِالْفَتْحِ بَدَوِيٌّ دَبًّا وَدَوِيًّا كَلَامًا ذَبَلٌ ، وَقَالَ اللَّيْثُ لَفَةٌ أَهْلِ بَيْتِنَةَ ذَأَى العُودُ (ص ٣١٨) .

## الجزء التاسع عشر

١ - يرى ، ترى ، نرى ، أرى ، قال وبها نزل القرآن ، إلا تميم الرِّبَاب فإنهم يهزون حروف المضارعة فتقول : هو يراى ، تراى ، نراى ، أراى (ص ٤ ، ٥) .

٢ - قال الفراء : أهل المدينة يقرءونها « رِيَا » بغير همز ، قال وهو وجه جيد من رأيت لأنه مع آيات لسن مهموزات الأواخر (ص ٧) .

٣ - الرَّيِّئُ ، الرَّيِّئُ الْجِسِّيُّ يراه الإنسان ، وقال اللحياني له رَيِّئٌ من الجن ورَيِّئٌ إذا كان يحبه ويؤلفه ، وتميم تقول رَيِّئٌ بكسر الهمزة والراء مثل سَمِيدٍ ، بِعَيْرٍ (ص ١٠) .

٤ - الاختيار من اللمعات « رُبُوبَةٌ » لأنها أكثر اللغات ، والفتح لغة تميم (ص ١٩) .

٥ - أَرْجَى الأَمْرَ آخِرَهُ لغة فى أرجأه ، وفى قراءة أهل المدينة « قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ » (ص ٢٤) .

٦ - قال أبو عمرو « الأَرْعُوءَةُ » بلفظة أزد شنوءة نيرُ الغدآن يَحْتَرثُ بها (ص ٤٢) .

٧ - قال اللحياني « الزَّنَى » مقصور لغة أهل الحجاز قال تعالى : « ولا تقربوا الزَّنَى » بالقصر ، والزَّنَاءُ ممدود لغة بنى تميم وفى الصحاح المَدَّ لأهل نجد (ص ٦٩) .

٨ - الزَّهْوُ ، الزَّهْوُ البسر إذا ظهرت فيه الحمرة ، وقيل إذا لَوَّنَ واحداً

رَهْوَةٌ « وقال أبو حنيفة رَهْوٌ وهي لغة أهل الحجاز بالصم جمع رَهْوٌ كقولك فرس وُرْدٌ وأفراس وُرْدٌ (ص ٨٢) .

٩ - شَمِرٌ: السَّدَى ، السَدَّاهُ ممدود البلح بلغة أهل المدينة ، وقيل السَّدَى البلح الأخضر ، وقيل البلح الأخضر بشماريحه يَمْسَدُ ويقصر يمانية (ص ٩٨) .

١٠ - سَرَيْتُ سُرَى ، مَسْرَى ، وَأَسْرَيْتُ بمعنى إذا سِرْتِ لَيْلًا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً (ص ١٠٣) .

السُّرَى مصدر سَرَيْتُ ، ويقال في المصادر أن تجيء على هذا البناء لأنه من أبنية الجمع يدل على صحة ذلك أن بعض العرب يؤنث السُّرَى والمُهْدَى ، وهم بنو أسد توهاً أنها جمع سُرِيَّة ، هُدْيَةٌ (ص ١٠٤) .

١١ - ابن الأعرابي : « سَفَا » إذا ضمف عقله ، و « سفا » إذا رِقَ شَعْرُهُ وجَلِحَ لغة طيء (ص ١١١) .

١٢ - قال اللحياني : إنَّه فُلَانٌ كَلَامُ الْعَرَبِ ، وَحَكَى عَنِ بَنِي عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ أَسْمُهُ فُلَانٌ بِالضَّمِّ ، وَقَالَ الضَّمُّ فِي قَضَاعَةِ كَثِيرٍ (ص ١٢٦) .

١٣ - السَّهْوَةُ الصَّخْرَةُ طَائِيَةٌ لَا يَسْمُونَ بِذَلِكَ غَيْرَ الصَّخْرَةِ (ص ١٣٣) .

١٤ - قَوْلُهُمْ « لَا بَسْوَى » [بمعنى لا يساوى] أَحْسِبُهُ لُغَةً أَهْلِ الْحِجَازِ (ص ١٣٦) .

١٥ - الشَّبَا الطُّحْلُبُ يمانية (ص ١٤٨) .

١٦ - صَلَوَاتُ الظَّهْرِ ضَرَبْتَ صَلَاةً (وسط الظهر) أو أصبته بشيء .

سهمٍ أو غيره . عن اللحياني ، قال وهم هذلية ( ص ٢٠٠ ) .

١٧ - ابن الأعرابي أخفض الأعلام « الثاية » وهي بلغة بني أسد بقدر قعدة الرجل ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهو « صوة » [ حجر يكون علامة في الطريق ] ( ص ٢٠٦ ) .

١٨ - وشدة ما ضحيت وضحت للشمس ( أي رزت ) والريح وغيرها ، وتميم تقول ضحت للشمس أضحو ( ص ٢١٣ ) .

١٩ - قال أبو زيد الكلبيون يقولون « وبلدة ليس بها طوئي » [ أي ليس بها أحد ] الواو قبل الهزة وتميم تجعل الهزة قبل الواو فتقول طووي ( ص ٢٢٦ ) .

٢٠ - تقول سمعت طعى فلان أي صوته هذلية ( ص ٢٣١ ) .

٢١ - قال ابن جنى اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط فإذا وقعت فيه قلبوها طاء ولهذا قالوا البرطلة ، وإنما هو ابن الظل وقالوا ناطور وإنما هو ناطور فاعول من نظر ينظر ( ص ٢٥١ ) .

٢٢ - عتي بمعنى « حتى » هذلية وقرائية وقرأ بعضهم « عتي حين » أي « حتى حين » وفي حديث عمر رضي الله عنه بلغه أن ابن مسعود رضى الله عنه يقرئ الناس « عتي حين » يريد ( حتى حين ) فقال إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش . كل العرب يقولون ( حتى ) إلا هذيلاً وقيفاً فإنهم يقولون ( عتي ) ( ص ٢٥٣ ) .

٢٣ - قال أبو عبيد « العدى » جماعة التواء بلغة هذيل

٢٤ — ابن سيده عن أبي حنيفة: المَجْوَةُ بالحجاز أم التمر الذي إليه  
المرج كالشَّهْرِيْزِ بالبصرة، والتَّبِيَّ بالبحرين وألجذامى باليمامة  
(ص ٢٥٧) .

٢٥ — قال الليث وكلمة شماء من لغة أهل الشعر يقولون: يَعْزَى ما كان  
كذا وكذا كما تقول نحن لمصرى لقد كان كذا وكذا، وبعزبك ما كان كذا  
وقال بعضهم «عزوى» كأنها كلمة يتلطف بها (ص ٢٨٣) .

٢٦ — العاصي الشُّرَاخ من شاربخ العِذْق في لغة بلآخرث بن كعب  
(ص ٢٨٣) .

٢٧ — وحكى الصحابي عن الكسائي: «بالعسى أن يفعل» قال ولم أسمعه  
بصرفوها مصرف أخواتها يعني بأخواتها حرى وبالحرى وما شاكلها  
(ص ٢٨٥) [ لهجة لبنانية بالعسى يجيء ] .

٢٨ — أبو زيد: العِفْوَةُ أفناء الحُرِّ، قال ولا أعلم في جميع كلام العرب  
واوا متحركة بعد حرف متحرك في آخر البناء غير واو عِفْوَةٍ، قال وهي لغة  
لقيس (ص ٣١١) .

٢٩ — قال سيبويه ألف عللاً زليلاً ثوباً متقلبة من واو إلا أنها  
تقلب مع المضرباء تقول عليك، وبعض العرب يتركها على حالها  
قال الراجز:

أى قُلُوصِ راكبِ تراها      فاشدُّدُ بِمِثْنَى حَقَبِ حَفَواها

ناديةً ونادياً أباهما      طاروا علاهن فطره علاها

وقال هي لغة بلآخرث بن كعب (ص ٣٢٢) .

٣٠ — المَوَّاءُ النَّابُ مِنَ الإِبِلِ مَلْدُوتَةٌ، وَقِيلَ هِيَ فِي لَفَةِ هَنْبِلِ النَّابِ

الْكَبِيرَةِ الَّتِي لَا سَنَامَ لَهَا (٣٤٦) -

٣١ — وَغَبَى شَعْرُهُ قَصْرَ مَنْهُ لَفَةٌ لِعَبْدِ الْقَيْسِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِهَا غَيْرُهُمْ

(ج ٣٥١) -



## الجزء العشرون

١ - شعر : فجا بآيه وبنجوه إذا فتحه بلقة طيء ، قال ابن سيده . قاله أبو عمرو الشيباني وأنشد للطرماح :

كحبة السَّاحِ فِجَا بآيَهَا صُبْحُ جَلَا خُضْرَةَ أَهْدَابَهَا  
(ص ٦) .

٢ - وفي حديث هوازن لما انهزموا قالوا :

الرأيُ أنْ يُتَدْخَلَ فِي الحِصْنِ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ « فَاشِيْتِنَا » أَي مَوَاشِينَا  
(ص ١٤) .

٣ - وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن قتل المُخْرَمِ

الحَيَاتِ قَال لا بَأْسَ بِقَتْلِهِ « الأَفْعُو » وَلا بَأْسَ بِقَتْلِ « الحِدَوُ » قَتْلُ الأَلْفِ فِيهَا وَأَوَا فِي لَفْتِهِ ، أَرَادَ الأَفْعَى وَهِيَ لَفَةٌ أَهْلِ الحِجَازِ ، قَالَ ابْنُ الأَمِيرِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَلُ الأَلْفَ يَأْ فِي الوَقْفِ وَبَعْضُهُمْ يَشْدُدُ الوَاوَ وَالْيَاءَ وَهَمْزَتَهَا زَائِدَةً  
(ص ١٨) .

٤ - القَبَائِيَةُ المَفَازَةُ بِلَفْتَةِ حَمِيرِ (ص ٢٨) .

٥ - ابن سيده : القَرِيَّةُ وَالقَرِيَّةُ لَفْتَانِ المِصْرِ الجَامِعِ ، التَّهْدِيبُ المَكْسُورَةُ يَمَانِيَةٌ وَمَنْ تَمَّ اجْتِمَاعُهَا فِي جَمْعِهَا عَلَى القَرِيِّ فحَمَلُوهَا عَلَى لَفْتَةٍ مِنْ يَقُولُ كِسْوَةٌ وَكُسَاءٌ ، وَقِيلَ هِيَ القَرِيَّةُ بِفَتْحِ القَافِ لا غَيْرَ ، قَالَ وَكَسَرَ القَافَ خَطَأً (ص ٣٧) .

٦ - قال ابن السكيت ما كان من النوموت مثل العُلْيَا والدُنْيَا فَإِنَّهُ يَأْتِي

بضم أوله وبالياء لأنهم يستثقلون الواو مع ضمة أوله ، فليس فيه اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القُصوى فأظهروا الواو وهو نادر وأخرجوه على القياس إذ سكن ما قبل الواو ، وتميم وغيرهم يقولون القُصيا (ص ٤٤) .

٧ — وفي حديث طلحة : فوضعوا اللُججَ على قَفَى أى وضعوا السيف على قَفَاى قال وهى لفة طائفة يشددون باء التكلم (ص ٥٥) .

٨ — تقول قلاءُ يَقْلِيهِ قَلِيٌّ وَقَلَاءٌ وَيَقْلَاهُ لفة طيبة (ص ٥٩) .

٩ — أهل الحجاز يقولون : قِنوان ؛ وقيس : قُنوان ؛ وتميم وضبة : قُنيان ، قال وكلب تقول : قِنيان (ص ٦٧) .

١٠ — الكَلْوَةُ لفة فى الكَلْبَةِ لأهل اليمن ، قال ابن السكيت ولا تقل « كَلْوَةٌ » بكسر الكاف (ص ٩٤) .

١١ — وقال ابن سيده و « لَنَاءٌ » طائفة أنشد اللحياني :

لم تلقَ خيلَ قبلها ما قد لَقَّتْ من غيبِ هاجرةٍ وسيرِ مُسَادٍ

(ص ١٢٠ سَاد = سير الليل كله) .

١٢ — قال أهل التفسير اللَهُوُّ فى لفة حضر موت « الولدُ » ، وقيل اللهم

المرأة (ص ١٢٦) .

١٤ — محا الشيء يحموهُ ويمحاهُ محوًّا ومحيًّا أذهب أثره . الأزهرى المحوُّ

لكل شيء يذهب أثره تقول أنا أمحوهُ وأمحاهُ ، وطبيء محيتهُ محيًّا ومحوًّا

(ص ١٣٩) .

١٤ — المرْبِيَةُ والمرْبَةُ الشك ، قال نعلب هما لفتان ، قال وأما مرْبِيَةُ الناقة

فليس فيه إلا الكسر والضم غلط ، قال ابن برى يعنى مسح الصرع لتدرُّ

الناقة قال وقال ابن دريد مرْبِيَةُ الناقة بالصم وهى اللفة العالية (ص ١٤٦) .

١٥ - النَّا الكيل أو الميزان الذي يوزن به بفتح الميم مقصور يكتب بالألف وهو أفصح من « المَنَّ » والجمع أمناء، وبنو تميم يقولون هو « مَنَّ » ومَنَّان وأمَنَّان (ص ١٦٧).

١٦ - نَطَّ الرجلُ سكت وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلعم وهو على عليّ كتاباً وأنا أستفهمه فدخل رجل فقال له : انطُ أي أسكت بلغة حمير ، وأنطيتُ لغة في أعطيتُ وقد قرىء إنا أنطيناك الكوثر ، والإنطاء لغة في الإعطاء ، وقيل الإنطاء الإعطاء بلغة أهل اليمن (ص ٢٠٦).

وفي حديث الدعاء « لا مانع لما أنطيت ولا مُنطى لما منعت » ، قال هو لغة أهل اليمن.

١٧ - النَّماء الزيادة نَمِيَ يَنْمِي نُمياً ونُمياً وناماء زاد وكثر وربما قالوا يَنْمُو نُمواً المحكم قال أبو عبيد قال الكسائي ولم أسمع ينمو بالواو إلا من أخوين من بني سليم ، قال ثم سألت عنه جماعة بني سليم فلم يعرفوه بالواو ، قال ابن سيده هذا قول أبي عبيد وأما يعقوب فقال ينمي وينمو فسوى بينهما (ص ٢١٥).

١٨ - قال اللحياني الهدى مذكر قال وقال الكسائي بعض بني أسد يؤثته يقول هذه هدى مستقيمة (ص ٢٢٩).

١٩ - قال نطب الهدى بالتخفيف لغة أهل الحجاز والهدى بالثقل على فميل لغة بني تميم وسفلى قيس وقد قرىء بالوجهين جميعاً « حتى يبلغ الهدى محله » (ص ٢٣٤).

٢ - قال الكسائي : « هي » أصلها أن تسكون على ثلاثة أحرف مثل

« أنت » فيقال « هي » علت ذلك ، وقال هي لغة همدان ومن في تلك الناحية ، قال وغيرهم من العرب يحققها وهو المجموع عليه فيقول : هي فلت ذلك ، قال اللحياني وحكى عن بعض بني أسد وقيس هي فلت ذلك بإسكان الياء ( ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ) .

٢١ - الأواغبي مَفاجرِ الماء في الديار والمزارع واحدها آغية يخفف ويشتل ( أي أواغبي ، أواغبي جمع آغية ، آغية ) وهو من كلام أهل السواد لأن الهمزة والغين لا يجتمعان في بناء كلمة واحدة ( ص ٢٧٨ ) .

٢٢ - في لغة بني سعد يقولون « ألاَ تا » يقول « ألاَ تبي » ؟ فيقول الآخر « بليَ فأ » أي فاذهب بنا ( ص ٣١٣ ) .

٢٣ - قال أبو زيد ومن العرب من يقول « هؤلاء » قومك ، ورأيت هؤلاء فينون ويكسر الهمزة ، قال وهي لغة عقيل ( ص ٣٢١ ) .

٢٤ - وأما « ذو » التي في لغة طيء بمعنى الذي لحقها أن توصف بها المعارف تقول : أنا ذو عرفت وذو سمعت ، وهذه امرأة ذو قالت ، كذا يستوى فيه التثنية والجمع والتأنيث ، قال جبير بن عتمة الطائي أحد بني بولان :

وإن مولاي ذو يعاتبني لا إحنةً عنده ولا جرمة

ذاك خليلي ودو يعاتبني يرمي ورأى بامسئهم وامسئمة

( ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ) .

٢٥ - قال الأزهرى وسمعت غير واحد من العرب يقول : « كنا مع عمرو وكذا وكذا مع ذي عمرو وكان ذو عمرو بالصمان » أي كنا مع عمرو ومعنا

جرّو ، و « ذو » كالصلة عندم ، وكذلك ذوى ، قال وهو كثير فى كلام  
قيس ومن جاورم (ص ٣٤٩) .

٢٦ — فإن جعلتها حرف نعى لم تعملها فى لغة أهل نجد لأنها دوّارة وهو  
القياس ، وأعملتها فى لغة أهل الحجاز تشبيهاً بليس ، تقول ما زيد خارجاً وما هذا  
بشراً (ص ٣٦٢) .

٢٧ — الأصمى ؛ متى فى لغة هذيل قد تكون بمعنى « من » وأنشد  
لأبى ذؤيب :

شربن بماء البحر ثم ترفقتُ منى للبحر خضر لمن نثيجُ  
(ص ٣٦٤) .

٢٨ — وأهل الحجاز يقولون : ها إنك زيد؟ معناه أإنك زيد؟ فى الاستفهام  
ويقصرون فيقولون : ها إنك زيد؟ فى موضع أإنك زيد؟ (ص ٣٦٥) .

٢٩ — قل الكسائى : « هو » أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل  
« أنت » ، فيقال هو فعل ذلك ، قال ومن العرب من يخففه فيقول : هو فعل  
ذلك . قال اللحيانى وحكى الكسائى عن بنى أسد وتميم وقيس « هو » فعل  
ذلك باسكان الواو (ص ٣٦٦) .

٣٠ — أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هى ، هو ، فيقولون هو زيد وهى  
هند كأنهم حذفوا المتحرك ، وهى قالتة وهو قاله وأنشد :  
وكنّا إذا ما كان يومُ كرهيةٍ فقد علموا أنّى وهو فقيان  
(ص ٣٦٨) .

٣١ — قال القراء : والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالماء إلا طيئاً فإنهم  
يقفون عليها بالياء فيقولون : هذه أمت ، وجاريت ، طلحت (ص ٣٧٠) .

٣٣ — قال القراء : يقال اجلس ههنا أى قريبا ، وتنح ههنا أى تباعد  
أو ابعُد قليلا ، قال و « ههنا » أيضا تقوله قيس و تميم ، قال الأزهرى  
وسمعت جماعة من قيس يقولون : اذهب ههنا بفتح الهاء ولم أسممها بالكسر  
من أحد ( ص ٣٧٤ ) .

ملحوظة : تعلم بالكسر لغة قيس و تميم وأسد و ربيعة و عامة العرب ،  
رأى أهل الحجاز و قوم من أعجاز هوازن و أزد السراة و بعض هذيل فيقولون  
تلم ، و القرآن عليها .







# أهم المراجع العربية

- ١ - ابن الجوزي :  
النشر في القراءات العشر .
- ٢ - سيبويه :  
الكتاب .
- ٣ - ابن يعيش :  
شرح المفصل :
- ٤ - ابن جني :  
(أ) الخصائص .  
(ب) سر صناعة الإعراب .
- ٥ - السيوطي :  
(أ) الزهر .  
(ب) الإتيان في علوم القرآن .
- ٦ - ابن فارس :  
الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها .
- ٧ - اليازجي :  
مجمعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والتوارد .
- ٨ - ابن خلدون :  
المقدمة والتاريخ .
- ٩ - القلقشندي :

صبح الأعشى « الجزء الأول »

- ١٠ - ابن سيده :  
الخصص .
- ١١ - ابن منظور :  
لسان العرب .
- ١٢ - ابن الأنباري :  
كتاب الأضداد .
- ١٣ - مجلة مجمع اللغة العربية «الأجزاء ١٠، ٢، ٣»
- ١٤ - جورج زيدان :  
تاريخ آداب اللغة العربية .
- ١٥ - حفي ناصف :  
مميزات لغات العرب .
- ١٦ - الدسوقي :  
تهذيب الألفاظ العامية .
- ١٧ - الدكتور أحمد عيسى :  
الحكم في أصول الكلمات العامية .
- ١٨ - محمد نجر الدين :  
مجموعة من الخطوط التاريخية لبلاد العرب .
- ١٩ - الدكتور أحمد أمين :  
ضحى الإسلام .
- ٢٠ - الدكتور علي عبد الواحد وافي :  
(١) - لم اللغة .  
(ب) قه اللغة .

- ٢١ - عبد الوهاب حمودة :  
القراءات واللهجات .
- ٢٢ - يوهان فك : ( ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ) .  
العربية ( دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ) .
- ٢٣ - ابن حزم الأندلسي :  
جمهرة أنساب العرب .
- ٢٤ - رجستراسر :  
التطور للنحوى .
- ٢٥ - ابن دريد :  
( أ ) الاشتقاق .  
( ب ) الجمهرة .
- ٢٦ - ابن فارس :  
مقاييس اللغة .
- ٢٧ - القرطبي :  
الجامع لأحكام القرآن .
- ٢٨ - الجاحظ :  
البيان والتبيين .
- ٢٩ - الباقلاوى :  
إعجاز القرآن .
- ٣٠ - المبرد :  
الكامل .
- ٣١ - القالى :  
الأمالى .

- ٣٢ - ابن عبد ربه :  
العقد الفريد .
- ٣٣ - ابن هشام :  
مغنى اللبيب .
- ٣٤ - الحريري :  
درة النواص في أوام الخواص .
- ٣٥ - الرافعي :  
تاريخ آداب العرب .
- ٣٦ - أبو حيان :  
البحر المحيظ ( تفسير ) .
- ٣٧ - الزمخشري :  
( أ ) الكشاف ( تفسير ) .  
( ب ) المفصل وشرحه لابن يعيش .
- ٣٨ - صحيح البخاري ، صحيح مسلم .
- ٣٩ - ابن حجر العسقلاني :  
الإصابة في تمييز الصحابة .
- ٤٠ - أبو عمرو الداني :  
التيسير .
- ٤١ - ابن السكيت ، الأصمعي ، السجستاني :  
ثلاثة كتب في الأضداد ( نشرها أوغست هوفتر ) .
- ٤٢ - أبو البركات الأنباري :  
الإنصاف في مسائل الخلاف .

٤٣ - شهاب الدين الخفاجي :

شفاء الغليل .

٤٤ - أبو زيد الأنصاري :

نوادير اللغة .

٤٥ - البغدادي :

حزارة الأدب .

\* \* \*



# الفهرس

الصفحة

٣

مقدمة الطبعة الرابعة:

٤

مقدمة الطبعة الثالثة:

٧ - ٥

مقدمة الطبعة الثانية:

دراسة اللهجات وازدهارها في السنوات الست الأخيرة .

١٥ - ٩

مقدمة الطبعة الأولى :

الأسس العلمية التي تبنى عليها دراسة اللهجات العربية  
القديمة ،

أولها : دراسة اللهجات الحديثة دراسة مستفيضة .

ثانيها : دراسة القراءات القرآنية .

ثالثها : جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة  
والأدب .

٣٢ - ١٦

الفصل الأول

١ - معنى اللهجة في الاصطلاح الحديث والقديم ، ومعنى

اللغة في الاصطلاحين .

العناصر التي تتميز بها اللهجة ، والعناصر التي تشترك

بين لغات القصيصة .

- كيف تتكون اللهجات :

الانزوال بين يثبات الشم الواحد ، والصراع

اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

منحة

٣ - وحدة النطق في البلاد العربية :

كيف اختلف النطق الحديث في البلاد العربية ،  
ونواحي هذا الاختلاف . وسائل توحيد النطق .

٣٣ - ٥٢

### الفصل الثاني

١ - اللغة العربية قبل الإسلام ، غموض التاريخ السياسي والاجتماعي لحزيرة العرب في العصر الجاهلي ، تشتت القبائل في اللهجات وتوحيدها في اللغة الأدبية النموذجية . لم يكن الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب . كيف نشأت اللغة النموذجية المشتركة قبل الإسلام ، وخلوها من الصفات المحلية للهجات .

٢ - كيف كان ينظر إلى اللهجات قبل الإسلام وبعده . اعتراز بعض المتأخرين بنصوص اللهجات .

٥٣ - ٨٠

### الفصل الثالث

القراءات القرآنية واللهجات :

تفسير جديد لحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف .  
الصفات المشهورة المشتركة بين القراءات واللهجات :

١ - الفتح والإمالة ، موقف القراء من الإمالة ، أنواع الإمالة الناشئة عن أصل يأتي ، والناشئة عن انسجام الحركات .



الصفة

- ٢ - الإدغام ، وتأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض .
- موقف القراء من هذه الظاهرة، وموقف القبائل منها .
- ٣ - الهمز ، موقف القراء من تحقيق الهمز أو تسهيله ، وموقف القبائل من هذا .

١٥٦ - ٨١

الفصل الرابع

- ١ - الإعراب واللهجات . لم يكن الإعراب مظهراً من مظاهر السليقة بين عامة العرب .
- ٢ - اختلاف البدو والحضر في الصفات الصوتية للنطق .
- ٣ - عوامل التطور وعوامل الجمود بين القبائل البدوية : الانعزال بين الجيل الناشئ وجيل الكبار ، كثرة التنقل والرحيل ، قلة عناية البدو بالنطق ، تعصبهم للصفات التي تشتهر عندهم .
- موقف الحضر من هذه العوامل : قياس المرکز الاجتماعي بمقاييس لغوية يساعد على الاستقرار في النطق ، ولكن استعداد الحضر لقبول كل جديد يساعد على التطور .

٤ - صفات اللهجة بين البدو والحضر :

- ( ١ ) الفتح عنده الحضر والإمالة عند البدو .
- ( ٢ ) الكسر عند الحضر والضم عند البدو .
- ( ٣ ) الأصوات الرخوة عند الحضر ، ونظائرها الشديدة عند البدو

الصفحة

(٤) الأصوات المهموسة عند الحضر، ونظائرها  
المجهورة عند البدو .

(٥) التأثر بالأصوات المتجاورة ، وشيوعه عند  
البدو .

(٦) الميل إلى الترقيق عند الحضر، والتفخيم عند البدو.

٥ — السرعة في النطق، وما ترتب عليها في لهجات البدو  
من سقوط أجزاء من نهاية الكلمات .

٦ — لهجات متناثرة :

تلتة بهراء ، طمطانية حمير ، واسقنطاء هذيل .  
موقف اللهجات من المثني .

اختلاف النبر بين القبائل .

٧ — أشهر القبائل في اللهجات العربية :

نطق العامة من العرب للنصوص الأدبية يعدّ سبباً  
هاماً في اختلاف الروايات لهذه النصوص .

١٥٧ — ١٧٣

الفصل الخامس

اختلاف الدلالة والبنية في اللهجات :

(١) أهمية البحث في دلالة الألفاظ عند القبائل المختلفة .

(٢) اختلاف البنية من أوضح ظواهر اللهجات .

(٣) رأى ابن جنى في اختلاف البنية .

(٤) بحث في أبواب الثلاثي مؤسس على ما ورد في

القرآن الكريم من أفعال .

١ - المترادفات :

موقف علماء اللغة من الترادف في القرن الثاني الهجري ،  
اختلاف العلماء في الترادف في القرن الرابع الهجري ،  
وأدلة أصحاب الترادف .

رأى المحدثين في الترادف ، وما يشترطونه لتحقيق  
فكرة الترادف .

الترادف في القرآن الكريم .

الذين أنكروا الترادف كانوا : إمامن الاشتقاقيين  
كابن دريد وابن فارس ، أو من الأدباء أو من النقاد  
الذين يستشفون في الكلمات ظلالات المعاني .

الأسباب التي ولدت الترادف في اللغة العربية :

إيثار بعض القبائل لكلمات خاصة ، استعارة بعض  
الكلمات من لهجة أخرى ، فقدان الوصفية ، تطور  
المعنى ، المجازات المنسية .

الترادف الوهمي :

مجموعة كثيرة من الكلمات تطورت أصواتها في قبيلة  
وبقيت على حالها عند أخرى ، وظنها جامعو اللغة من  
المترادفات .

٢ - المشترك اللفظي :

(١) أصحاب فكرة المشترك اللفظي ، والمعارضون

الذين بنكروه .

(ب) المجازات المنسية :

مجازات الأدباء ومجازات جمهور الناس .

(ج) عوامل المشترك اللفظي :

الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، سوء فهم المقنى ،

الاقتراس ، تطور المعنى في بيئة ذون أخرى ،

نظور الضورة :

(د) اضطراب المعاجم في رواية أمثلة من المشترك اللفظي .

٣ - التضاد :

(١) مبالغة ابن الأنباري في كتابه « الأضداد » ،

بحث أمثلة مختارة من هذا الكتاب .

(ب) عوامل التضاد هي عوامل المشترك اللفظي مضافاً

إليها : التطير ، التهمك ، الإبهام في المعنى الأصلي

وعومومه .

٢١٦ - ٢٢٦

الفصل السابع

١ - هل اللغة العربية لغة بدوية ؟

٢٢٧ - ٢٤٤

الفصل الثامن

١ - في اللهجات الحديثة :

(١) لهجة القاهرة :

١ - خصائصها الصوتية ، وانجاساتها في تطور

الأصوات : كالليل إلى الخمس ، وإيثاق ضيغة

على أخرى .

٢ - أخطاء الأجيال الناشئة : قلب صوت إلى آخر  
نظيره ، أو تغيير في ترتيب الأصوات ، أو  
قياس خاطئ .

٣ - تطور الماعنى فى لهجة القاهرة .

(ب) كلمة ختامية :

العناصر المشتركة بين اللهجات الحديثة تنتمى إلى لهجات  
عربية قديمة .

(ج) ملاحق الكتاب . . . . . ٢٤٥

نصوص معجم لسان العرب الخاصة باللهجات المنسوبة لقبائل  
معينة أو أمكنة محددة فى شبه الجزيرة العربية .